قمر خلف الغيوم

رواية

مروة سلّام

قمر خلف الغيوم

مروة سلام

الكتاب: قمر خلف الغيوم
المؤلف: مروة سلام
تصميم الغلاف: محمد مجدي
رقم الإيداع : 2015/14916
الترقيم الدولي : 978-977-6495-20-3

***

دار الميدان للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
هاتف 0552311408 / 01211112057
Website: www.daralmidan.com
E-mail: almidan@daralmidan.com



قمر خلف الغيوم

مروة سلام

إهداء

إلى من غادر الدنيا بجسده لكن روحه باقية معي على طول الدرب، أبي الغالي، لك وحدك أهدي هذا العمل وليتك معي اليوم.

شكر خاص:

الأعزاء رشا شعبان، محمد عباس وهيثم عبد الرّازق،
بدعمكم وتشجيعكم خرجت تلك الرواية إلى النور، أبقاكم
الله لي دوما خير أخوة.

(1)

تعالت دقات ساعة جامعة القاهرة معلنة تمام التاسعة صباحاً، سادت حالة من الصمت والتأهب داخل قاعة الإمتحانات وإستعدت الطلبة لإستلام أوراق الأسئلة تمهيداً لبدء الإمتحان. توترت "نوران" قليلاً وهي تأخذ ورقة الأسئلة من المراقب ثم ما لبث توترها أن تحول إلى حالة من الفزع عندما ألقت نظرة سريعة على الأسئلة.

ما هذه المادة؟

ما معنى المكتوب؟

هل هي رياضيات؟

لكنها لا تدرس الرياضيات ومعلوماتها عنها لا تزيد عن معلوماتها حول اللغة التايلاندية.

حاولت لفت إنتباه أي مراقب يمر بالقرب منها لسؤاله عما يحدث لكن لم ينتبه لها أحد، حاولت النهوض لكنها شعرت بشيء يجثم على ساقيها ويعرقل حركتها. ما الذي يحدث؟!

جاهدت لتحريك ساقيها وفي أذنيها تردد صوت بعيد لمذيع يقرأ نشرة أخبار في الإذاعة إمتزج مع إحساس الفزع الذي سيطر عليها.

فتحت "نوران" عينيها دفعة واحدة لتصحو من هذا الكابوس الذي طالما طاردها فإذا بها في فراشها وقد جثم قطها العجوز

"زورو" على ساقيها مما جعلها غير قادرة على تحريك ساقيها، كم هي خادعة الأحلام! في تلك المرحلة العجيبة بين النوم واليقظة يختلط كل شيء بشكل عجيب يجعل الإنسان غير قادر على التمييز بين الحقيقة والحلم.

شعرت بدوار خفيف وحالة فقدان توازن ثم ما لبث ذهنها أن صفا وجلست في فراشها تحاول السيطرة على دقات قلبها المتسارعة بسبب هذا الكابوس العجيب، يا للمصادفة الغريبة! لماذا يزورها هذا الكابوس في ذلك اليوم تحديداً؟

تمطى "زورو" بكسل فور أن شعر بإستيقاظ "نوران" وتحرك على الفور ليقترب من وجهها ويتمسح فيها، ابتسمت له وربتت على رأسه وخاطبته قائلة:

- عارفة أنك جعت جدا ... حالاً هجهز لك فطارك.

وكأن القط فهمها فنزل على الفور من الفراش ليسبقها إلى المطبخ، حاولت النهوض وسط الفوضى العارمة على فراشها، فأزاحت اللاب توب الخاص بها جانباً وبجواره إستقرت أحدث روايات الكاتب الشهير "ماجد الدمنهوري" وهاتفها المحمول. أمسكت هاتفها وألقت نظرة سريعة على الشاشة اتصلت بها "شيرين" خمس مرات منذ الصباح الباكر. إبتسمت "نوران" وعلى الفور سارعت بكتابة رسالة نصية لصديقتها ...

(صحيت خلاص يا أبلة الناظرة ساعة وهنزل).

ضغطت زر الإرسال ثم زر العودة لتجد أمامها رسالة عمرها يوماً واحداً أعادتها على الفور لحالة التوتر السابقة...

(نتقابل بكرة الساعة 5 في مكاننا القديم، رفضك مرفوض وأنتي عارفاني)

يا الله! هل جاء الغد بهذه السرعة؟

اليوم ستلقاه؟

إستعادت على الفور ذكرى الأمس، عندما فوجئت بهاتفها لا يكف عن الرنين من رقم مجهول، لم ترد في البداية كونها لا ترد أبدا على أرقام لا تعرفها ثم قررت الرد مع إلحاح المتصل. ما أن ضغطت زر الرد حتى سمعت صوته الذي لا يمكن أن تنساه مهما مر الزمن.

إنتقلت الصدمة على الفور من أذنيها إلى ساقيها اللتين تخاذلتا، فجلست على طرف المقعد وقد احتبس صوتها وعجزت عن الرد. هتف بها عبر الهاتف:

- ألو! "نوران" ... ردي عليا أنا "خالد" ... "نوران" سامعاني؟

جاهدت "نوران" للرد:

- أيوة يا "خالد" ... سامعاك. نعم؟

- نعم إيه؟!!! ... أزيك يا "نورا"؟... وحشتيني قوي.

- وحشتيني؟

شعرت بوقع الكلمة غريب على أذنيها وصمتت لثواني ثم أجابته:

- أنا كويسة الحمد لله ... أنت في (مصر) من إمتى؟

جاءها صوت "خالد" متعجلا:

- رجعت من شهر تقريبا رجوع نهائي يا نورا. بقولك إيه أنا عاوز أشوفك. يناسبك بكرة؟ أشوفك بكرة اتفقنا؟ الساعة 5 في الكافيه.

"خالد" في (مصر). "خالد" يريد لقاءها! انتبهت "نوران" لما قاله فجأة فنهضت كالملسوعة لترد بصوت وصل حد الصراخ:

- تشوفني؟ تشوفني يا "خالد"؟ ليه؟ وإزاي؟ مقدرش. مش هينفع... أنا آسفة. أنا..

قاطعها قبل أن تكمل جملتها:

- "نورا" أنا مضطر أقفل دلوقتي هشوفك بكرة الساعة 5 في الكافيه أكيد لسه فاكرة مكانه. باي باي دلوقتي.

أنهى "خالد" المكالمة لتنهار "نوران" مجدداً على المقعد وهي تشعر بجسدها كله يرتجف. ظلت لحظات على هذا الحال حتى إنتفضت فجأة لصوت وصول رسالة جديدة على هاتفها، أمسكته مجدداً لتقرأ رسالة "خالد" التي يؤكد فيها على موعد لقاءهما ويعلن رفضه لأي رفض من جانبها.

مر ما تبقى من اليوم ثقيلاً وكئيباً حتى أنها لا تذكر متى نامت وكيف نامت ليأتي الغد بأسرع مما توقعت.

تعالى مواء "زورو" من المطبخ لينبه "نوران" من شرودها، فتركت هاتفها على مكتبها الصغير في غرفتها واتجهت للمطبخ لتعد إفطار

قطها ورفيقها الوحيد في المنزل الكبير الذي خلا من سواهما. تقافز القط حولها في مرح ثم ما لبث أن انشغل بتناول إفطاره في حين اتجهت "نوران" إلى الحمام حيث إغتسلت سريعاً وعادت لغرفتها لتقف طويلا أمام خزانة ملابسها. ماذا عساها ترتدي اليوم؟ ضبطت نفسها متلبسة بالحيرة بين ثياب طال بقائها داخل الخزانة المغلقة دون أن تهتم حتى بوجودها.

هل ترتدي فستانها الصوف البني الذي يتجاوز الركبتين بقليل مع الحذاء البني طويل الرقبة ذو الكعب المرتفع، برغم طول قامتها ورشاقة قوامها إلا أنها أحست بحاجتها لأن تصبح أكثر طولا اليوم ربما لأن هذا قد يمنحها المزيد من القوة لمواجهة هذا المزعج الذي عاد ليقتحم حياتها من جديد. نعم. سترتدي هذا الفستان خاصة أنه يبرز عمق عينيها البندقيتين وجمالهما ويتناسق مع شعرها الكستنائي الحريري وينساب على جسدها المتناسق بشكل بديع.

أيتها الحمقاء! ولماذا تريدين استعراض جمالك أمامه؟ أما انتهى كل شيء؟ لماذا أذهب للقائه إذا؟ ماذا يريد مني الآن؟ حدقت "نوران" لنفسها في المرآة بعينين شاردتين. ودت لو أنها تجاهلت الهاتف تماما بالأمس ولم ترد.

أفاقت من شرودها لتجد الفستان لا زال بين يديها فألقت به على الفراش بعنف ثم عادت من جديد للبحث داخل خزانة ملابسها وخلال دقائق تحول الفراش لكومة من الثياب. وقفت تنظر لها "نوران" وهي تشعر بتوتر لا مثيل له.

اللعنة عليك يا "خالد"! تغادر حياتي كزلزال مدمر وتعود لتقتحمها كإعصار عاتي.

نظرت لنفسها لحظة في المرآة وقاومت رغبتها في أن تتجمل بالقليل من مساحيق التجميل التي طال بقاءها في أدراج طاولة الزينة الخاصة بها ثم في النهاية قررت ارتداء ثيابها المعتادة دون تغيير. وهكذا وقفت أمام المرآة بعد ساعة من الحيرة والتفكير وقد ارتدت بنطالا رماديا من الصوف وبلوفر أسود اللون وقامت بتصفيف شعرها اللامع الكثيف وعقصته على شكل ذيل حصان وخلا وجهها تماما من أية مساحيق والعجيب أنها بدت أكثر جمالا وبهاء بشكلها البسيط الذي يجعلها أقرب لطالبة جامعية. جهزت حقيبتها طويلة الذراع وألقت هاتفها داخلها بعد أن ألقت نظرة للمرة العشرين على الأقل على رسالة "خالد"، علقت الحقيبة على ذراعها ثم غادرت الغرفة متجهة إلى باب الشقة، ربتت على رأس "زورو" وقبلته قبل أن ينفلت من يديها ليتجه لمكانه المفضل على الأريكة، إبتسمت له "نوران" وغادرت الشقة وتأكدت من إحكام إغلاقها ثم خرجت من المنزل وأحكمت غلق البوابة الخارجية.

جلست "نوران" خلف مقود سيارتها الصغيرة وشعرت أنها تريد أن تقودها لمكان بعيد لا يصل "خالد" إليها فيه، لكن من تخدع؟ إنها تفر إليه بقدر ما تفر منه، هي نفسها تدرك ذلك في قرارة نفسها وربما كان ذلك ما يعذبها. تنهدت بتوتر وحاولت السيطرة على أعصابها، قامت بتشغيل الراديو الذي ضبطت موجته بشكل دائم على إذاعة البرنامج العام وانطلقت بالسيارة لتقطع شوارع القاهرة المزدحمة حتى في تلك الساعة المبكرة نسبيا برغم أنها

ليست ساعة ذروة ولكن متى خلت شوارع العاصمة؟ لم يعد هذا ممكنا ولا حتى في أيام العطلات.

وصلت إلى مقر الجريدة وركنت سيارتها في مكانها المعتاد وألقت تحية الصباح على مسئول الأمن على البوابة بإبتسامتها البشوشة في وجه الجميع، وصلت إلى مكتبها لتبادرها "شيرين" صارخة في وجهها:

- وربنا أنتي بتستهبلي! إيه يا بنتي أتأخرتي كده ليه؟

إبتسمت في هدوء فقد إعتادت على نوبات قلق وثورة صديقتها الوحيدة التي تعتبر نفسها مسئولة مسؤولية كاملة عن سلامتها وأمنها وأجابتها بهدوء:

- صباح الفل يا شيري ... معلش راحت عليا نومة تقريباً سهرت كتير بالليل.

كانت "شيرين" لا تزال تشعر بغضب وحنق على "نوران" زاده هذا الهدوء المستفز الذي قابلت به ثورتها عليها فردت بنفس الصوت المرتفع:

- طبعا سهرتي ع المدعوق (الفيس بوك) في جروبك الأدبي ده. يا بنتي أرحمي نفسك من السهر شوية وبعدين لحد أمتى هتفضلي تكتبي للناس نقد أدبي لأعمال الكتاب الآخرين .. مش ناوية بقى تكتبي أنتي، مش ناوية ييجي يوم الناس تقرأ كتاباتك أنتي ويكتبوا عنها نقد؟

نظرت "نوران" لصديقتها وعبس وجهها، ها هي "شيرين" تبدأ من جديد محاضرة مطولة عن هذا الموضوع، لا تمل أبدا من الحديث بشأنه، لماذا لا يتركها العالم في سلام؟

ساد الصمت لحظات قبل أن ترد "نوران":

- "شيرين" من فضلك... مش عايزة أناقش الموضوع ده تاني .أنا كده مستريحة وكويسة... وجروبي مش تافه زي ما أنتي متخيلة .أنا بكتب نقد أدبي تفصيلي للأعمال الأدبية الجديدة والناس بتحب تقرأ النقد ده وبيفيدهم وبيديهم فكرة كويسة عن الأعمال دي. أنتي بقى زعلانة ليه؟

شعرت "شيرين" بالندم لحظة لثورتها الشديدة على "نوران" وهي تعلم جيداً أنها لا زالت تتعافى من أزمتها بعد وفاة والدها منذ ثلاثة أعوام وتحاول التغلب على إحساسها بالذنب لشعورها أنها إنغمست تماماً في حزنها الخاص فلم تنتبه لوالدها الذي كان يذبل يوماً بعد يوم أمامها ليفترسه المرض في نهاية الأمر. تنهدت وأقتربت من صديقتها وأحاطتها بذراعها قائلة:

- يا حبيبتي أنتي عارفة أني خايفة عليكي ونفسي تخرجي من الحالة دي أنتي تستحقي تكوني أفضل تستحقي تكوني سعيدة يا "نورا". ده حتى شغلك أنتي عاجبك حالك كده؟ من صحفية تحقيقات معروفة بالإسم لمسؤولة عن صفحة أدبية شغلها يخلص في نص ساعة؟ بتهربي من إيه؟ وخايفة من إيه؟ أنتي عمرك ما كنتي ضعيفة، أنا عايزة "نورا" صاحبتي القوية الشجاعة اللي مفيش حاجة كانت تقدر تهزمها أبدا فاهماني يا "نورا"؟ أنتي

تقدري بس مشكلتك أنك مش عايزة. أنتي مش عايشة في سلام يا حبيبتي، أنتي عايشة في منفى إختياري مخيف.

تجمعت الدموع في عيني "نوران" وقاومتها بشدة وهي تنظر لصديقتها وإبتسمت لها إبتسامة باهتة كي لا يكون البديل سيل صعب وقفه من البكاء. كانت تشعر بجدية مخاوف "شيرين" وتعلم جيدا أنها تحبها بصدق وتشعر بقلق بالغ عليها. لدى "نوران" الكثير من الأصدقاء والمعارف لكن ظلت "شيرين" وحدها هي الصديقة التي تجاوزت مكانتها مكانة الشقيقة في قلبها، ومنذ الوهلة الأولى لمعرفتها أحبت "نوران" تلك السمراء النحيلة التي عرفتها صدفة في أوائل أيام دراستها الجامعية. تذكر "نوران" هذا اليوم بوضوح عندما كانت تجلس في القاعة الدراسية إنتظاراً لبدء محاضرة مادة (الترجمة الصحفية) وإذا بفتاة خجول تخطو بخطوات مترددة للقاعة وتبحث بعينيها عن مكان لتجلس فيه دون جدوى بعد أن إمتلأت القاعة عن آخرها. نظرت لها "نوران" وشعرت بحيرتها فتحركت لتفسح لها مكانا بجوارها وسط نظرات إعتراض وإمتعاض من الجالسات بجوارها لتصدهن "نوران" بنظرة حاسمة أسكتت الجميع. شكرت "شيرين" "نوران" بخفوت ولاحظت "نوران" شحوبها وشرودها لكن أرجعت ذلك لهيبة أيام الدراسة الجامعية الأولى لكن مع الأيام لاحظت أنها لا ترتدي سوى اللون الأسود دائما فسألتها على استحياء عن السبب لتخبرها "شيرين" بأن والدتها توفيت قبيل بدء العام الدراسي بفترة وجيزة لتترك لها مهمة رعاية والدها وشقيقيها الصغيرين. تعاطفت معها "نوران" وشعرت بألمها وحزنها خاصة أن "نوران" نفسها لم تعرف والدتها تقريبا حيث توفيت بعد مولدها بثلاثة أعوام فقط لتنشأ

مع والدها وشقيقها "عمر". تلازمت الفتاتان وقلما افترقتا منذ ذلك الحين وقد وجدت كل منهما في الأخرى الشقيقة التي تتوق لها والملاذ الآمن من أمواج وتقلبات الحياة.

ظلت صداقة "شيرين" و"نوران" محل دهشة الجميع فالفتاتان مختلفتان كل الإختلاف في الطباع والشخصية، ففي حين كانت "نوران" تتمتع بشخصية إجتماعية وقوية ومرحة كانت "شيرين" تفيض خجلا ورقة ووداعة ومع ذلك كثيرا ما كانت "نوران" تشعر أن "شيرين" هي شقيقتها الكبرى التي تحوطها بالرعاية والحنان المفقودين في حياتها، أما "شيرين" فكانت تعشق صديقتها المخلصة الجميلة وتفخر جدا بأي نجاح تحققه "نوران" وكأنه نجاحها الشخصي. وكأنما أراد الله أن يعوض كل منهما عن غياب أهم وأقرب إنسان لأية فتاة ... (الأم)، فجمع بينهما الحب والتقارب والألفة حتى تحولت صداقتهما مع الأيام لكيان متكامل وكأنهما توأم لم يفترقا لحظة منذ الميلاد. زاد على صداقتهما المتينة زمالة فور التخرج في تلك الجريدة المستقلة واسعة الإنتشار حيث أصبحت "شيرين" مسؤولة عن صفحة المرأة وباب المشاكل الإجتماعية الذي يحمل عنوان "صديقة القلوب" كما حققت "نوران" نجاحا واضحا في قسم التحقيقات الميدانية قبل أن تكتفي مؤخرا بالإشراف على الصفحة الأدبية فقط.

حاولت "نوران" مغالبة إحساسها بالإنزعاج وقامت لتقبل "شيرين" في خدها وبكلمات معتذرة قالت لها:

- متزعليش يا "شيري" ... أنا عارفة أنك قلقانة عليا... بس متقلقيش أنا بخير الحمد لله ربنا ما يحرمني منك.

قبل أن ترد "شيرين" فوجئت الفتاتان بدخول زميلهما محرر الصفحة الرياضية "هشام" وبحركات تمثيلية بدا كأنه يعزف على آلة الكمان في الهواء ومازحهما بقوله:

- تيرا را را إتنين لمون هنا يا "عوض" للأساتذة.

ضحكت كلتاهما في آن واحد وفي قرارة نفسها شكرت "نوران" "هشام" لوصوله في الوقت المناسب لينتشلها من توترها وألمها، وكانت أول من تحدث فمازحته قائلة:

- والله لو هتطلب لنا شاي على حسابك يبقى كتر خيرك يا كابتن. إعمل حاجة لوجه الله ده أنت لسه لاهف مكافأة قد كده.

رفع "هشام" كفه في وجهها بعلامة (خمسة وخميسة) ورد قائلا:

- يا ستي أرحميني هي الكحكة في أيد اليتيم عجبة؟! حاضر هطلب لك الشاي وأنتي يا "شيرين"؟ شاي زي صاحبتك ولا تفطري معايا الأول؟

إبتسمت "شيرين" بحياء ورفضت عرض الإفطار برقة وإكتفت بطلب شاي هي الأخرى.

جلس "هشام" على مكتبه يتصفح الجريدة في حين نظرت "نوران" بخبث لصديقتها التي اكتسى وجهها بحمرة مفاجئة. كانت تعلم مدى عمق حب "هشام" لـ "شيرين"، كان الجميع في الجريدة يعلمون ذلك وعلى الرغم من محاولاته الكثيرة للتقدم لطلب يدها وكانت ترفض دائما، لكنه لم ييأس أبدا ولم يفتر حبه لها وظل يتحين الفرصة المناسبة لتجديد طلبه.

حاولت "نوران" كثيرا إقناع صديقتها بالموافقة على الإرتباط بهذا الشاب الطموح الذكي الذي ينتظره مستقبل واعد في الصحافة، لكنها دوما تشعر أنها مسؤولة عن والدها وشقيقيها حتى بعد تخرجهما وإلتحاقهما بوظائف محترمة، بل أن شقيقها "شريف" خطب زميلة له بالفعل وإقترب موعد زفافه. وفي حين يزحف عمر "شيرين" نحو الخامسة والثلاثين لكنها ظلت ملتزمة تماما برعاية والدها وشقيقيها لدرجة رفضت معها الإرتباط خشية أن يؤثر على مهمتها المقدسة وبرغم حبها الشديد لـ"هشام".

كانت "نوران" دائما تمازحها بوصفها "أم الرجال" وعلى قدر ما كان ذلك الوصف يثير ضحك "شيرين" لكنها كانت تشعر معه بثقل الهم الملقى على عاتقها منذ وفاة والدتها.

مضى اليوم بشكل روتيني وهادىء في العمل وطوال الوقت كانت عينا "نوران" معلقتان بساعة الحائط، لماذا يجري الوقت بسرعة حين لا نريده أن يمر؟! هل تآمرت الساعة مع "خالد" عليها لتضمن له ذهابها في الموعد قبل أن تغير رأيها وتفر بعيدا عنه؟! اقتربت الخامسة هل تذهب؟ لا لن تذهب وليكن ما يكون. بل ستذهب. هي تريد أن تذهب. ليست هي، جزء منها يريد الذهاب والبقية الباقية تحاول إقناع هذا الجزء المتمرد بالعدول عن تلك الفكرة. ماذا تفعل؟

لم تجرؤ "نوران" على الحديث مع "شيرين" حول ما حدث بالأمس ولا عن موعد الخامسة ماذا عساها تقول؟ سيكون رد فعل "شيرين" عاصفا. لكنها تحتاج بشدة للحديث، يكاد كتمان الأمر يقتلها وكأنها لا تقوى على تحمل مسؤولية قرار الذهاب بمفردها.

مع من ستتحدث وليس لها سوى "شيرين"؟ هل تتصل بـ"ماجد"؟ هل بلغت بها الحماقة هذا المدى؟! وكأن لديه وقت كاف للإستماع لهذيانها! ثم ما علاقته بالأمر؟! لماذا إتجه تفكيرها له؟ صرفت الفكرة عن ذهنها على الفور وظلت صامتة.

لاحظت "شيرين" صمت صديقتها وشرودها حتى أنها نادتها عدة مرات فلم تنتبه. بادرتها بقولها:

- "نوران" أنتي مالك النهاردة؟ أنتي فعلاً مش طبيعية حصل حاجة أنا معرفهاش؟

ها هي "شيرين" تسدد لها ضربة مباشرة مباغتة لتحاصرها فلا يمكنها الفكاك ماذا عساها أن تقول؟

رسمت "نوران" على وجهها إبتسامة حاولت جاهدة أن تبدو طبيعية وردت عليها بصوت يكافح ليخرج ثابت وواضح:

- أنا بخير يا أبلة الناظرة خليكي بس غرقانة في كوم الجوابات والإيميلات اللي عندك ... حلي مشاكل الناس كده وخلي الواد قاعد جنبك لما هيعنس زي حالاتنا يا مفترية.

ضحكت "شيرين" لدعابتها وهتفت بها:

- وربنا لسانك ده عايزة أجره كده وأقص لك نصه.

لم تعاود "شيرين" مجددا سؤالها عما بها لكن في قرارة نفسها شعرت أن هناك شيء ما يجثم على روحها ويزعجها بشدة وظل القلق يعصف بقلبها.

في تمام الرابعة بدأ المحررون يستعدون للإجتماع الأسبوعي للتحرير، وفوجئت "شيرين" بـ"نوران" تتأهب للمغادرة، فاندهشت بشدة وسألتها:

- على فين يا بنتي؟ عندنا إجتماع أنتي ناسية ولا إيه؟

ردت عليها "نوران" وهي تعبث في حقيبتها بحثاً عن مفتاح سيارتها:

- لا مش ناسية بس عندي صداع... وبعدين هو أنا من أمتى بحضر إجتماعات تحرير؟ كبري دماغك يا "شيري". بالليل أبقي أحكي لي رغيتوا في إيه. يلا سلام أنا همشي بقى.

غادرت "نوران" على التو قبل أن تنتظر رد صديقتها. كانت في حقيقة الأمر تهرب من نظراتها وشكوكها وتخشى أن تقرأ ما يعصف بوجدانها في عينيها. وربما كانت أيضا تتعجل موعدها الرهيب في الخامسة كمن يساق للإعدام ويدرك أنها النهاية فيتعجلها لعجزه عن الفرار منها. لماذا وافقت على لقائه ولماذا تذهب إليه؟ ودت بشدة لو تجد جواباً مقنعاً لنفسها قبل أن تقنع به أي شخص آخر.

*****

(2)

طوت سيارة "نوران" شوارع القاهرة حتى وصلت إلى (مدينة نصر). ترجلت من سيارتها ولا زالت تشعر أن قدماها لا تطاوعانها تماما ما بين إقدام وإحجام. توقفت لحظت عند بوابة المركز التجاري الشهير الذي يضم المقهى مكان اللقاء ... (مكاننا القديم) كما وصفه "خالد".

وفي ثواني قليلة هاجمتها ذكريات أعوام ماضية بشراسة كادت تفقدها إتزانها. هل حقا يمكن لجروح الروح أن تلتئم؟ تلك الجروح التي يزداد ألمها بمرور الوقت وندرك مدى عمقها حتى نصل في وقت ما للتساؤل: هل ستشفى يوما ما أم أن أننا صرنا بسببها مشوهين للأبد؟

إلتقطت أنفاسها ورفعت خصلة شعر شاردة بحركة عفوية لتدفعها خلف أذنها. دخلت بخطوات متوترة للمقهى ووقفت تبحث بعينيها عن "خالد". تجمدت مكانها عندما لمحته يلوح لها بيده وشعرت للحظة أن العالم كله إختفى من حولها ولم يعد هناك سواهما وسط فضاء سرمدي مظلم.

جاهدت لإقناع ساقيها بالحركة وإتجهت نحوه، نهض بقامته الفارعة ليستقبلها بإبتسامته الساحرة التي طالما أذابت قلبها ومد يده ليصافحها فصافحته بأطراف أصابع مثلجة وأشار لها لتجلس، جلسا سويا في هذا الركن الهاديء وظل كل منهما يحدق في الآخر للحظات.

لشد ما تغيرت يا "خالد"!

في الأربعين من العمر لم يعد "خالد" هذا الشاب الذي عرفته قديماً وأحبته بل صار رجلاً ناضجاً، إختلطت خصلات شعره البنية ببضعة خصلات بيضاء خطت فوديه وزادت جاذبيته. عيناه فقط لم تتغيرا أبداً، عيناه اللتان تشبهان بئر عميق من العسل الصافي سقطت فيه "نوران" دون أمل للخلاص.بادرها بقوله:

- ياه يا "نوران" مش مصدق أني شايفك قدامي تاني، أخبارك إيه؟ إحكي لي ... الأول البقاء لله أنا عرفت بوفاة بابا وعارف أنتي كنتي متعلقة به إزاي وبتحبيه الله يرحمه.

شعرت بإضطراب شديد وبيد باردة تعتصر قلبها عندما تطرق بحديثه لوالدها لكنها حاولت الإحتفاظ بهدوئها وأجابته:

- شكرا يا "خالد" فيك الخير ... الله يرحمه.

ساد بينهما صمت يعلو فيه صخب الكثير من المعاني والكلمات، قطعه وصول النادل ليسأل عن طلبهما. لم ينتظر "خالد" ليسألها ماذا ستشرب وإنما سارع على الفور بطلب عصير الفراولة المفضل لها وطلب له قهوة. إبتسمت "نوران" في قرارة نفسها ... لازلت تذكر يا "خالد".

ما أن غادر النادل حتى عاد "خالد" للحديث مجدداً:

- أخبارك إيه يا "نوران"؟ لسه برضة مهووسة بالصحافة؟ عليكي بإيه وجع القلب ده؟ أنتي فاكرة حد من الناس مهتم يقرأ ولا يعرف؟

ضحكت بفتور وردت عليه:

- أهو كل واحد بيعمل اللي يريحه يا دكتور.

تأملها بإستغراب لما خاطبته بلقب دكتور لكنه تجاوز الأمر وسألها:

- وأخبار قطك إيه؟ لسه موجود؟ كان إسمه إيه؟ "باتمان"؟

ضحكت "نوران" بصفاء تلك المرة وأجابته:

- لا إسمه "زورو" وأيوة لسه موجود مبقاش ليا غيره دلوقتي.

إبتسم "خالد" وإقترب منها برأسه ليهمس لها:

- تعرفي أنا ممكن أسافر من آخر الدنيا لحد هنا علشان بس أشوف ضحكتك دي.

إكتسى وجهها بحمرة شديدة وأغاظها "خالد" أكثر بضحكة عالية وهو يحدق في وجنتيها المخضبتين بحمرة داكنة ويقول:

- أول مرة في حياتي أشوف بنت عندها 35 سنة ولسه بتخجل وتحمر.

إبتسمت بهدوء وشعرت بنبضات قلبها تعزف سيمفونية على أوتار سعادة مرت بوجدانها بشكل عابر، ثم إختفت إبتسامتها على الفور لما تنبهت للمكان والزمان وأنهما هنا والآن وليس في الماضي البعيد. بادرته بالقول وقد هبطت بسلام على أرض الواقع بعد التحليق معه في عالمه الذي طالما أرهقها التجوال به:

- طلبت تشوفني يا "خالد". خير في إيه؟

صمت "خالد" لحظة ثم قال:

- وحشتيني يا "نورا" حبيت أشوفك.

بدا التوتر والإنزعاج على وجهها وهي ترد عليه:

- وحشتك؟! بأمارة إيه يا "خالد"؟ أه بالمناسبة أخبار "منار" إيه؟ هي رجعت معاك (مصر) طبعا بما أنك قلت إنه رجوع نهائي.

شحب وجهه وبدا السؤال مباغتا له لكنه حافظ على رباطة جأشه كعادته دائما وأجاب:

- أنتي عارفة أنا كنت مسافر (فرنسا) علشان درجة الزمالة وإستكمال دراستي لكن أكيد مكنتش هفضل بره للأبد. رجعنا وقررنا الإستقرار في (مصر) و"منار" إستلمت إدارة المستشفى من والدها وهشاركها في إدارتها بالإضافة لكوني جراح في نفس المستشفى طبعاً.

بدت "نوران" في تلك اللحظة باردة تماماً وأجابت بلهجة محايدة:

- ربنا يوفقك

تحطم الجو الهادىء وتناثر كذرات غبار في يوم عاصف. شعرت "نوران" بإختناق شديد ورغبة عارمة في الفرار من هذا المكان وظلت تنظر لساعتها كل فترة ولاحظ "خالد" توترها الشديد وحاول أن يتحدث في أي شيء عسى أن يبث في نفسها بعض الهدوء أو يطيل بقاءها معه. ظلا يتحدثا في أمور شتى بعيداً عن حياته وحياتها حتى قالت :

- أنا لازم أمشي يا "خالد". أتأخرت جداً.

همت بالنهوض ففوجئت به يدفع على الطاولة علبة صغيرة من القطيفة السوداء نظرت لها بدهشة وكأنها رأت أمامها **أ**فعى سامة وسألته:

- إيه ده يا "خالد"؟

- دي هدية عيد ميلادك يا "نورا"... أنا عارف أنها متأخرة شوية بس سامحيني أنا كنت مسافر زي ما أنتي عارفة.

ردت وقد تصاعدت داخلها رغبة بالصراخ في وجهه:

- أي عيد ميلاد فيهم؟ وليه؟

أجابها بصوت هامس:

- أفتحيها وشوفيها بنفسك هتعرفي.

فتحت العلبة لتجد بها سلسلة ذهبية أنيقة معلق بها قلب ذهبي محفوز داخله إسمها بالانجليزية "Noran" وأسفله مكتوب عبارة "10 years of love" . أغلقت "نوران" العلبة بعنف ووضعتها على الطاولة كما كانت، ونهضت لتهم بالمغادرة وقبل أن تغادر الطاولة أمسك "خالد" يدها بقوة وقال بصوت بدأ يغلب عليه الغضب:

- إستني رايحة فين؟ بلاش تصرفات الأطفال دي من فضلك حصل إيه نرفزك للدرجة دي؟

نظرت إليه بذهول لا تدري ماذا تقول؟ يسألها عن سبب غضبها؟!

جذبت معصمها من يده بقوة وردت عليه:

- ماشية يا "خالد" عاوز مني إيه؟ أرجوك سيبني أمشي.

صمت لحظة ولاحظ أن ثورتها أكبر من قدرته على إحتوائها فقال محاولاً مغالبة توتره:

- طيب هوصلك للبيت.

أخبرته أن معها سيارتها ولا تحتاج توصيلة وشكرته. حاول أن يستوقفها مجددا وناشدها بصوت متردد:

- طيب خدي هديتك أرجوك.

إبتسمت بمرارة وبدا وجهها لوحة تجسد كل معاني الألم والحزن وهي ترد:

- مراتك أولى بها يا "خالد". أنا لا أقبل هدايا من غرباء... سلام.

وإنطلقت مغادرة المكان قبل أن تخذلها قواها.

*****

(3)

توقفت "نوران" بسيارتها أمام منزلها وهي لا تكاد تعي شيئا حولها ولا تعلم حتى كيف تمكنت من قيادة سيارتها طوال الطريقِ من (مدينة نصر) حتى (المهندسين).

شعرت بأنفاسها متلاحقة وأنها على وشك الإنهيار التام فأسندت رأسها للخلف في محاولة للسيطرة على نفسها لكن دون أن تشعر إنسابت دموعها حارة على وجنتيها. تركت لها "نوران" المجال بحرية تامة عساها تشعر بقليل من الراحة. لا تدري كم بقيت على هذا الوضع حتى رفعت رأسها لتنظر للسماء بعينين غائمتين لترى القمر وقد بدا شاحبا بشدة واختفى ضياءه خلف الغيوم.

شعرت بانقباض شديد في نفسها وإستعادت تلك الذكرى البعيدة في طفولتها عندما كانت طفلة لا يتجاوز عمرها السابعة تتقافز متعلقة بيد والدها الذي أصطحبها لطبيب الأسنان لعلاج هذا الألم الشديد الذي كانت تعاني منه في أحد ضروسها. كانت تشعر بفزع شديد وتكره طبيب الأسنان مثل كل الأطفال لكنها لم تبكي، لم تبكي أبداً. لم يرها أحد تبكي ولا حتى الطبيب، وبرغم الألم الحاد تحملت بشجاعة وكتمت دموعها. أشفق الطبيب على تلك الصغيرة فإبتسم لها بعد أن قام بخلع الضرس الذي أرقها ألمه ومنحها قطعة من الشيكولاتة وقال لها:

- أنتي بنوتة شجاعة وبابا أكيد فخور بيكي جداً.

إبتسم والدها لكلمة الطبيب وفي طريق العودة للمنزل شعر الأب أن إبنته على وشك الإنفجار في البكاء لكن يمنعها الكبرياء فقال لها ببشاشة:

- "نورا" تحبي تتمشي مع بابا شوية؟

أومأت برأسها بالموافقة، فأمسك الأب بيدها ليتمشيا سويا في الشارع الواسع الذي كاد يخلو من المارة في تلك الأمسية الشتوية الباردة. رفعت "نوران" عيناها للسماء أثناء سيرها بجوار والدها وشعرت بخوف شديد، كان القمر يبدو شديد الشحوب وقد غاب ضياءه تماما وتكاثفت حوله السحب الكثيفة.

إلتصقت "نوران" بوالدها الذي ربت على رأسها وحاول طمأنتها عندما شعر بذعرها وحاول أن يلاطفها بكلمات بسيطة ليخفف من وطأة الخوف الذي تسبب في شحوبها بشكل واضح. توقف وحمل فتاته وأشار لها بيده للقمر قائلاً:

- متخافيش يا "نورا" القمر نوره ساطع عمره ما يغيب، لكن زي ما إحنا في حياتنا بيصادفنا أيام صعبة بنكون فيها مش مبسوطين القمر كمان أحيانا ضوءه بتحجبه الغيوم وبنحس أن نوره إنطفأ وغاب لكن مهما طال أمد الغيوم هيرجع القمر ينور تاني.

ظل الأب يتحدث إليها ويلاطفها حتى هدأ روعها وبدأت تضحك على القصص اللطيفة التي شرع يحكيها لها.

تعالى بكاء "نوران" لتلك الذكرى العابرة وشعرت بشوق شديد لأبيها، طوال عمرها لم تشعر أنها هشة وضعيفة إلا بعد أن فقدته.

دائماً كان الدرع الذي تحتمي به من الأيام والآن صارت في مهب الريح تتقاذفها كيفما تشاء. ناجت أبيها الراحل هامسة:

- غيومي طولت قوي يا بابا. حياتي مبقاش فيها إلا غيوم متواصلة مبقاش فيها أي نور خلاص... يا ترى هتفضل الغيوم طامسة كل شيء حواليا كده للأبد؟ مش هييجي يوم بقى أشوف فيه النور من جديد؟

غادرت "نوران" سيارتها وهي لا تكاد ترى بعينيها الغائمتين بالدموع، وما أن أدارت المفتاح في باب الشقة حتى قابلها "زورو" كعادته بالتقافز حولها في فرح، لكنها لم تكن في بال رائق له بالمرة. إتجهت بشكل آلي إلى المطبخ لتطعم القط ثم خرجت تجول في أنحاء المنزل الذي ساده صمت تام وبرودة في جميع أركانه دون هدى. شعرت بمدى وحشة أن يكون الإنسان وحيدا في هذه الدنيا! يحسدها الجميع على إستقلالها المادي وحريتها كما يصفونها، لكن ماذا يعلمون حقا؟ هل يدرك أحد مدى حاجتها ولو لظل إنسان يهديء من روعها ويد تربت على كتفها وتطمئنها بأن كل شيء سيكون على ما يرام؟ هل يدركون أن الوحدة التي تحرر الإنسان من قيود المسؤولية عن غيره هي نفسها التي تكبله بأغلالها عندما ينظر حوله فلا يجد سوى ذراعيه يلفهما حوله ليستمد الأمان من نفسه لنفسه؟

كانت تشعر بحالة من فقدان التوازن والتشويش حتى أنها لا تذكر متى وكيف تكورت في وضع جنيني على الأريكة في غرفة المعيشة وغفت فلم تصحو إلا على صوت رنين ملح لجرس البوابة

الخارجية لباب المنزل ورنين هاتف المنزل دون توقف في ذات الوقت.

نهضت مسرعة وهي لا زالت تعاني من حالة تشوش تامة. التقطت سماعة الهاتف المنزلي والصداع يكاد يفتك بها وردت بصوت ضعيف:

- ألو.

أتاها صوت "شيرين" الغاضب على الطرف الآخر:

- والله هتموتيني ناقصة عمر. أنتي فين يا "نورا" من بدري؟ وموبايلك مقفول ليه؟ وليه مش بتردي؟ أنتي بخير؟ إنزلي إفتحي لي حالا ... أنا واقفة قدام باب بيتك.

حاولت "نوران" جاهدة التركيز لفهم ما يحدث وهالها أن رفعت عينيها لساعة الحائط لتجد الساعة تجاوزت الثانية عشرة مساء بقليل. شعرت بقلق بالغ لأن "شيرين" جاءت لزيارتها في هذا الوقت وما هي إلا لحظات حتى إستعادت ذكرى الساعات القليلة الماضية وخمنت أنها سببت حالة قلق بالغ لصديقتها لإختفائها فجأة دون تفسير طوال هذا الوقت.

نزلت مسرعة لتفتح بوابة المنزل لـ "شيرين" التي كانت تتحدث على الهاتف المحمول مع والدها وسمعت نهاية الحوار وهي تقول:

- هبات مع" نورا" يا بابا موافق؟ اه هي ردت عليا بس مش مطمنة حاسة أنها تعبانة. طيب هقول لـ"شريف" يرجع هو

البيت وأنا هرجع الصبح إن شاء الله. متقلقش هنفقل الباب كويس ولو في حاجة هتصل على طول. سلام يا بابا.

وقفت "نوران" بجوار البوابة في انتظار "شيرين" التي اتجهت لسيارة شقيقها المتوقفة أمام منزل "نوران"، تبادلت معه كلمات سريعة إنطلق بعدها مغادراً وعادت "شيرين" لـ"نوران" وعلى وجهها علامات القلق الممتزج بغضب واضح.

لم تتفوه "نوران" بكلمة وأغلقت بوابة المنزل بعد دخول صديقتها وصعدت معها إلى الشقة، دخلت وجلست على طرف الأريكة منكسة رأسها وقد أمسكت بها بكلتا يديها في محاولة يائسة لوقف الصداع الذي إنهالت مطارقه على عقلها دون رحمة.

أغلقت "شيرين" الباب الذي تركته "نوران" مفتوحا بشرود وسألتها بقلق:

- موبايلك مقفول ليه؟

ردت عليها "نوران" دون أن ترفع رأسها بصوت مغلف بألم واضح:

- مش عارفة. مقفلتهوش جايز البطارية شحنها خلص شوفيه في الشنطة كده.

صمتت "شيرين" لحظة قبل أن ترد:

- بعدين. المهم أنتي أكلتي حاجة ولا إيه؟

تذكرت "نوران" للتو أنها لم تتناول أي طعام منذ الصباح الباكر ومع ذلك لم تكن تشعر بأي جوع، على العكس كان الغثيان

يتبارى مع الصداع أيهما يسبب لها الألم الأكبر. ردت محاولة بكل جهد أن يبدو صوتها طبيعي:

- مش جعانة يا شيري أنا بس محتاجة شاي ومسكن من فضلك.

خلعت "شيرين" حجابها على الفور وإتجهت للمطبخ ولم تلتفت لطلب "نوران" حيث قامت بإعداد بعض الشطائر وكوبين من الشاي وعادت بعد فترة وجيزة لتتربع بجوار صديقتها على الأريكة.

حاولت "نوران" الاعتراض لكنها تعلم جيدا أن من المستحيل الفكاك من "شيرين" طالما صممت على شيء. تناولت الشطيرة من يد صديقتها وجاهدت من أجل إبتلاع قضمة واحدة لإسكات صديقتها اللحوحة. تناولت قرص مسكن ثم أمسكت كوب الشاي الدافيء بكلتا يديها لكن ارتجافة يديها لم تكن لتخفى على عيني "شيرين" المتفحصتين اللتين أطل منهما القلق بوضوح.

انتظرت "شيرين" قليلا حتى انتهت "نوران" من شرب الشاي لتسألها:

- ممكن أعرف مالك؟ ومتقوليش مفيش حاجة. خبي عن العالم كله لكن مش أنا يا "نورا" وأنتي عارفة. حصل إيه؟ ورحتي فين النهاردة فجأة واختفيتي من ساعتها؟

ساد الصمت لفترة وجيزة قبل أن ترد "نوران" بخفوت دون أن ترفع عينيها لصديقتها:

- قابلت "خالد" النهاردة يا "شيري".

ظهر الغباء وعدم الفهم فجأة على وجه "شيرين" وهي تسأل:

- "خالد"؟ ... "خالد" مين؟

ردت "نوران" بنفاذ صبر:

- "خالد" يا "شيرين" هو أنا في حياتي كام واحد بالاسم ده؟

شهقت "شيرين" وهتفت بعفوية:

- خالد الحران!

ضحكت "نوران" برغم الألم الذي يعصف بها وردت:

- أنتي لسه فاكرة اللقب ده يا "شيري"؟ هتفضلي طول عمرك فاكراه كده؟

كانت "شيرين" هي من أطلقت على "خالد" لقب "الحران" في أيام الحب الأولى بينه وبين "نوران". كانت هي و"نوران" وقتئذ بعد التخرج مباشرة من الجامعة وفي مرحلة الدراسات العليا عندما تعرفت "نوران" صدفة على الطبيب الشاب حديث التخرج الذي سافر لإستكمال دراسته والعمل في أوروبا. جمع حب من أول نظرة في لقاء كانت بطلته الصدفة بين "خالد" و"نوران" التي تذكرت باسمة المرة الأولى التي شاهدت فيها "شيرين" "خالد" عندما مر ذات يوم بـ"نوران" في الجامعة وكان يوم شتوي بارد وكانت "شيرين" تحاول اكتساب بعض الدفء من أشعة الشمس الباهتة وقد ارتدت معطف شتوي ثقيل. لم تنس "نوران" نظرة الذهول التي ألقتها على "خالد" الذي أقبل من بعيد يلوح

لـ"نوران" وقد شمر أكمام قميصه للكوعين وبدا وجهه محمراً جداً لإحساسه بالحر بعد أن إعتاد على الطقس شديد البرودة في أوروبا، ومنذ ذلك اليوم أصبح (خالد الحران) من وجهة نظر "شيرين".

لم تشارك "شيرين" صديقتها الضحك تلك المرة وبدت الجدية واضحة على كل ملامحها وهي تقول:

- "نوران" ... أنتي مجنونة؟ قابلتي "خالد" فعلاً؟ إيه لم الشامي ع المغربي تاني وعاوز منك إيه؟ أنتي نسيتي اللي عمله فيكي؟ أوعي تكوني أنتي اللي إتصلتي به يا "نورا".

لوحت "نوران" بيدها لتقاطع سيل الكلام الذي إندفع من فم صديقتها وردت بشكل موجز وسريع:

- يا "شيرين" أنا متصلتش بحد. هو أنا كنت أعرف هو فين أصلاً؟ هو اللي إتصل وصمم يشوفني رحت قابلته، صدقيني أنا مش عارفة ليه رحت ... حاجة جوايا دفعتني أني أروح وخلاص.

لم يبد اللين على ملامح "شيرين" ولو لحظة وهي تسألها ببرود:

- كان عايز منك إيه؟

إبتسمت "نوران" بسخرية وردت عليها:

- وحشته يا ستي وكان عايز يشوفني. على فكرة هو رجع (مصر) خلاص مش مسافر تاني.

تحولت ملامح "شيرين" للغضب مجددا وهي تهتف بها:

- وحشتيه؟؟؟ لا والله! من إمتى الحنية دي كلها؟ ده جريء جدا! إزاي قدر أصلا يوريكي وشه تاني بعد اللي عمله؟

فركت "نوران" مقدمة رأسها في محاولة طفولية لطرد الصداع الذي استوطن به وقالت:

- أهو اللي حصل يا "شيرين". إنسي بقى أرجوكي أنا فيا اللي مكفيني مش ناقصاه خالص.

صمتت "شيرين" لحظات ثم عاودت سؤالها:

- طيب أنتي عملتي إيه؟ ولا قولتي له إيه؟ هتشوفيه تاني؟

شعرت "نوران" في تلك اللحظة أنها بلغت أقصى درجات التحمل ولم تعد قادرة على مواصلة هذا الحوار. مجرد الحديث عنه يصيبها بألم عميق يجتاح كامل كيانها، فصرخت في وجه صديقتها:

- يووووه يا "شيرين" قلت لك اقفلي بقى السيرة دي معملتش حاجة سبته ومشيت ومش هشوفه تاني. مش عارفة ... لا مش هشوفه أرجوكي متخلنيش أشوفه تاني مش عايزة يا "شيرين" ساعديني أرجوكي امنعيني أني أشوفه أنا عارفة نفسي لو اتصل تاني وقالي عايز أشوفك تاني مش هقدر أقول له لا أنا ضعيفة يا "شيرين" ضعيفة ومحتاجة لك قوي.

أجهشت "نوران" بالبكاء من جديد فأشفقت عليها "شيرين" بشدة وقامت إليها تحتضنها بقوة وقالت لها:

يا "نورا" حرام عليكي نفسك والله ما يستاهل دموعك الغالية دي. متقلقيش والله ما هسيبك لوحدك أبداً وأنا اللي هوقفه عند حده أنا مش هسمح له يؤذيك تاني. أنا ما صدقت أنك بدأتي تفوقي من صدمتك فيه مش هسمح له أبداً يسبب لك أي ألم تاني.

كانت "نوران" في قرارة نفسها تشعر بامتنان شديد لصديقتها المقربة لكنها كانت تخجل في الوقت نفسه من ضعفها الشديد أمام "خالد". لم تكن أبدا ضعيفة طوال حياتها لكنها أمامه وحده هشة جدا بدرجة تدفعها لكراهية نفسها أحيانا.

حاولت "شيرين" أن تتصنع المرح لأنها كانت تعلم جيدا الصراع النفسي الرهيب الذي تعاني منه "نوران" بسبب ظهور "خالد" مجدداً في حياتها فأمسكت حقيبتها وأعطتها لها وهي تقول:

- تعالي بقى نشوف موبايلك حصل له إيه؟ علشان أوريكي عدد الإتصالات اللي اتصلتها بيكي ده أنتي سيبتي ركبي حرام عليكي والله.

ابتسمت "نوران" ومسحت دموعها بيديها وفتحت الحقيبة وأخرجت هاتفها الذي كان بالفعل مغلقا بعد أن فرغ شحن البطارية وأوصلته بالشاحن وفتحته مجددا. نظرت للشاشة وأرتفع حاجباها في دهشة واضحة فمازحتها "شيرين" قائلة:

- شوفتي بقى كام إتصال؟ كنتي هتموتيني من القلق عليكي بعد كده هاخد منك جنيه عن كل مكالمة مش بتردي عليها.

ردت عليها "نوران" دون أن ترفع عينيها عن شاشة الهاتف:

- بالإضافة لإتصالاتك يا شيري "ماجد" اتصل 7 مرات وبعت 3 رسائل. غريبة جدا! دي أول مرة يعملها، معقول يكون قلق لغيابي هو كمان؟ بس ليه؟ يعني مش للدرجة دي ولا أنتي إيه رأيك؟

إبتسمت "شيرين" إبتسامة ذات مغزى وغمزت لصديقتها قائلة:

- أراهنك يا بت يا "نورا" الراجل ده بيحبك.

ضحكت "نوران" وردت على الفور مقلدة أسلوبها:

- أراهنك يا بت يا "شيرين" أنتي مخك ضرب خلاص! يا بنتي ما أنتي عارفة اللي فيها حب إيه اللي بتتكلمي عنه؟ ده واحد الإخلاص عنده بلغ مداه لدرجة أن كل أعماله الأدبية بتدور حول حبيبته الراحلة. لو "ماجد" موجود وسط فاتنات العالم مش هيشوف واحدة غير "مريم". كمان أنتي عارفة كويس علاقتنا عملية تماما يمكن تحولت لصداقة من فترة لكن ده كل الموضوع..

صمتت لحظة ثم ابتسمت بحزن وقالت:

- "كمان حب إيه اللي بتتكلمي عنه يا "شيرين"؟ واحد زي "ماجد الدمنهوري" يوم ما يفكر يحب هيحب جثة حية زي حالاتي؟ أنا آخر واحدة تصلح للحب يا "شيري".

بدا الإعتراض على وجه "شيرين" فأبتسمت "نوران" ورفعت خصلة متهدلة من شعرها خلف أذنها في محاولة لإخفاء توترها وتغيير الموضوع وقالت لها:

- هو تقريبا قلق لأن دي أول مرة أغيب يوم كامل عن الجروب وكمان عن صفحتي على (الفيس بوك) أكيد ده دفعه للإتصال وزاد قلقه لما مكنش في رد. أنا هفتح (الفيس بوك) أبعت له رسالة أطمنه وأشكره على ما تعملي لنا اتنين شاي حلوين كده وتيجي... شكلنا هنسهر للصبح النهاردة، أنتي تتصلي بـ "هشام" الصبح خليه يعمل لنا أجازة.

هتفت بها "شيرين":

- وربنا أنتي داخلة على طمع. قولي بقى أنك محتاجة بس حد يعمل لك شاي كل شوية. صبرني يا رب.

ضحكت "نوران" وقامت لتقبل صديقتها على وجنتها وقالت لها:

- ربنا ما يحرمني من شايك يا شيري ... يلا بقى خليكي جدعة.

نهضت "شيرين" لتعد الشاي لها ولصديقتها في حين فتحت "نوران" (الفيس بوك)، وكما توقعت وجدت رسالة من "ماجد" يسأل عنها. ردت على رسالته وشكرته لسؤاله واعتذرت لغيابها الذي تسبب في قلقه وقالت إنها كانت تشعر بتوعك لكنها بخير الآن.

قرأ "ماجد" الرسالة على الفور ويبدو أنه كان موجود في انتظار ردها في أي وقت وهو ما ضاعف الدهشة في نفسها لكنها كانت قد إكتفت بما مرت به في هذا اليوم.

إنتظرت رده لكنه أكتفى بمشاهدة الرسالة ولم يرد، انتظرت برهة ثم أغلقت (الفيس بوك) دون أن تلقي نظرة على جروبها الأدبي.

كانت "شيرين" قد عادت بالشاي وجلست تعبث بجهاز التحكم عن بعد باحثة عن شيء يصلح للمشاهدة في التليفزيون دون جدوى حتى توقفت عند قناة تعرض فيلماً مصرياً قديماً جداً يبدو أنه من طليعة أفلام ما بعد عصر السينما الصامتة مباشرة. فتربعت على الأريكة وقالت لـ"نوران":

- هو ده فيلم السهرة، اقعدي يا بنتي اتفرجي ع الإبداع، فيلم من أيام الجنيه الجبس أهو.

ضحكت الفتاتان بصوت مرتفع وتشاغلت "نوران" بالحديث مع صديقتها حول أمور شتى لكن ذهنها ظل مشغولا بمخاوف عودة "خالد" للظهور في حياتها من جديد في حين تراكمت الدهشة في نفسها لتصرف "ماجد" وإلحاحه في الإتصال بها ثم قراءة رسالتها دون رد.

*****

(4)

تنفس "ماجد" الصعداء عندما شاهد رسالة "نوران" القصيرة التي ردت بها على رسالته وشكرته لسؤاله عنها. كان ردها مختصراً بشدة لكنه أكتفى أنها طمأنته. كان يود الرد عليها لكن في داخله يشعر ببعض الخجل كونه للمرة الأولى يلح عليها في الإتصال بهذا الشكل، لكن القلق كان قد بلغ مداه به فتلك هي المرة الأولى التي تغيب فيها يوما كاملا عن الجروب وعن صفحتها الشخصية.

كان "ماجد" يشعر بإستغراب شديد تجاه نفسه وإهتمامه بـ"نوران" وهو الذي عاش حياته من بعد "مريم" وحيداً زاهداً في أية صلة بالجنس الآخر برغم تحلق الفتيات حوله منجذبات لهالة الغموض المحيطة به والتي يرجع معظمها لكونه يحافظ على خصوصيته لدرجة الشراسة ولا يعرف سوى قليلين كل شيء عنه. امتزج هذا الغموض المحيط به بوسامته الملحوظة التي لازال محتفظاً بها رغم تخطيه الخامسة والأربعين حيث بدأ شعره الأسود الفاحم شديد النعومة في التحول للون الفضي مع عينين سوداوين تبرزهما نظارته الطبية الشفافة فرنسية الطراز وبشرته المائلة للون القمحي وقوامه الرياضي الممشوق الذي يحافظ عليه بممارسة رياضة المشي بإنتظام. والأهم من ذلك كله صوته العميق الهاديء الذي أصبح معروفا لمعظم مستمعي الإذاعة في (مصر).

لكن لا يعرف الكثيرون أن "ماجد" منذ عشرة أعوام فقط كان شخص مختلف تماما لولا ما طرأ على حياته ما غير مجراها للأبد. كان في ذلك الوقت مذيع في الإذاعة، يرتكز معظم عمله على قراءة النشرات الأخبارية وربط الفترات. ومتزوجاً من "مريم" التي

هام بها عشقا منذ أن كان طالبا في الجامعة وكانت هي في المرحلة الثانوية، إبنة الجيران الرقيقة وهو الطالب الرياضي المتفوق. تزوجا بعد تخرج "مريم" من الجامعة بعد قصة حب أسطورية جمعتهما وعاشا حياة حالمة سعيدة. أهم ما يميزها عشق "ماجد" للإسكندرية وحرصه على إصطحاب "مريم" إلى هناك في عطلة نهاية الأسبوع دائما صيفا وشتاء وكانت تشاركه عشق البحر وتأمله.

مضت حياتهما وكأنها حلم جميل حتى حملت "مريم" بطفلهما الأول بعد أعوام من الزواج. زاد هذا من سعادة العاشقين وظلا يرتقبان مرور الأيام الباقية على قدوم الضيف المنتظر. لكن ككل شيء جميل قصير العمر كان البيت الصغير الدافيء على موعد مع القدر. فقد أصيبت "مريم" بنزيف شديد قبيل موعد الولادة المتوقع ليسارع "ماجد" بنقلها للمستشفى في محاولة لإسعافها لكن بسبب خطأ طبي فادح أسلمت "مريم" الروح بعد لحظات من إنجاب طفلتها بعملية قيصرية، ولم تبقى الطفلة على قيد الحياة إلا ساعات قليلة قبل أن تلحق بوالدتها التي لم ترها حتى.

أصيب "ماجد" بصدمة نفسية عميقة بعد أن فقد حبيبته الوحيدة وابنته التي لم يجد حتى فرصة اختيار اسم لها. خشى عليه من حوله الإصابة بالجنون من شدة حزنه وإنعزاله عن الدنيا وما فيها وإنقطاعه التام عن كل شيء، بل أنه ترك القاهرة كلها وألتجأ إلى الإسكندرية يبث البحر -صديقه المشترك مع مريم- أحزانه وأوجاعه، فلم يعرف مكانه أحد سوى شقيقته الكبرى التي حرصت على زيارته من آن لآخر للإطمئنان عليه.

ومن رحم الأزمة والحزن ولد "ماجد" جديد وبعد عام كامل من العزلة، عاد "ماجد" إلى القاهرة ومعه الكثير من الأوراق التي وضعها على مكتبه في منزله دون أن يعرف أحد فحوى تلك الأوراق. وفور عودته توجه إلى مقر عمله مباشرة ليعرض على رؤسائه فكرة برنامج إذاعي جديد يشبه البرامج الحوارية في التليفزيون يذاع على الهواء مباشرة وتكون فكرة البرنامج هي كشف الفساد في كافة القطاعات التي تمس حياة الناس مثل الصحة والتعليم وغيرها. لاقت الفكرة قبولاً وحماساً من رئيس الإذاعة الذي قرر تكليف "ماجد" بإعداد مجموعة من الحلقات على أن تكون مدة البرنامج ساعتين يذاع لمدة خمسة أيام أسبوعيا وألا يتم الحديث عن أية قضية دون وجود مستندات كافية تثبت صحة قضايا الفساد التي يكشفها البرنامج.

أثار البرنامج ردود أفعال قوية ومرحبة من مستمعي الإذاعة من أولى حلقاته نظرا لما تميز به من مصداقية وجدية وحرص على الصالح العام إضافة إلى شخصية "ماجد" الجادة التي أضفت على البرنامج طابعا بأنه ليس مجرد برنامج موجود على الخريطة لسد فراغ وإنما يسعى بالفعل لكشف الفساد ومحاربته، ونجح بالفعل في إسقاط العديد من المسؤولين الفاسدين في مختلف المؤسسات والوزارات. ومع الوقت ذاع صيت "ماجد" وأصبح برنامجه من المعالم الرئيسية لليوم من الثالثة للخامسة عصرا، وأعاد للإذاعة مستمعيها في عصر هجر فيه معظم الناس الراديو للفضائيات والإنترنت.

ظلت الأوراق الغامضة في مكانها على مكتب "ماجد" حتى أنه هو نفسه لم يهتم بوضعها في مكان آخر حتى صادفتها شقيقته "منى"

ذات مرة أثناء تنظيفها شقته وأثار إهتمامها أن الأوراق مكتوبة بخط يد أخيها. وعندما أطلعت عليها فوجئت أن الأوراق تحوي ديواناً كاملاً للشعر من تأليف أخيها يرثى زوجته الراحلة وأنه أختار للديوان عنوان "سأحيا في محرابك".

أعجبتها أشعاره فهى لم تعرف من قبل مهارته في كتابة الشعر. فكرت في أن تفاجئه فقررت أخذ الديوان لإحدى دور النشر لمعرفة إمكانية نشر الديوان. رحبت دار النشر بشدة بالديوان وقرروا نشره بالفعل وعمل دعاية واسعة له. فوجيء "ماجد" بما فعلته "منى" وبرغم غضبه منها لعبثها في أوراقه وأنه كتب تلك الأشعار في المقام الأول لنفسه لا للنشر لكنه لم يعارض فكرة نشر الديوان.

نُشر الديوان وكان الإهداء الأول به لروح "مريم" الراحلة والإهداء الثاني للشقيقة الفضولية التي كان لها الفضل في خروج أشعاره للنور.

ومثلما حقق برنامج "المحروسة" الإذاعي نجاحا واسعا نجح الديوان الشعري وكتب ميلاد "ماجد" ككاتب متميز. ولم يكتف "ماجد" بعدها بكتابة الشعر وإنما كتب مجموعة قصصية وروايتين وحققت جميع أعماله الأدبية نجاحاً ملحوظاً وكرس حياته كلها لعمله في الإذاعة وإبداعه الأدبي.

حافظ "ماجد" بدرجة كبيرة جدا على خصوصيته فلم تتسع دائرة معارفه مع زيادة شهرته وفشلت كافة محاولات الكثيرات التقرب منه. كان بالفعل يحيا في محراب زوجته الراحلة ويمضي جل وقته

في الإهتمام بعمله أو الكتابة وواظب على عادته القديمة بقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الإسكندرية.

عرف "ماجد" "نوران" منذ عامين كاملين، وكانت معرفته بها عن طريق أحد أصدقائه المقربين تصادف أنه عضو في جروبها الأدبي وأخبره عن مديرة هذا الجروب التي تقدم للأعضاء نقداً تفصيلياً للأعمال الأدبية وترشح لهم ما يستحق القراءة. أخبره صديقه أن نقدها لروايته الجديدة "حنين المطر" يعد في حد ذاته تحفة أدبية قيمة. أثار هذا الوصف فضول "ماجد" الذي يحافظ على خصوصيته حد التقديس ويعد من الكتاب القلائل جدا الذين لا يعلم أحد شيئا عن تفاصيل حياتهم. قام بإنشاء حساب باسم مستعار على (الفيس بوك) وانضم للجروب الأدبي. كان يرغب في قراءة هذا النقد ومناقشة كاتبته فيه دون أن تعلم أنه هو نفسه "ماجد الدمنهوري" مؤلف الرواية. كان الانطباع الذي تكون لديه قبل الإنضمام للجروب أن صديقه يبالغ في إنبهاره بما كتبته "نوران" وأن الجروب غالبا تديره فتاة لديها الكثير من وقت الفراغ لا تجد ما تفعله سوى إستعراض ثقافتها على مواقع التواصل. لكن من اللحظات الأولى لتواجده شعر أنه تسرع في الحكم عليها فقد فوجيء بفتاة واسعة الثقافة بحق، على قدر كبير من التهذيب ورحابة الصدر الأمر الذي جعلها تدير ببراعة ملحوظة النقاشات الثقافية في الجروب بطريقة جعلت من كل منشور تكتبه قطعة أدبية تستحق التوقف والتأمل.

أعجبه جدا وأذهله نقدها لروايته وهو ما أكد له بالفعل أنها فتاة متمكنة تماما في النقد الأدبي، بل أنها قادرة أن تصبح كاتبة متميزة إن شاءت.

ظل "ماجد" في الجروب الأدبي لفترة من الوقت يشارك ويدخل في نقاشات مع "نوران" وبقية الأعضاء حتى قرر ذات يوم أن يصارحها بحقيقة شخصيته. وبالرغم من دهشة "نوران" عندما صارحها بشخصيته لكنها لم تعلق وتفهمت رغبته في ألا يظهر في جروبها بشخصيته الحقيقية. إحترمها بشدة لمراعاتها خصوصيته فلم تتطرق لأي شيء خارج إطار كونه أدبيا وهي قارئة ناقدة لأعماله. قام "ماجد" بعدها بإضافتها لقائمة الأصدقاء على (الفيس بوك) في كل من حسابه الرسمي وحسابه المستعار الذي عرفها عن طريقه في البداية.

كانت العلاقة بينهما منذ البداية لها طابع يغلب عليه الرسميات والطابع العملي لعلاقة كاتب ومحررة صفحة أدبية. لاحظ "ماجد" أنها مقلة جدا في الحديث عن نفسها أو شؤونها الخاصة على صفحتها الخاصة وأحترم ذلك جدا ولم يسألها عن شيء لكنها ظلت بالنسبة له لغزا حار في حله وزاد حيرته إهتمامه هو نفسه بها وهذا الحيز الذي أصبحت تشغله في تفكيره. ما كان يشغل باله جدا بخصوص "نوران" هو نظرة الحزن الدائمة في عيونها وإبتسامتها التي برغم كونها تكاد تصبح جزء رئيسياً من وجهها لكن بها مرارة غير مفهومة. كان يعلم أنها تفتقد والدها الراحل وأنها تعيش بمفردها مع قطها الأليف. لكن بالرغم من ذلك ظل بداخله حدسا غامضا بأن الأمر لا يتعلق بغياب والدها فقط. كان يشعر في قرارة نفسه أن تلك الفتاة تمتلك كل مقومات النجاح والتألق كصحفية لامعة وكاتبة مقتدرة لكنها لا تسعى لذلك وأكتفت بكونها محررة لصفحة أدبية أسبوعية دون سبب منطقي لذلك. كان إحساسه الدائم بها أنها تضع جداراً بينها وبين الحياة،

لكن مثلما احترمت خصوصيته ولم تسأله عن شيء فعل هو المثل. وبرغم أنه مقل جدا من حديثه لوسائل الإعلام لكنه لم يتردد لحظة في الموافقة عندما اقترحت عليه "نوران" أن تجري معه حواراً ينشر في الصفحة الأدبية التي تقوم بتحريرها. وكان هذا الحوار من الإنجازات التي سعدت بها جدا واعتبرتها إضافة قيمة لصفحتها كونه أحد الأحاديث القليلة جدا التي أدلى بها "ماجد" كأديب للصحافة.

تضاعف اهتمامه بها مع الوقت وحاول دون كلل أن يدفعها دفعا لإحتراف الكتابة الأدبية لتميزها بها. لكنها ظلت ترفض بإصرار وصل حد تجنب الكلام عن الأمر لسبب غامض لم يدركه. حكى لها كثيرا عن حياته والنقلة الكبيرة التي حدثت بها في محاولة لتشجيعها، وكانت "نوران" دوما تستمع له باهتمام شديد لكنها ظلت على تحفظها فلم تخبره شيئا عن حياتها سوى أقل القليل فلم يعرف عنها سوى ما يتعلق بوالدها الراحل ووالدتها التي حُرمت منها وهي ابنة الثالثة وشقيقها الوحيد الذي يعمل مهندسا مثل والدها ويقيم في إحدى الدول الخليجية منذ أعوام. لكن ظل قلبها وكل ما يتعلق به سرا غامضا لم يعلم عنه شيئا. وبالرغم من أنه كثيرا ما كان يوبخ نفسه لاهتمامه البالغ ب"نوران" وإحساسه السخيف أحيانا أنه بهذا يخون مريم الراحلة، لكن ظل الأمل يداعبه أن تفتح له "نوران" قلبها في يوم ما وتخرج كل ما به من حزن وألم. ربما لو فعلت لزال الحاجز الذي يمنعها من أن تحيا الحياة التي تستحقها وأن تحقق النجاح الذي يجب أن تناله.

*****

(5)

شعر "خالد" بمزيج من الغضب والإستياء والألم بعد أن تركته "نوران" لتغادر مسرعة متلهفة على المغادرة كأن البقاء معه يعني لها الموت. ألهذه الدرجة تغيرت؟! في السابق كانت تتحين أية فرصة للبقاء معه وها هي الآن تفر منه كغزال مذعور ينجو بحياته من صياد ماهر.

عاد لمنزله الفخم بـ(التجمع الخامس) وهو في حالة مزاجية سيئة بحق. حمد الله أن "منار" كانت نائمة لأنه فى حالة لا تسمح بالجدال فى أي شيء. توجه مباشرة إلى غرفة مكتبه ووضع العلبة القطيفة أمامه ونظر لها بحزن وتأثر. لم يمض لقاءه مع "نوران" كما خطط له. كان يظن أن رؤيته كفيلة بأن تجعلها تنسى أو تتناسى ما حدث في الماضي.

لكن من يخدع "خالد"؟

لولا حسن التربية لبصقت "نوران" في وجهه فور رؤيته ولم يكن لأحد أن يلومها على ذلك. تنهد بحرارة أودعها كل توتره. فهو لازال يحبها بحق بل لم ولن يحب سواها وكان يأمل عودة المياه لمجاريها وأن يجددا حبهما القديم معا. ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه عندما تذكر اللقاء الأول له معها. كان في أول أجازة يقضيها في القاهرة بعد سفره لـ(فرنسا) وكان على موعد مع صديقه المقرب "أحمد" في أحد المراكز التجارية الشهيرة في (مدينة نصر). كانت الهواتف المحمولة ظاهرة جديدة وغير شائعة في (مصر) وقتئذ لذا كان من المعتاد أن تحدث أعطال في الشبكات وألا تشمل التغطية جميع المناطق. هكذا فقد الاتصال مع صديقه

ولم يصل إلى المقهى الموجود به داخل المركز التجاري وظل واقفا حائرا في أمره، ماذا يفعل والمركز التجاري شديد الاتساع متعدد الطوابق وبه أكثر من 50 مقهى فهل يطوف عليها جميعا؟

وقف في طابق مخصص بالكامل لمطاعم ومقاهي مفتوحة يجول بعينيه في المكان عله يلمح صدفة اسم المقهى المقصود. وقع بصره على فتاة تبدو أنها طالبة في الثانوية بمظهرها البسيط وشعرها الذي عقصته خلف رأسها بربطة شعر كبيرة فتهدلت منه خصلات حريرية بشكل عفوي ونظارتها ذات العدسات الشفافة التي أخفت خلف زجاجها عينين بنيتين ساحرتين ووجه مليح القسمات خلا تماما من مساحيق التجميل، بالإضافة إلى البلوفر القرمزي الفضفاض الذي ترتديه مع بنطال جينز أزرق. أما أكثر ما لفت انتباهه كان تلك الأوراق التي أنكبت عليها تدرسها بهمة وقد أمسكت قلم رصاص وانهمكت في الكتابة. تساءل "خالد" في سره "هل يستذكر الطلبة في مقاهي المراكز التجارية تلك الأيام؟ لقد تغيرت (مصر) كثيرا خلال عاما واحداً!"

توجه إليها مبتسما يسألها:

- من فضلك يا آنسة.

أجفلت "نوران" لهذا الذي اقتحم عليها وحدتها فجأة وبدا الإرتباك عليها لحظة لكنها أجابته:

- نعم؟

صمت "خالد" ثواني متفرسا في ملامحها وخالجه شعور أنه على إستعداد الوقوف فى مكانه للأبد يحدق فيها فقط، ثم غلبه الخجل وقال:

- أنا مش بعاكس والله بس مفروض أقابل واحد صاحبي في كافيه هنا بس مش عارف أوصل له أنا أول مرة أجي هنا أصل الحقيقة أنا مش مقيم في القاهرة.

غلبت الطبيعة الساخرة "نوران" فردت بتلقائية ممزوجة بدهشة:

- مش مقيم في القاهرة؟ الأستاذ جاي من بنها مثلا؟

ضحك بصوت مرتفع وقد راقت له المزحة في حين تضرج وجهها بحمرة الخجل وبدا عليها الندم على الأرجح لأنها تمزح مع شخص غريب. سارع بالرد لما رأى الخجل يعتريها:

- لا مش من بنها أنا عايش في أوروبا والمول ده كان مقفول لما سافرت واضح أنه تم افتتاحه من فترة قريبة.

- فعلا ده صحيح تم إعادة افتتاحه من 6 شهور فقط، عموما الكافيه اللي حضرتك بتسأل عنه موجود في الدور الثاني آخر الممر الشمال.

شكرها وبرغم أنها أخبرته عما يريد وقف لحظات مكانه يتأملها وبدا أنه لا يرغب في الرحيل. بدا الخجل من جديد على ملامحها وتنحنحت قائله:

- بيتهيأ لي حضرتك رايح تقابل صاحبك مش كده؟

بدا الذهول لحظة على وجهه وهو يستفيق من شروده وقال بنوع من الدهشة:

- إيه؟ اه فعلا أيوة رايح أقابله ... ميرسي لمساعدتك يا آنسة.

غادر "خالد" المكان وعادت لما كانت تفعله ولكن بدا أنها فقدت تركيزها تماما ولم تكتب حرفا إضافيا حتى جاء والدها الذى كانت في إنتظاره ليصطحبها للمنزل وغادرت معه.

عاد "خالد" في هذا اليوم إلى المنزل ووجدانه كله ممتليء بصورة "نوران" وأنطبعت ملامحها الرقيقة في ذاكرته وندم بشدة على أنه لم يسألها عن أسمها ولم يصمم على أن يعرف عنها أكثر. لكنه خشى ردة فعلها إن أقدم على ذلك.

لم ينم ليلتها وصمم أن يذهب في اليوم التالي لنفس المكان لابد أن يحاول معرفة أي شيء عنها. وبفضل قدراته الاجتماعية الهائلة التي تمكنه من مصادقة أي شخص على الفور -مع منحة صغيرة بقيمة 50 جنيها- نجح في معرفة ما لدى نادل المقهى الذي كانت تجلس فيه "نوران" من معلومات. فهى طالبة في دورة تدريبية للطلبة حديثي التخرج في مركز تعليمي شهير موجود في الطابق الرابع لذات المركز التجاري. وهى تجلس عادة في هذا المقهى بعد إنتهاء محاضرات الدورة التدريبية لتنتظر والدها الذي يمر عليها يوميا لإصطحابها للمنزل. وقد علم النادل كل ذلك عن طريق أجزاء من مكالمات هاتفية تجريها "نوران" سمعها بشكل عابر أثناء مروره بالمكان.

شعر "خالد" بسعادة غامرة لأنه توصل لطرف خيط سيصل به حتما لـ"نوران" من جديد. لم يطق صبرا للإنتظار حتى الساعة الثالثة موعد إنتهاء محاضرات الدورة التدريبية وإنما قرر التوجه مباشرة للطابق الرابع حيث المركز التعليمي. وقف منتظرا أمام الباب الخارجي للمركز حتى لمحها تخرج بصحبة بعض الزميلات. تهلل وجهه فور أن رآها في حين بدت دهشة ممزوجة بالفرح على وجهها عندما وجدته أمامها. استأذنت من زميلاتها واتجهت حيث يقف وبادرته بالقول:

- إيه؟ حضرتك تايه النهاردة كمان؟

إبتسم لها "خالد" وقد سره شعور أنها هي أيضا فرحة لرؤيته ورد عليها:

- لا الحقيقة مش تايه أنا بس افتكرت أني نسيت أشكرك إمبارح لمساعدتك فقررت اجي أشكرك بنفسي النهاردة.

بدأ الاحمرار يكسو وجه "نوران" وأجابته بخفوت:

- الحقيقة أنت شكرتني وقلت ميرسي يا آنسة.

أرتبك وشعر أنها باغتته ولم يدر ماذا يقول فقال لها مبتسما:

- ممكن تقولي جاي أؤكد الشكر.

ضحكا معا تلك المرة فبادرها بالقول:

- ممكن أشاركك إنتظارك لوالدك النهاردة؟ مش هعمل دوشة والله أنا هقعد ساكت خالص.

بدت دهشة حقيقية على وجهها وهي تقول له:

- واضح أنك عملت تحريات عني، الأستاذ مباحث ولا إيه؟

ضحك بصوت مرتفع وراقت له نبرة السخرية التي تحدثت بها وأجابها:

- لا الأستاذ مش مباحث بس بيعرف يوصل للي عاوزه.

صمتت "نوران" وتأملته لحظة وتردد صدى عبارته (الأستاذ بيعرف يوصل للي عاوزه) في ذهنها، لكنها لم تعلق وسارت بجواره بهدوء حتى وصلا إلى المقهى الذي تجلس فيه عادة في إنتظار والدها.

لا يعلم "خالد" لما شعر وكأن الكون كله خلا من حوله فلم يبقى سواهما معا على تلك الطاولة التي غمرتها أشعة الشمس الدافئة. هو نفسه كان يشعر بغرابة كيف بتلك السرعة شعر بميل سرعان ما تأكد أنه بداية حب نحو تلك الفتاة التي لا يكاد يعلم عنها شيئا. شيء ما في "نوران" كان يجذبه بقوة، شيء لا يعلم كنهه على وجه الدقة لكنه يعلم تماما كم يسعده ذلك ويجعله يشعر بحماس لأن يحيا بكل ما تحمل الكلمة من معاني الحياة. للمرة الأولى في حياته يشعر أنه متحمس لشيء سوى حلمه أن يصبح جراح ناجح وعشقه لكرة القدم. لا يذكر حتى متى كانت آخر مرة أبدى فيها اهتماما بفتاة. ربما كان ذلك أثناء مرحلة الدراسة الثانوية، ماذا كان إسمها؟ لا يذكر حقا. لكن "نوران" كانت تبث في نفسه إحساسا بأن العالم كله يمكن اختصاره في إبتسامتها المشرقة وعينيها الصافيتين. هل أتى من آخر الدنيا ليلقى الحب بتلك الصدفة والسرعة؟

جلسا سويا لتبادل ثرثرة لا تنتهي، من أين يأتي كل هذا الكلام؟ عرفها بنفسه بإيجاز شديد وأخبرته هي عن دراستها وحلمها بأن تصبح صحفية قريبا. أبدى "خالد" دهشة تجاه تلك المهنة غير المألوفة التي تطمح لها لكن شعارها كان كما أخبرته "من حق الناس أن تعلم الحقائق".

أصبح لقاءهما يوميا بعد إنتهاء محاضراتها أمرا مسلما به وكان أسوأ يومين أسبوعيا بالنسبة له الجمعة والسبت - يومي الراحة الأسبوعية- لأنه كان يحرم من لقاءه بـ "نوران".

كان "خالد" يحب جدا الاستماع لها وهي تحكي عن حياتها. كيف يمكن أن تعيش حياتها بهذا الحماس تجاه كل شيء؟ وكأنها طفلة تتعرف للمرة الأولى على ما حولها ويغمرها هذا بفرحة لا تضاهيها فرحة. أحب فيها جدا تعلقها الشديد بوالدها وشقيقها والدفء الذي يملأ حياتها مع أسرتها الصغيرة. هذا الدفء الذي لم يعرفه هو يوما حيث نشأ هو وشقيقه بين والدين يجمعهما الخلاف والشجار أكثر مما يجمعهما الحب. ومع الوقت أستقل والده العسكري الصارم بحياته بعيداً عنهم وكانت العلاقة متوترة تماما بينه وبين "خالد" على وجه التحديد وهو ما دفعه "للفرار" إلى أوروبا بعد تخرجه.

لم يكن حقا راغبا في الحياة في الخارج لكنه فضل هذا المنفى الإختياري على أن يظل تحت سيطرة والده رجل الدولة الذي أخفى عن "نوران" تماما شخصيته. لم يكن يريدها أن تعرفه في إطار خاضع منذ اللحظة الأولى لمعرفتها بمن يكون والده.

إزداد تعلقه بها وقلما غاب عنها طوال فترة أجازته، كان يشعر وكأنما قطع طريقا طويلا من السفر ليصل أخيرا إلى غايته وكانت تلك الغاية هي "نوران" ولم يعد من الممكن تخيل الحياة بدونها.

أسعده حقا أنها بادلته هذا الحب وبدت على نفس الدرجة من السعادة بوجوده. كان ما ينغص عليه حياته أن أجازته أوشكت على الإنتهاء ولابد أن يسافر مجددا لإستكمال ما بدأه من دراسة يحتاجها بشدة ليحقق طموحه ويصبح هذا الجراح الذي طالما تمنى أن يكون. لم يفكر "خالد" كثيرا وعقد العزم على التقدم لطلب الزواج منها. لم يكن يتخيل أن يمضي عاما كاملا أو أكثر دون أن يراها، لابد أن يتزوجا وأن تسافر معه. كانت الفكرة جنونية تماما فما هي احتمالات أن يوافق أباها على هذا الزواج؟ وما زاد الأمر تعقيدا أنه لم يكن ينتوي إخبار والده بهذا الأمر. لم يكن يضمن ردة فعله، بل ربما لأنه يعلم أباه جيدا كان يتوقع كيف سيكون رأيه. لكن "خالد" لم يكن لديه أدنى استعداد أن يتدخل أي شخص لحرمانه من نور قلبه كما كان يدعو "نوران" دائما.

لا ينسى "خالد" أبداً ذلك اليوم الذي طلب فيه الزواج من "نوران". كانت في الجامعة بعد أن إنتهت من محاضرات الدراسات العليا وكان الجو بارداً وقد حل المساء. طلب منها أن يتمشيا قليلاً في طرقات الجامعة التي كادت تخلو من الطلبة في تلك الأمسية الباردة وقد تجاوزت الساعة الثامنة بقليل. مشيا جنباً إلى جنب وبدت وجنتي "نوران" وأنفها محمرين بسبب البرد وكانت ترتدي قبعة وكوفية من الصوف وتركت شعرها منسدلاً أسفل القبعة وكانت تبدو في تلك الليلة ساحرة بحق وقد إنعكس شعاع القمر الفضي على خصلات شعرها البنية فزاد من بهاءها

وتألقها. توقف "خالد" في مواجهتها ونظر في عينيها وبادرها بالقول:

- "نورا" أنا بحبك.

إبتسمت بخجل واضح ولم ترد. شجعه صمتها وخجلها على أن يواصل كلامه:

- أنا أجازتي خلصت تقريبا ولازم أكون في (فرنسا) خلال 10 أيام، تقبلي تتجوزيني يا نورا؟

بدت الدهشة والمفاجأة على وجه "نوران" حاولت أن ترد لكن المفاجأة ألجمت لسانها ولم تعد تدري ما تقول. واصل "خالد" كلامه قائلا:

- نورا أنا بتكلم بجد أنا بحبك ومش هقدر أكمل حياتي من غيرك. النهاردة لما ترجعي البيت قولي لبابا إني عايز أجي أقابله وأطلب أيدك منه، معندناش وقت وأنا مش هسافر إلا وأنتي معايا أو على الأقل وأنتي مراتي.

شعر "خالد" بفرحة غامرة لإحساسه أن "نوران" أيضا مسرورة وأنها موافقة على طلبه ووعدته بأن تخبر أباها وأن تحدد له موعدا للقاءه. عاد لمنزله في تلك الليلة وهو يدندن بكلمات أغنية "She". لابد أن كاتب تلك الكلمات الرقيقة عرف "نوران" فشرع يكتب تلك الأغنية الساحرة.

ظل ساهرا ليلته منتظرا اتصال "نوران" لتخبره بما حدث بينها وبين والدها، لكنها لم تتصل تلك الليلة وشعر بالقلق يتسلل إليه. اتصل

بها كثيرا لكن هاتفها ظل مغلقا وهو ما ضاعف قلقه. أقبل الصباح وشعر أنه على وشك الجنون لغيابها المفاجيء بهذا الشكل ومع دقات التاسعة وجدها تتصل به. رد عليها متلهفا فطلبت رؤيته بكلمات مقتضبة جدا وشعر أن هناك شيء ما ليس على ما يرام. ذهب مسرعا للقاءها في ذات المقهى الذي اعتادا اللقاء فيه ووجدها على عكس ما كانت تماما في الليلة السابقة، شاحبة مضطربة محمرة العينين، شعر أنها لم تنم ليلتها أيضا. لم يطق صبرا فهتف بها:

- في إيه يا "نورا"؟ وفينك من وقت ما سبتك إمبارح؟ قلقتيني وموبايلك مقفول ليه؟

ردت عليه بخفوت وبدا صوتها كما عينيها باكيا:

- بابا مش موافق على إرتباطنا يا "خالد" وده رأيه النهائي.

شعر في تلك اللحظة بصدمة أعجزته عن الرد على الفور وكأنما لطمه أحد في وجهه بمطرقة من فولاذ. لم يرد فواصلت:

- أنت عارف أن بابا صاحبي وأقرب إنسان ليا وبصارحه بكل شيء. أنا حكيت له كل حاجة عن حبنا ولقاءنا وقلت له إنك عاوز تقابله. فكر في كلامي شوية وبعدين قال لي بهدوء إننا متسرعين وأن مشاعرنا هي اللي بتحكمنا مش عقلنا وده مش صح. قال لي ازاي عايزاني أوافق أجوز بنتي الوحيدة اللي سنها يا دوب 22 سنة لشاب معرفش عنه شيء تقريبا وكمان هياخدها معاه ويسافر وكمان من غير معرفة والده؟ أكيد مينفعش أوافق وأكيد محدش

يقدر يلومني على رفضي، ده كلامي النهائي، أنا أب ومن حقي أحمي بنتي وأخاف عليها وإلا لا أستحق أني أكون أب.

كان صوتها مرتعشا وخافتا وشعر "خالد" أنه في أسوأ حالاته. كان أكثر ما يعذبه هو ألم "نوران". ود لو يضمها لصدره ويمحو عنها ما تشعر به من حزن. سادت فترة من الصمت حتى تمالك نفسه وقال بهدوء:

- بابا عنده حق يا "نوران".

نظرت له بدهشة وقالت:

- عنده حق؟ هو ده ردك يا "خالد"؟

شعر كأنما طُعن في قلبه لكنه أدرك أن عليه أن يتماسك وأن يتصنع البرود من أجلها. كان كل ما يسعى له الآن أن يجتازا ذلك الموقف بأقل ألم ممكن لـ"نوران" قبل أن يكون له. تنهد ورد عليها وهو يبذل قصارى جهده للسيطرة على مشاعره:

- يا حبيبتي باباكي عنده حق فعلا. هو من وجهة نظره صح، محدش في الدنيا هيخاف عليكي قده وهو من حقه يرفض وضعنا ده. يعني واحد جاي يطلب الجواز من بنته في 10 أيام ويأخدها ويسافر للمجهول أكيد ده وضع مش مريح. الحب ممكن يكون هو أهم شيء بيربطنا لكن بابا له حسابات أهم يا "نورا" وأنا مش بلومه بالعكس إحترمته جدا ربنا يخليهولك.

خانت الدموع "نوران" في تلك اللحظة وبدأت في البكاء وشعر "خالد" بقلبه يتمزق من أجلها. هل أخطأ حين صارحها بحبه وهو

المسافر بالفعل للمجهول ولا يدرى متى سيعود أو إن كان سيعود أصلا في يوم ما؟ شعر بتأنيب ضمير شديد إمتزج في نفسه بمرارة كبيرة. لم يكن أبدا يرغب في مفارقتها لكن ليس هناك بد من الفراق.

بذل "خالد" مجهودا خرافيا للحفاظ على رباطة جأشه من أجلها وهدأ من روعها بمزاحه وتجنبا الكلام عن مسألة إرتباطهما وإقتراب موعد سفره طوال الفترة المتبقية لبقائهما معا.

مرت الأيام خاطفة كلمح البصر وحان اليوم السابق لسفر "خالد". إلتقى بـ"نوران" في ذات المقهى الذي أصبح مكانهما المختار. كانت تبدو ذابلة وحزينة ولم يكن هو في حالة أفضل لكنه تماسك. وقبل الفراق الأخير بينهما قال لها:

- "نوران" أنا عايزك تعرفي أن الأيام اللي قضيتها معاكي هي دي عمري اللي عشته بجد أي أيام تانية مش محسوبة من العمر. أنا عمري ما هنساكي أبدا مش ممكن انسى اللي سبت قلبي معاها وسافرت. أنا عايزك تركزي قوي في تحقيق حلمك وأنك تشتغلي في الصحافة وتنجحي ومين عارف؟ جايز في يوم أرجع ألاقيكي رئيسة تحرير جريدة كبيرة وأجي أقابلك ويكون عندك سكرتيرة شكاكة سمجة تلطعني بره مكتبك ساعة بحجة أن الأستاذة مشغولة، وفي الآخر تدخلني عندك وألاقيكي قاعدة ورا مكتب ضخم بتسريحة ونضارة شادية في فيلم مراتي مدير عام وتقولي لي بوقار كده اتفضل يا دكتور دقائق وهفضى لك.

ضحكت "نوران" برغم الحزن الواضح في ملامحها لتلك الصورة الكوميدية التي رسمها لمستقبلها وأجابته:

- مش أنت بس اللي سبت قلبك وهتسافر أنا كمان قلبي سابني معاك يعني ممكن تقول إنها عملية تبادل قلوب يا حضرة الجراح، أنا عارفة انك مسافر خلاص بس لازم تعرف أن سفرك مش معناه موت أو نهاية لحبنا. أنا هستناك يا "خالد"، هستناك لو لآخر عمري، مش كل يوم هصادف اللي أحس معاه أني لقيت توأم روحي. سافر وركز في دراستك وأنجح عايزاك تبقى أكبر جراح في الدنيا دي كلها بس افتكر دائما يوم ما هترجع هتلاقي "نورا" في إنتظارك.

تأثر "خالد" بكلماتها وخالط تأثره فرحة غامرة. لكنه لم يكن يريد أن يربطها به دون رابط حقيقي فهو لا يدري متى سيعود لها من جديد لو كان سيعود مجددا لـ(مصر) من الأساس، فقال لها:

- "نوران" أنا مش محتاج أقولك بحبك قد إيه أكيد أنتي حاسة ... بس أرجوكي أنا مش بربطك بيا بأي رابط ولا بطلب منك إنتظاري ... هقولك بس حاجة واحدة ... إذا صادفتك السعادة مع أي إنسان غيري أوعي تترددي لحظة أنك تعيشيها ... لو قدرنا نلتقي هنلتقي يا "نورا" ومحدش هيمنعنا لكن المستقبل في علم الله وحده.

سافر "خالد" ولأول مرة يكره السفر ويشتاق جداً لـ(مصر) التي خرج منها هارباً من سطوة أبيه فإذا بالحب يربطه بها بجذور من الصعب إقتلاعها. حاول كثيراً نسيانها وفشل. لم يحاول الإتصال بها أو حتى إرسال رسالة لها كان يحاول أن يجعلها تنساه وتحيا حياتها بشكل طبيعي دون إنتظار لوعد أو لقاء لا يعلم سوى الله متى يمكن أن يتحقق. ظل متابعا أخبارها بشكل غير مباشر وفرح

كثيراً عندما علم أنها حققت حلمها وأصبحت صحفية تحقيقات ناجحة لكنها لم ترتبط أبداً بغيره. كان يرى من وقت لآخر ما تكتبه على مدونتها الشخصية وشعر من كتاباتها أن حبه لا زال حياً في قلبها وأنها لن ترضى له بديل. شعر أنها تناجيه بكتاباتها الرقيقة.

مرت ثلاثة أعوام كاملة أنهى خلالها دراسة الماجستير وألتحق بالعمل في واحدة من المستشفيات الكبرى في (باريس) وبدأ يعد للحصول على الدكتوراة. وطوال تلك الفترة لم تغب "نوران" لحظة عن قلبه ولا تفكيره. كان يشعر بشوق شديد لها ورغبة تدفعه دفعاً لرؤيتها. ولما بلغ به الشوق مداه أستغل فترة عطلة الكريسماس وأستقل أول طائرة قادمة للقاهرة. كان يشعر أنه هو من يطير لا الطائرة وأستبطأ الوقت الذي يفصله عن وصوله لـ(مصر) وكأنما أصبح سرمدياً وثقيلاً.

ما أن وطأت قدميه أرض (مطار القاهرة) حتى سارع بالإتصال بها. لم يكن يريد أن يرى أحد ولا أن يلقى أحد، كان وجدانه ممتلئ بملامحها وكأنما يرى (مصر) كلها في عينيها الجميلتين.

تسارعت دقات قلبه وهو يسمع صوتها يأتي له عبر الهاتف للمرة الأولى منذ ثلاثة أعوام وأسعده جدا بهجتها الواضحة بسماع صوته. طلب رؤيتها وافقت على الفور أتفقا على الموعد والغريب أنه لم يخبرها عن مكان اللقاء لكن كلاهما أتجه تلقائياً لذات المقهى القديم. لن ينسى "خالد" أبداً فرحة هذا اللقاء. لولا الحياء لسارع بضمها فور أن رآها. حمل لها باقة من القرنفل الذي تحبه كثيراً وتحدثا حول كل شيء، لا يشعر أنه ثرثار إلا وهو برفقتها،

كيف تنساب الكلمات بسلاسة وسرعة عندما يتحدث معها هي وحدها وهو الصموت قليل الكلام عادة؟

لم يتطرقا أبداً لما حدث في الماضي ولم يعودا للحديث عما كان. مر الأسبوع وكان يلتقيان كلما سنحت الفرصة، يتحدثان حول كل شيء إلا عن مصير وجودهما معاً! كان كلاهما يدرك أن اللقاء مهما طال ستكون له نهاية. سيسافر "خالد" كالعادة وتعود "نوران" لعالمها بعد زيارة خاطفة لدنيا لم تكف لحظة عن الحلم بالحياة فيها منذ أن ألتقته.

سافر "خالد" من جديد وزاد إحساسه بالألم والضيق. لم يكن أبداً يرغب في الإبتعاد عنها لكنه لا يملك البقاء في (مصر) أيضا بعد أن قطع شوط طويل في دراسته وعمله ولابد أن ينهي ما بدأه. لكن تلك لم تكن مشكلته الرئيسية.

كان ما ينغص عليه حياته هو والده أو بمعنى أدق من يكون والده. لم يصارح "نوران" أبداً بشخصيته أو موقعه في الدولة. لم يكن يريدها أن تعرفه على أنه "خالد" إبن "كمال العشري" رجل الدولة العسكري القوي ذو النفوذ الواضح. كان يريدها أن تعرفه كـ"خالد" الذي عشقها وأحبها ولم يكن يريد من الدنيا سواها. أكتفى بإخبارها أن والده مسؤول عسكري وكان يعتزم إخبار والدها بمن يكون والده عندما يوافق على لقاءه ويشرح له الوضع بصراحة. لكن المهندس "نبيل المصري" رفض رفضاً قاطعاً الأمر قبل حتى أن يستمع له.

كان يدرك جيدا رد والده إن أخبره برغبته في الزواج من "نوران". وبقدر ما لم يكن يعبأ بموافقته أو رفضه لكنه يخشى عليها وعلى

أسرتها الصغيرة مما قد يحل بهم إن قرر والده إبعادها عن طريقه. كان أكثر الناس معرفة بما يمكن لوالده أن يفعله وأن تهديداته ليست كلمات أبداً وإنما أفعالاً مدمرة.

ظل التفكير في حل لمعضلته مع "نوران" يؤرقه كثيراً لكنه لم يصل أبداً لحل. لم يسعى لدفعها لإنتظاره دون أمل واضح يلوح في أفق قريب أو بعيد برغم حبه الجارف تجاهها. وما كان يعذبه ليلاً نهاراً هو خوفه أن يفتح صفحتها على موقع (الفيس بوك) يوما فيجد حالتها الإجتماعية تغيرت إلى مرتبطة. كان يشعر بقلبه يتمزق بين عشقه لها وخوفه عليها وظلت قصتهما عقدة بلا حل في ظل رفض والدها زواجهما وسفرها معه.

إنشغل "خالد" بدراسته وركز كل طاقته على عمله الذي بدأ يحقق فيه نجاحا ملحوظا لكنه لم يتوقف يوما عن متابعة ما تكتبه "نوران" على صفحتها الشخصية. كان يقرأ كتاباتها ويبتسم لرقتها الشديدة وروحها المرحة دائما وسره جدا أن لمح في الكثير من كتاباتها وما تنشره أنها لا زالت تحبه وأن قلبها لا زال له وحده. لم يكن يسعى للبقاء على إتصال بها ولم يكن حتى يعلق على ما تكتبه. كانت صفحتها الشخصية هي الخيط الذي يربط بينه وبينها في صمت رغم تباعد المسافات الجغرافية بينهما. وبرغم حبه لها كان يترك لها المجال لتجد سعادتها الخاصة حتى لو مع سواه وأكتفى بإرسال رسالة تهنئة إلكترونية لها في عيد ميلادها كل عام.

مرت الأعوام وحب "خالد" لـ"نوران" لا يقل ولا يغيب، ولم ينسه سحر (باريس) وإنشغاله حتى النخاع في دراسته وإعداد نفسه كي

يصبح جراحا ناجحا تلك التي أسرت قلبه لديها. حرص أيضا على متابعة نجاحها في مهنتها كصحفية تحقيقات نجحت في ترك بصمة واسعة في مجالها. وكان أكثر ما يثير دهشته هو صعوبة تصور أن تكون تلك الصحفية الجادة المقاتلة هي نفسها حبيبته الرقيقة التي تكسو الحمرة وجنتيها وترتبك كلماتها إذا نظر في عينيها مباشرة وهو يتحدث معها.

حصل "خالد" على درجة الدكتوراة بتفوق كما كان يطمح وشعر بفرحة غامرة لم يعكر صفوها إلا تمنيه وجود "نوران" بجانبه في تلك اللحظة. كان قد وصل به الأمر أنه بالفعل لم يعد يطيق أن يبقى في وضع إنتظار لما قد لا يحدث للأبد وحسم أمره، فقرر السفر لمصر والتقدم من جديد للزواج منها وفي تلك المرة كان مصمماً على أن يقابل والدها ويقنعه بالأمر. لم يكن مستعداً لمغادرة (مصر) بدونها تلك المرة مهما كلفه الأمر.

عاد بالفعل لمصر وتلك المرة لم يخبرها بعودته وإنما توجه أولاً لمنزله حيث إستقبلته والدته وشقيقه الأصغر "حازم" الذي أصبح ضابط بالقوات الخاصة بحفاوة بالغة.

ورث "خالد" ملامح والدته خاصة عينيها العسليتين وأنفها المستقيم وكان دوماً مقرباً منها ولم ينسى لها أبداً أنها قامت وحدها بتربيته هو وشقيقه وسط جو مشحون بالخلافات الدائمة مع والده ثم إنفصالهما في نهاية الأمر. كانت والدته مسؤولة عن إدارة مجمع مدارس لغات تمتلكه أسرتها وأفادها الحزم المرافق بطبيعة الحال لشخصية مديرة مجمع تعليمي في تنشئة وتربية "خالد" و"حازم" وحدها في ظل غياب شبه دائم لوالدهما.

طلب "خالد" من والدته وشقيقه الإستماع له جيداً حيث أن لديه أمراً هاماً لابد أن يعرضه عليهما. حكى لهما بإيجاز قصته مع "نوران" التي إمتدت عشرة أعوام فلا هو تخطاها ولا هي نسيته وأنه قرر الزواج منها وطلب منهما الذهاب معه لوالدها لطلب يدها.

تحمس "حازم" للذهاب مع شقيقه الأكبر لخطبة حبيبته وفرح له جدا. أبدت والدته أيضا فرحتها بقرار "خالد" خاصة أنها كانت ترى أنه حان الوقت لزواجه فإن لم يتزوج وقد بلغ السابعة والثلاثين متى سيتزوج إذا؟ لكن القلق والتفكير العميق بدا واضحين على وجهها. صارحته بمخاوفها وأنها تخشى ردة فعل والده إذا علم بزواجه دون علمه.

كان تعلم زوجها جيدا وتعلم أيضا أنه من المستحيل أن يوافق على زواج "خالد" و"نوران". كانت له خطط معينة لزواج ولديه وما كان ليقبل أبدا بمخالفة أوامره، ثم من تكون "نوران" ليتزوجها "خالد"؟ في نظره تعتبر فتاة عادية من العامة لا يصح أن تنضم لعائلة من أهم عائلات علية القوم.

لم تكن والدة "خالد" تفكر بذات الطريقة برغم إنتمائها لأسرة نبيلة عريقة الأصل. كانت ترى أن واجبها يحتم عليها إسعاد ولديها وأن تترك لهما المجال لإختيار حياتهما دون تدخل منها.

وافقت والدة "خالد" وشقيقه على الذهاب معه للقاء والد "نوران" وأشترط "خالد" عليهما ألا يخبرا أباه شيئا وأن يظل الأمر طي الكتمان فما هي إلا أيام ويتزوج "نوران" ويسافرا معا وبعدها ليكن ما يكون.

رتب "خالد" كافة أموره وبعد وصوله (مصر) بثلاثة أيام كان إتصاله الأول بـ"نوران". شعر بسعادتها الغامرة بهذا الإتصال برغم إحساسه أنها سعادة ممزوجة بدهشة ربما كانت محقة فيها فها هو يغيب عنها بالأعوام ثم يعود دون سابق إنذار. لكن من قال إن للحب قواعد واضحة؟ إنه الجنون ذاته والمضاد الأوحد للمنطق والعقل.

في تلك المرة لم يطلب لقاءها وإنما فاجئها بأن قال لها مباشرة:

- نورا ممكن أجي أقابل بابا أمتى؟

صمتت "نوران" وعقدت الدهشة لسانها فواصل "خالد" قائلا:

- "نورا" أنتي سامعاني؟ أجي أقابل بابا أمتى؟ أنا مش هقابله لوحدي ماما و"حازم" هييجوا معايا أنا المرة دي جاي أخطبك يا "نورا". لا ده أنا هتجوزك على طول ونسافر سوا كفايانا بعاد بقى ولا أنتي إيه رأيك؟

لن ينسى "خالد" أبدا نبرات صوتها التي غمرتها الفرحة الشديدة لسماع ما أنتظرته منه سنوات طويلة.

بعد يومين فقط كان "خالد" ووالدته وشقيقه "حازم" يجلسون في صالون منزل "نوران" مع والدها. لا يذكر "خالد" أنه رأى "نوران" أجمل مما كانت عليه في هذا اليوم، هل حقا فرحة الحب تضفي على ملامحنا سحرا يزيدها بهاء وجمال؟ كانت متألقة وباهرة الحسن وقد صففت شعرها الحريري أعلى رأسها وتركت بضعة خصلات منسدلة على جانبي وجهها الذي جمله إحمرار وجنتيها وبريق عينيها اللتين أبرز جمالهما لمسات رقيقة من الكحل

تكاملت مع أحمر شفاة وردي لتبدو "نوران" في فستان وردي بسيط كأميرة خرجت للتو من أحد كتب الأساطير. نالت على الفور إعجاب والدته وشقيقه الذي غمز له بخبث كعلامة على حسن ذوقه في الاختيار قبل أن يحدق فيه "خالد" بغضب ممزوج ببعض الغيرة ليسكت "حازم" وإن بقي مبتسما.

لاحظ "خالد" أن والد "نوران" لا يبدو على ما يرام حيث يبدو شاحباً وبدا أنه فقد الكثير من وزنه وبدا عليه تقدم السن بشكل ملحوظ برغم أنه لم يصل للسبعين بعد وقدر أنه ربما كان مريضا. رد والدها بعبارة "الحمد لله" مع ابتسامته الطيبة التي ورثتها عنه ابنته عندما سأله "خالد" عما إذا كان يعاني من تعب ما.

ركز المهندس "نبيل المصري" إتجاه الحوار على زواج "خالد" و"نوران" وناقش معه ومع ووالدته وشقيقه كل التفاصيل المتعلقة بالأمر. أخبره "خالد" من يكون والده ولما سيخفي عنه خبر زواجه وكيف أنه الآن مستقل تماما بحياته ولديه دخل يكفيه ولا يحتاج والده في شيء وأنه سيستقر في (فرنسا) مؤقتا حيث عمله وسيصحب "نوران" معه.

بدا والد "نوران" معارضا للأمر بسبب إخفاء الزواج عن والد "خالد" بالإضافة لمعرفته الآن أن "خالد" يكون أبن "كمال العشري" وهو ما جعله أكثر ميلا لرفض الزواج من أساسه. لكن تلك المرة لم يترك "خالد" له المجال للرفض كان مصمم ومصر بالفعل على عدم السفر إلا ومعه "نوران" زوجته.

شعر "خالد" أن برغم بقاء معارضة والد "نوران" للزواج كما كانت في الماضي لكنه الآن يبدو أكثر قلق على إبنته وأنه يريد أن يراها

سعيدة ومتزوجة وبدا أنه سيكون أميل للموافقة إن تأكد من تمسك "خالد" بها، وهو ما تأكد منه تماما بالفعل وقل ميله للرفض بسبب وجود والدته وشقيقه معه.

علم "خالد" وقتها أيضا أن "نوران" ألحت على والدها كثيرا وأقنعته بقبول زواجها من "خالد". كان يعلم أن والدها هو أقرب إنسان لها في الدنيا وأنها تحبه جدا وتصارحه بكل شيء في حياتها لذا لم يكن من الغريب أن يعلم أنها صارحت والدها بحبها الشديد له وموافقتها على الزواج والسفر معه.

كان يعلم أيضا أن "نوران" رغم حبها له وإقناعها والدها بالموافقة على الزواج تشعر بقلق وعدم إرتياح لترك والدها بمفرده خاصة أن شقيقها الوحيد يعمل في إحدى دول الخليج منذ أعوام ولا يأتي لمصر إلا في عطلة سنوية قصيرة لزيارة والده وشقيقته. وعدها "خالد" بأن يقنع والدها أن ينتقل للإقامة معهما في (فرنسا) بعد الزواج لكن والد "نوران" بدا غير مهتم كثيرا بالأمر كان كل ما يهمه هو أن يطمئن على "نوران" وقد استقرت في بيت زوجها.

قام "خالد" بترتيب كل الأمور اللازمة للزواج مع والد "نوران" وتم تحديد موعد عقد القرآن على أن يعقبه السفر بعد يومين فقط وفقا لموعد التذاكر التي حجزها "خالد" مسبقا.

شعر "خالد" بسرور بالغ أن كل شيء يمضي كما خطط له وأن اكتمال سعادته مع "نوران" أصبح وشيكا. أمضى الأيام المتبقية على موعد عقد القرآن مع "نوران" يومياً كان يمر عليها في الجريدة ليصطحبها لتناول الغداء والتسوق وإنهاء كل ما لديهما من ترتيبات. وقبل الموعد المنتظر بيومين عاد لمنزله مساءاً بعد يوم

قضاه مع "نوران" وكان في حالة واضحة من السعادة بعد إنهاء كل الإجراءات المطلوبة لزواجهما. دخل حجرته وأستلقى على فراشه يدندن منسجما مع بعض أغنياته المفضلة عندما طرقت والدته باب غرفته وأخبرته أن والده ينتظره في الخارج.

قفز "خالد" من فراشه على الفور عند سماع ذلك وتبادل مع والدته نظرة ذات مغزى. لم يكن والده يزورهم بعد إنفصاله عن والدته منذ أعوام طويلة وظلت العلاقة على توترها الشديد بين والديه لذا شعر "خالد" بإنقباض في قلبه لمجرد محاولة تخمين سبب زيارة والده المفاجئة وفي هذا التوقيت تحديدا. سبقته والدته بالخروج من غرفته وهي تقول:

- أنا في أوضتي يا "خالد" ... لما يمشي عرفني.

تبعها بخطوات متثاقلة ودخل الصالون ليجد والده جالسا هناك في انتظاره. مد "خالد" يده مصافحا أباه محاولا السيطرة على أعصابه وبادره والده بالقول ببرود مخيف:

- حمد لله ع السلامة يا دكتور، هو اللي بيوصل من السفر بعد غياب سنين مش بيروح يشوف أبوه برضة ولا إيه؟ ولا يكون نسي إنه موجود؟

رد "خالد" على أبيه محاولاً أن يجعل صوته عاديا ومحايدا:

- أكيد كنت هزورك يا بابا ... أخبار حضرتك إيه؟

ظل والده بارداً وعبثاً حاول "خالد" قراءة ملامحه ليعرف ما في ذهنه لكنه فشل تماما. تجاهل "كمال العشري" سؤال ابنه عن

أحواله وأنتقل مباشرة لسبب زيارته له وتحولت نبرته للسخرية نوعا ما وهو يقول له:

- الحقيقة أنت كذاب يا "خالد" هي والدتك ربتك ع الكذب؟ أنت لا كنت هتيجي ولا كنت هتوريني وشك وأنا وأنت عارفين كويس ليه.

شحب وجه "خالد" بشدة وبدأ يدرك حقيقة ما يجري. هم بالكلام لكن والده قاطعه وقد بدأ صوته يتحول للغضب:

- البيه عايز يتجوز ويسافر على طول. ألف مبروك يا عريس يا زين ما اخترت! إبن "كمال العشري" عايز يتجوز واحدة أبوها موظف حكومة ع المعاش ده إيه الهنا اللي أنا فيه ده؟ يا فرحتك بأبنك يا "كمال".

قاطعه "خالد" بسرعة قبل أن يكمل كلامه وهتف به:

- "نوران" والدها مهندس مش موظف ده أولاً وحتى لو موظف إيه المشكلة طالما أنهم ناس محترمين؟ وأظن من حقي أختار اللي هتجوزها وأعيش معاها حياتي. أنا مش بطلب من حضرتك حاجة لكن أرجوك بلاش تتدخل في حياتي. أنا حتى مش هعيش في (مصر) هسافر وأعيش بره مش هتسمع عني حاجة تاني لو تحب لكن أنا مش بعمل حاجة غلط وبعدين أنا أبنك مش عسكري ولا ظابط تحت رئاستك هو الجواز كمان هيبقى بالأوامر العسكرية وهتفضل حاططني تحت المراقبة لحد أمتى؟ كفاية بقى من حقي أعيش حياتي زي ما أنا عايز.

أشتعل الغضب أكثر في عيني "كمال" وهو ينظر لإبنه وبدا على وشك صفعه لكنه تمالك أعصابه وقال في برود صارم مخيف:

- كلمتين من الآخر يا إبن "ليلى"، جواز من البنت الصحفية دي مش هيتم وإلا من غير قسم أنت عارف ممكن اعمل لك فيها ايه هي وأبوها وأنت عارف أني مش بهدد من فراغ وأن كلامي أفعال. عايز تسافر سافر، عايز تفضل في (مصر) خليك إنما تتجوز دي مش هقولك اللي هيحصل. ده آخر كلام عندي وإياك تفكر تكسر كلامي أو تعصاني ولو على الجواز أنا اخترت لك عروسة تليق بك وبمقامك وكمان بمستقبلك كجراح علشان تعرف أن كل همي مصلحتك لكنك للأسف أهوج وطائش ومش هتكبر أبدا مهما كان سنك.

نظر "خالد" لوالده بذهول وعقد الموقف كله لسانه فلم يدر ماذا يقول جلس على طرف المقعد فلم يدر متى غادر والده وفوجئ بوالدته تقف بجواره تناديه وهي في حالة توتر شديد:

- "خالد" حصل ايه؟! أبوك قالك ايه؟!

نظر لوالدته وكأنه يستفيق من سبات عميق ورد عليها بخفوت:

- عرف كل حاجة وهددني لو اتجوزت "نوران" هيدمرها هي وباباها. هو عرف ازاي؟ مين قال له؟

إبتسمت والدته بمرارة وردت عليه:

- يا حبيبي هو في حاجة ممكن تخفى عليه في البلد؟ ما أنا قلت لك من الأول وحذرتك وقلت لك حاول تكسبه بدل ما تخبي عليه

شوفت النتيجة؟ أنت عارف هو بيكره حد يتصرف من غير أمره هتعمل ايه دلوقتي؟

رد "خالد" عليها بعصبية شديدة:

- يا ماما يعني لو كنت قلت له كان هيبقى رده مختلف؟ أنا بس كان كل أملي أتمم كل حاجة وأسافر قبل الخبر ما يوصله ما أنا عارف أنه أكيد هيعرف بس كنت عايزه يعرف وأنا بره (مصر). أعمل إيه دلوقتي قولي لي؟ أنتي عارفة تهديداته مش مجرد كلام ده بينفذ على طول. أنا خايف جدا على "نوران" وباباها أنتي عارفة ممكن يعمل فيهم إيه.

ظلت والدته صامتة مطرقة الرأس. كانت هي أكثر من الدنيا كلها تعرف جيدا شخصية زوجها وتعلم ما هو قادر على فعله وأنه إذا غضب يكون غضبه مدمرا وعارما. لم تجد ما تقوله لابنها فظلت صامتة تماما.

عاد "خالد" لغرفته وهو يشعر أن عالمه تمزق وتبعثر في مهب الريح. لم يدر ماذا يفعل وكيف يصارح "نوران" بما حدث؟ موعد عقد القرآن بعد يومين فقط وتم إعداد كل شيء. هل يتحدى والده ويمضي فيما قرره بالفعل ويتحمل النتائج أم يخبرها بما أستجد؟ لكنه لن يجرؤ أبدا على مصارحتها ستكرهه للأبد. لكن ما ذنبه؟ هل يشقى في حياته بسبب وظيفة والده ومكانته؟

ظل "خالد" طوال اليوم التالي صامتا تماما لم يغادر غرفته أبدا ولم يرد على إتصالات "نوران" الكثيرة التي بدأت تشعر بقلق واضح كما بدا في رسائلها له. أرغم نفسه في مساء ذلك اليوم على الإتصال

بها بعد أن شعر أنها تكاد تجن من القلق وبذل جهدا خرافيا ليبدو صوته طبيعي. أخبرها أنه كان خارج المنزل طوال اليوم والهاتف لم يكن معه وكل شيء على ما يرام. أنهيا المكالمة دون أن يستطيع مصارحتها بما حدث. كان يشعر أنه يطعنها ألف طعنة في كل كلمة يقولها لها فها هي تنتظر الغد الذي من المفترض أن يكون يوم زواجهما.

جلس "خالد" في تلك الليلة مع والدته وشقيقه وأخبرهما قراره بالسفر مجدداً وبدون الزواج من "نوران"! نزل الخبر عليهما كالصاعقة لكنه أخبرهما أنه لا حل آخر أمامه الآن وليكن الله في عونه وفي عون "نوران" التي لا يدري كيف ستتحمل تلك الصدمة الشديدة وهي التي بذلت كل ما في وسعها لإقناع والدها بالموافقة على زواجها منه ورحبت بهروبها للخارج طالما ستكون معه. طلب "خالد" من شقيقه أن يذهب بنفسه إلى "نوران" ليخبرها بما حدث لأنه لن يستطيع مواجهتها لكن "حازم" إنفعل عليه بشدة وأتهمه بالجبن الشديد والنذالة وربما كانت تلك أول مرة على الإطلاق يتشاجر فيها الشقيقان بتلك الطريقة.

وقفت.الأم حائرة بينهما لم تدر ما تقول أو تفعل وشعرت بمدى ضعفها وهي القوية الصارمة طوال عمرها. نجحت في تربية شابين بمفردها والآن عاجزة عن حل أزمة إبنها الأكبر.

رفض "حازم" طلب شقيقه بالذهاب لـ"نوران" أو الإتصال بها وشرح الأمر ولم تستطع والدته أيضا الإتصال بها وإخبارها وبقى "خالد" في حالة يرثى لها عاجزاً عن الخروج من هذا الوضع المعقد.

وفي اليوم الموعود كانت "نوران" في إنتظار "خالد" في منزلها الذي أضاءته الزينات والمصابيح الملونة وبجوارها كان والدها الذي بدا سعيداً لسعادة إبنته الوحيدة برغم إجهاد المرض الواضح على وجهه الذي إمتزج بقلق حاول إخفاءه في صدره. تألقت "نوران" في فستان عاجي اللون وبدت رائعة الجمال ولم تقم بدعوة أحد سوى بعض الأقارب و"شيرين" و"هشام" صديقيها المقربين وتم تجهيز كل شيء وحضر المأذون وظل الجميع في انتظار قدوم "خالد" ووالدته وشقيقه في أية لحظة.

ولما طال الإنتظار إتصلت "نوران" بـ"خالد" لتجد هاتفه مغلقاً وفي نهاية الأمر إضطرت للإتصال بوالدته التي لم يطاوعها قلبها أن ترد عليها في البداية ثم أشفقت عليها وتخيلت كيف سيكون حالها لو أنها أبنتها. ردت عليها باختصار لتخبرها أن "خالد" سافر بالفعل منذ ساعات قليلة وأنه لا يستطيع إتمام زواجه منها ورجتها بقلب الأم ألا تكرهه لأن الأمر ليس بيده وإنما رغما عنه وأنه تلك المرة يسافر في حالة سيئة للغاية ويعيش أسوأ أيام حياته ويطلب منها فقط أن تسامحه.

حاول "خالد" بعد سفره أن يتابع أخبار "نوران" من بعيد وبشكل غير مباشر. علم أنها أصيبت بإنهيار عصبي حاد بعد ما حدث وظلت في المستشفى شهراً كاملاً وعندما غادرته لم تعد أبدا كما كانت. إنزوت تماما وأنغلقت على نفسها وطلبت نقلها من قسم التحقيقات عندما تمكنت من العودة لعملها وأكتفت بتغطية صفحة الأدب فقط. علم أيضا أن والدها توفي بعد سفره بستة أشهر فقط وشعر كأنما طعنه أحد في قلبه بخنجر قاتل عندما

تخيل حال "نوران" وقد خلت الدنيا من حولها فلم يبق لها أحد لا هو ولا والدها ولا حتى عملها الذي عشقته ولم تعد له أبدا.

ظل "خالد" عاما كاملا تقريبا يتخبط دون هدى في حياته ورفض الكثير من عروض العمل المغرية لعجزه عن التركيز في أي شيء فكان إحساسه بالذنب تجاه "نوران" يمزقه ويكاد يقتله ولم يكن يدري كيف يمكن أن يعوضها عن خسارتها أو يساعدها على الخروج من أزمتها التي باتت ممتدة.

بعد ذلك قرر أن يكرس حياته لعمله ويتناسى همومه فيه. إلتحق بالعمل في واحدة من المستشفيات الكبرى في (باريس) وبدأ يستعد أيضا لنيل درجة الزمالة. في تلك الفترة أصبح وجود "منار" في حياته أمرا معتادا. كانت تلك هي العروس التي أخبره والده عنها لكنه لم يكن يدرك ذلك وقتها وكانت مثله تدرس في (فرنسا) لكن تخصصها كان التحاليل الطبية. كانت "منار" ابنة "أنيس زهران" الطبيب واللواء المتقاعد وأحد أصدقاء والده المقربين وألتقى بها عدة مرات في (باريس) حيث كانت تقيم مع والدتها أثناء فترة دراستها وكان والدها ينضم لهم على فترات حسبما تسمح ظروف عمله فهو يمتلك واحدة من كبرى المستشفيات الإستثمارية في (مصر)، (مستشفى المنار) التي أطلق عليها إسم وحيدته. إعتادت الأسرة دعوة "خالد" لتناول العشاء أحياناً وكثيراً كان يرفض الدعوة بأدب وأحياناً أخرى كان يضطر للقبول محرجاً.

كانت "منار" تملك كل ما يحلم به أي شاب في زوجته فهي طبيبة مثقفة والإبنة الو-يدة لأسرة ثرية راقية. كما كانت باهرة الجمال بشعرها الأشقر الطبيعي الطويل وعيونها الخضراء وقوامها الساحر

وإن بدت بشكل عام فرنسية أكثر منها مصرية. لكن "خالد" لم يفكر بها أبدا كزوجة محتملة. لم يكن عرش قلبه يقبل ملكة أخرى غير "نوران" لكن بدا من الواضح أن الأسرة تحمل له خططاً أخرى.

كانت "منار" دائمة الإتصال به والسؤال عنه وخرجا سوياً عدة مرات في عطلة نهاية الأسبوع ومع الوقت أصبح واضحا للجميع أن زواج "خالد" و"منار" صار وشيكا وكان الترتيب الذي أعده "كمال العشري" مع صديقه هو زواج "خالد" و"منار" على أن ينهيا دراستهما في (فرنسا) ثم يعودا إلى (مصر) ليتشاركا إدارة (مستشفى المنار). كان هذا هو الترتيب الملائم للزواج الناجح من وجهة نظر "كمال". وبعد شهور قليلة أقيم حفل زفاف "خالد" و"منار" في (باريس) وحضرت والدة "خالد" الحفل بدون حماس إرضاء لإبنها في حين رفض "حازم" الحضور أو حتى تهنئة شقيقه.

علمت "نوران" بالصدفة البحتة بزواج "خالد" عندما صادفتها صورة الزفاف وهي تتصفح (الفيس بوك) وقد قام أحد أصدقاء "خالد" الذين حضروا الزفاف بعمل إشارة له على الصورة فظهرت عند "نوران" على الصفحة الرئيسية حيث كان "خالد" لا زال في قائمة أصدقائها لم تستطع أبدا الإقدام على حذفه وإن لم تتبادل معه كلمة منذ رحيله.

يذكر "خالد" أنه في هذا اليوم فتح صندوق رسائله على (الفيس بوك) ليجد كلمة واحدة من "نوران" ... (مبروك) ووجد أن صفحتها الشخصية إختفت من عنده فعلم أنها قامت بحجبه.

*****

(6)

مرت الأيام التالية بعد لقاء "خالد" ثقيلة وكئيبة على "نوران". كان لقائه كفيلاً بأن يعيدها لذكريات أليمة لا زالت تجاهد لتخطيها وإستكمال حياتها بشكل طبيعي ولا زالت لم تنجح في ذلك تماما. ظلت "شيرين" ملازمة لها معظم الوقت في تلك الفترة، تغادر العمل معها يومياً تذهبان للتسوق أحياناً أو تناول الغداء معا وقلما كانت تتركها سوى في موعد النوم بل كانت تبيت معها أحيانا. كانت "نوران" تشعر بامتنان شديد في قرارة نفسها لـ"شيرين" وإهتمامها البالغ بها وحمدت الله أن منحها تلك الرائعة التي لو خلت الدنيا من سواها لكان ذلك كافياً تماماً لها.

أغلقت "نوران" هاتفها المحمول معظم الوقت في تلك الأيام. كانت تحاول جاهدة أن تبعد "خالد" عن حياتها وإن عجزت أن تبعده عن تفكيرها لكنها كانت تسعى بالفعل لمقاومة ضعفها أمامه. شعرت بكره لهذا الضعف الذي لم تعتده طوال عمرها وكرهت أن تكون على تلك الدرجة من الهشاشة أمامه. كانت تشعر أن "خالد" يفضح حقيقة مشاعرها أمام نفسها قبل أن يكون أمام أي شخص آخر، كانت بالفعل لا زالت تحبه في حين أنها لابد أن تكرهه بجنون، وكان وجوده بالقرب منها يترك فيها ذلك الشعور المرير بالضعف والعجز عن إتخاذ أي رد فعل لائق وكأنما تحول إلى فيروس قاتل يشن هجوم شرس على جهاز مناعي متداعي أصلا.

كان من حسن حظها أن تصادف تلك الفترة إقامة معرض الكتاب السنوي وهي فترة إنشغال شديد بالنسبة لها كونها محررة

الصفحة الأدبية في الجريدة. إستغلت تلك الفرصة لتكرس كل طاقتها وتفكيرها ووقتها للإهتمام بعملها. ظلت أيضا تتابع جروبها الأدبي الذي يتألق ويزداد تفاعل الأعضاء به في تلك الفترة بطبيعة الحال. لكن برغم كل شيء كان "ماجد" يشعر أنها ليست على ما يرام وهناك شيء ما طرأ على حياتها أضاف لشرودها ومع ذلك ظل ملتزما كما كان دوماً بإحترام خصوصياتها وإن لم يمنعه ذلك من الإحساس بقلق غامض عليها.

ظلت "نوران" على إنشغالها بالعمل في تلك الفترة ولم يحاول "خالد" الظهور مجدداً في حياتها وهو ما جعلها تشعر بالراحة نوعا ما. كان آخر ما تحتاجه الآن هو هذا الإرتباك الذي يحدثه وجوده في حياتها.

وذات صباح كانت تجلس على مكتبها بالجريدة كالعادة عندما إرتفع رنين هاتفها المحمول فجأة. إنتفض جسدها وقفزت من مكانها ففزعت "شيرين" لتصرفها وهتفت بها:

- إيه يا بنتي مالك متوترة كده؟ الموبايل بيرن عادي يعني.

أجابتها وقد بدت شاحبة نوعا ما:

- رقم غريب يا "شيرين" مين هيتصل بيا من رقم غريب؟ أي إتصال بخصوص الشغل بيكون على تليفون الجريدة.

نظرتْ لها "شيرين" نظرة ذات مغزى وقالت:

- يكون "خالد"؟ تفتكري؟ طب تحبي أرد أنا وأشوف مين؟

أومأت برأسها موافقة فأخذت "شيرين" الهاتف من يدها وضغطت زر الرد وقالت بنبرة بدت حادة نوعا ما:

- ألو، لا مش "نوران" مين حضرتك؟

وبسرعة لانت ملامح وجهها ما أن سمعت رد الطرف الآخر وسمعتها "نوران" تقول:

- أهلا يا باشمهندس حمد لله ع السلامة ثواني هخلي "نوران" تكلمك أنا "شيرين"، الحمد لله كلنا بخير "نوران" معاك أهو.

أعطتها الهاتف سريعا وهي تهمس لها:

ده "عمر" أخوكي.

أمسكت "نوران" الهاتف على الفور وقد بدت على ملامحها دهشة عارمة وهي ترد:

- "عمر" أنت في (مصر) من أمتى؟ وأزاي متقوليش إنك نازل أجازة؟ أنا بخير الحمد لله إزيك أنت و"سهام" والأولاد؟ بكرة؟ ماشي هنتظركم طبعا حمد لله ع السلامة يا أخويا أنت وحشتني قوي.

أنهت المكالمة والتفت لصديقتها تقول لها:

- "عمر" وصل النهاردة الفجر من (الإمارات) أجازة قصيرة أسبوعين بس وهيتغدوا عندي بكرة بإذن الله.

ردت عليها "شيرين" بنبرة تدرك "نوران" معناها جيدا:

- والله فيه الخير أنه لسه فاكر أن له أخت صغيرة وكمان نزل أجازة؟ إيه الحكاية؟ "سهام" صباع رجلها مش بيوجعها ويمنعها تنزل أجازة، ومحدش من العيال عنده كورسات إضافية ولا حاجة؟

إبتسمت "نوران" وكانت تفهم جيدا ما تلمح له "شيرين" وردت عليها:

- يا ستي مش مشكلة المهم أنه مبسوط في حياته والمهم أنه موجود أهو. ده وحشني قوي معقول عدت سنتين بحالهم من غير ما أشوفه؟

كان "عمر" الشقيق الأكبر لـ"نوران" يكبرها بثمانية أعوام ورث عن أبيه حبه للهندسة المدنية ودرسها وتخصص بها وورث عن والدته ملامحها خاصة عيونها الرمادية الشفافة وشعرها البني الداكن وملامحها الطيبة. لم يكن هو و"نوران" متشابهين شكليا بالمرة حتى أنه كان من الصعب على من يراهما معا تصديق أنهما شقيقان. ومنذ مولد "نوران" كانت فتاة شقيقها المدللة كان يحب كثيراً أن يصطحبها للتنزه وهو من علمها ركوب الدراجة وكان له الفضل في عشقها للقراءة. كانت شخصية "عمر" تتسم بالهدوء واللطف ولم يكن يبدي إهتمام بشيء قدر إهتمامه بالهندسة وكرة القدم. وكانت "نوران" تحب أخيها كثيراً وبرغم فارق السن بينهما إلا أنهما كانا متقاربان بشدة. وعندما كانت "نوران" في السنة الثانية بالجامعة أخبر "عمر" والده برغبته في التقدم لخطبة "سهام" شقيقة صديقه المقرب "عاطف". كانت "سهام" قد تخرجت وقتئذ وإلتحقت بالعمل كمدرسة للغة العربية في إحدى المدارس الخاصة. لم يتحمس الأب كثيراً لذلك لكنه رضخ لرغبة إبنه وتمت

خطبة "عمر" و"سهام" وكانت "نوران" سعيدة للغاية خاصة لتقاربها في السن مع "سهام" وشعرت أنها كسبت شقيقة جديدة. لكن لم يمر وقت طويل حتى تبين لها خطأ ظنها، فمنذ البداية كانت "سهام" تعاملها ببرود يصل حد الجفاء لسبب لا تعلمه "نوران". كانت "نوران" مثلما هي مع الجميع تعامل "سهام" بلطف شديد وتحرص على التواصل الدائم معها والسؤال عنها في حين لم تقابلها "سهام" بالمثل بل كانت تتهرب منها أحيانا.

لم تركز "نوران" في ذلك كثيرا وقتها وأرجعت ذلك لعدم معرفة "سهام" الجيدة بها وظنت أن مع الوقت ستتقاربان وتصبحان صديقتان. من الناحية الشكلية كانت "سهام" على قدر من الجمال ذات بشرة بيضاء صافية وعيون خضراء وقوام نحيف وتميل للقصر نوعا ما. لم يكن والد "نوران" يرى أن "سهام" هي الزوجة التي يتمناها لولده الوحيد، لسبب ما لم يرتح لها كثيرا وكان حدسه دائما على صواب. لكنه فعل مثلما فعلت "نوران" حيث أكتفى كلاهما بأن "عمر" يحب "سهام" وسعيد بإرتباطه بها. وبعد مرور عامان على الخطبة وتخرج "نوران" من الجامعة مباشرة تم زفاف "عمر" و"سهام". كان "عمر" يعمل في إحدى الشركات الهندسية الحكومية الكبرى بفضل توصية من والده وأثبت مهارة في عمله بحَق، ولكن بعد الزواج بدأ يفكر في السفر للعمل في الخارج برغم أن راتبه كان جيداً وكان مستقراً في عمله ويحقق نجاح ملحوظ. أرجع الأب تلك الرغبة الملحة بالسفر إلى إلحاح "سهام" زوجة إبنه عليه ولم يكن مخطئا في ذلك.

سعت "سهام" منذ اللحظة الأولى لزواجها من "عمر" إلى فصله وإبعاده قدر الإمكان عن والده وشقيقته. كانت تحبه كثيراً حقاً لكنها كانت تغار من تقاربه الشديد مع والده ومع "نوران" وتظن أن من حقها الإستئثار بحبه وحدها. وبعد عام من زواج "عمر" رزق بإبنته الأولى التي صمم على تسميتها "نوران" على إسم شقيقته وهو ما لم يعجب "سهام" كثيرا لكنها رضخت لرغبة زوجها وإن لم تناديها أبدا بـ"نوران" وإنما إعتادت أن تناديها "حبيبة" حتى أصبح "نوران" مع الوقت إسمها في الأوراق الرسمية فقط.

وبعد شهور قليلة من مولد "نوران" الصغيرة حصل "عمر" على عقد عمل جيد في دولة (الإمارات) كما إلتحقت زوجته بالعمل في إحدى المدارس هناك ليسافر ويترك والده وشقيقته بمفردهما. وبرغم أن هذا التصرف أحزن والده جدا لكنه لم يبد هذا الحزن لوحيده ودعا له بالتوفيق والسعادة في حياته. كان "عمر" دائم الإتصال بوالده وشقيقته بعد سفره وكان يزورهما كلما سنحت له الفرصة بالحصول على أجازة ثم بالتدريج تباعدت عطلاته وقلت إتصالاته بهما وبعد 6 أعوام رزق بطفله الثاني الذي حمل إسم جده "نبيل". مرت الأعوام وإعتاد "نبيل المصري" على غياب إبنه الأكبر ولم يبد تذمراً من ذلك بل حرص دوماً على أن يبدي سعادته البالغة برؤية إبنه أو سماع صوته وإن كان يتوق لعودته لمصر ليحظى بقرب حفيديه اللذين لا يكادا يعرفانه وأيضا كي يطمئن أن "عمر" موجود بجوار شقيقته ليرعاها إن غيبه الموت.

كانت "نوران" أيضا تشعر بحنين شديد لشقيقها الوحيد وحاولت بشتى الطرق التقرب من زوجته لكن الأخيرة ظلت على برودها الشديد تجاهها وهو ما زاد حزنها. وعاماً بعد عام كانت "سهام" تبتكر أية أعذار لتأجيل العطلة أو إلغائها حتى صارت زيارات "عمر" لمصر قليلة وقصيرة. ولم يكن "عمر" موجودا عندما توفي والده وحضر الجنازة مثل أي شخص غريب ولم يمكث مع شقيقته المكلومة سوى أسبوع واحد فقط سافر بعدها لمتابعة حياته. لم ترى "نوران" شقيقها بعد وفاة أباها إلا مرة واحدة لم يلبث أن غاب بعدها عامين كاملين لم يجمعها معه خلالهما سوى بضعة إتصالات هاتفية خاطفة ورسائل مختصرة متبادلة على (الفيس بوك).

شعرت "نوران" بسعادة بالغة لوجود شقيقها في (مصر) أنستها مؤقتاً التوتر الذي عاشته خلال الأيام الأخيرة بسبب لقاء "خالد". قررت أن تقضي اليوم التالي في الإستعداد لزيارة "عمر" وأسرته وإعداد كل المأكولات التي يحبها. لم تكن تهتم بالطهي عادة منذ أن باتت تعيش بمفردها لكنها صممت أن تعد مائدة طعام حافلة ترحيبا بشقيقها الذي طال غيابه عنها.

إستيقظت في اليوم التالي مبكراً وخرجت للتسوق وشراء ما يلزمها لإعداد الطعام. كانت تشعر بشوق شديد إلى شقيقها وكان وجوده يمدها بنوع من الأمان والدفء تفتقدهما بشدة في حياتها. أمضت وقت طويلاً في إعداد كافة أصناف الطعام التي يحبها "عمر" وكان لقاءها بشقيقها بعد هذا الغياب الطويل يبعث في نفسها بهجة طال توقها لها.

وصل "عمر" مع زوجته وطفليه بعد الظهر بقليل. عانقت "نوران" شقيقها طويلاً وكان هو أيضا على نفس الدرجة من الشوق لها. صافحتها "سهام" وقبلتها بشيء من البرود في حين هرعت لها "نوران" الصغيرة التي أوشكت أن تقاربها طولاً وقد صارت مراهقة تبلغ الثانية عشرة من العمر وبدت شديدة الشبه بعمتها بعينيها البنيتين وبشرتها الرائقة وملامحها الرقيقة، ولاحظت "نوران" أن الفتاة ترتدي الحجاب وبدت الدهشة على وجهها لصغر سنها وربما عدم إدراكها معنى الحجاب. وعلى الفور لاحظت "سهام" نظرات "نوران" المندهشة فبادرتها بالقول:

- شوفتي "حبيبة" صممت تلبس الحجاب السنة اللي فاتت، لوحدها كده والله يا "نورا" طالعة ربنا هاديها وشاطرة.

لم ترد "نوران" وانشغلت بمحاولة إستمالة "نبيل" الصغير الذي لم يتجاوز السادسة بعد وكان ملتصقاً بوالده وبدا عليه الخجل الشديد وأرجعت ذلك لغيابه الطويل عنها حتى لم يعد يذكرها ولا يبدو معتاد على وجودها. كان "نبيل" شديد الشبه بجدته التي لم يرها وورث عنها عينيها الرماديتين العميقتين والوداعة البادية على وجهه.

جلست "نوران" مع أسرة شقيقها وحاولت بجهد عدم منح "سهام" الفرصة لإستفزازها وإفساد لقاءها بشقيقها وظلت تتجاذب معه أطراف الحديث وتتبادل معه الأخبار والحديث عن الأيام القديمة وذكريات الأسرة التي لم يبق بها سواهما.

جلس الجميع على المائدة لتناول الغداء وبدت "نوران" الصغيرة سعيدة للغاية بوجودها بالقرب من عمتها وظلت توجه لها الأسئلة حول عملها وحياتها بطريقة إستشفت فيها "نوران" ذكاء الصغيرة وشخصيتها الواعية، في حين بدأ خجل "نبيل" يذوب مع الوقت وبدأ يعتاد على المكان وزاد مرحه باللعب مع "زورو" الذي بدا مسروراً بدوره لإزدحام المنزل وصخبه على غير العادة.

بعد الغداء وأثناء تناولهم القهوة بادر "عمر" شقيقته بالقول:

- "نورا" أخبارك ايه في الدنيا مفيش جديد؟

نظرت إليه شقيقته بصمت ولم ترد. كانت تعلم أن هذا السؤال لو قيل بطريقة مباشرة لأصبح (نورا، مش ناوية تتجوزي بقى؟).

كانت تعلم جيدا أن شقيقها سيفاتحها قطعاً في مسألة الزواج وستسمع منه الكلام المعتاد حول كونها فتاة تعيش بمفردها وأن العمر يمر ولا يصح أن تظل وحيدة للأبد وأنها ترفض عروض ممتازة للزواج وكل هذا الكلام الذي حفظته على مر الأعوام لكثرة ما ردده على أسماعها.

لاحظ "عمر" صمت شقيقته لكنه تلك المرة لم يكتف بردها الصامت الذي مفاده عدم الرغبة في مناقشة الأمر برمته وواصل كلامه بهدوء:

- لحد امتى يا "نورا" هفضل قلقان عليكي؟ طب قبل كده كنت سايبك براحتك ومش بتكلم في الموضوع ده علشان بابا كان لسه عايش إنما دلوقتي أنتي لوحدك وأنا زي ما أنتي عارفة حياتي

خلاص بقت بره (مصر) وأكيد وأنا بره مش مطمن عليكي. مينفعش تكملي حياتك كده يا حبيبتي لازم يكون لك زوج وبيت وأنتي مبقتيش صغيرة دلوقتي.

شعرت "نوران" بإنزعاج شديد لكلام أخيها وكانت تعلم أن هذا الحديث لن ينته على خير ولم تكن تريد الشجار مع "عمر". كان آخر ما تريده أن يفسد الشجار لقاءها مع شقيقها وودت حقا لو صمت أو لو قام بتغيير الحوار. خرجت "نوران" عن صمتها في محاولة لإنهاء الحوار وقالت:

- "عمر"، أنا بخير من فضلك متقلقش عليا والزواج مش لازم يكون هدف البنت الأوحد في الحياة. أيوة أنا عايشة لوحدي إنما أنا مرتاحة كده. الوحدة أحسن مليون مرة من أني أعيش مع الشخص الخطأ وأكمل حياتي تعيسة. لسه ربنا مبعتليش اللي أرتاح له ومعاه أعمل ايه؟ أتجوز أي واحد وخلاص لمجرد أني بنت وعايشة لوحدي؟ ثم هو أنا اخترت العيشة لوحدي ولا دي مشيئة ربنا؟

لم يعجب الرد "عمر" ولا "سهام" التي بدت على وجهها علامات إستهجان واضحة وتدخلت في سياق الحوار بدورها لتقول لـ"نوران" بهدوء له برود الثلج:

- يا حبيبتي أخوكي خايف عليكي وده حقه. ثم مين قال إنك تتجوزي أي واحد؟ طيب ده إحنا عندنا ليكي هدية حلوة قوي يا "نورا".

نظرت لها "نوران" بدهشة وتساءلت متجهة بنظرها لشقيقها:

- هدية؟

تشجع "عمر" للكلام مباشرة بعد أن منحته زوجته طرف الخيط فسارع بالرد:

- أيوة يا "نورا"... "سهام" جايبة لك عريس زي الفل يا ستي.

عريس؟ كم بدا وقع الكلمة غريبا على نفسها! منذ زمن كفت عن التفكير بنفسها كفتاة عادية تعيش حياتها حتى يتقدم لها عريس مناسب. كان "خالد" بالفعل قد ترك في حياتها لعنة وجوده حتى وهو غائب. أحبته ولم يعد يملأ كيانها سواه منذ لقاءهما الأول وعاما بعد عام ظلت "نوران" متعلقة بخيوط واهية من أمل كان في معظمه كاذباً بأنه سيعود يوما ما وسيكون لها. عاشت على طيف هذا الأمل وأغلقت الباب في وجه كل من حاول الإقتراب منها أو الإقدام على خطوة الإرتباط بها. وبعد أن دمرها الخذلان العظيم لم يعد في نفسها ما يمكن إعتباره الحد الأدنى من الإستعداد للحياة من جديد.

ظلت "نوران" على صمتها فأستكمل شقيقها كلامه:

- هو مش غريب ده يبقى أخو "ماجدة" مرات "عاطف" أخو "سهام" وهو عايش في (الإمارات) من زمان ومستقر هناك، صيدلي ومقتدر ومش كبير في السن يعني تقريبا 48 سنة، كان متزوج بس إنفصل من فترة وعنده 3 أولاد عايشين مع مامتهم ومستعجل يا ستي يعني ممكن الموضوع كله يخلص في شهر وإحنا قولنا له عنك فعلا ومكنش ناقص إلا أننا نقول لك، شوفي بقى تحبي

تقابليه أمتى علشان نرتب لكم لقاء هو كمان موجود في (مصر) في أجازة قصيرة.

نظرت "نوران" بذهول لشقيقها وهي تشعر بصدى كلماته في ذهنها... (مقتدر، 48 سنة، الموضوع يخلص في شهر؟) لماذا يتحدث "عمر" عن الأمر وكأن إرتباطها بهذا "العريس" أصبح فقط مسألة وقت؟

تنحنحت "سهام" بعد أن أنهى زوجها حديثه وقالت:

- هو بس في حاجة بسيطة يا "نورا". يعني هو مشترط أن اللي هيتجوزها تكون محتشمة يعني أنتي فاهماني.

كانت "نوران" تنقل نظرها بين شقيقها وزوجته ولا زال الذهول مرسوما على ملامحها وتساءلت بدهشة:

- محتشمة؟

ردت عليها "سهام":

- يعني تكون محجبة. وبيتهيأ لي مفروض تلبسي الحجاب بقى أنتي مش صغيرة، وكمان هو مش عاوز مراته تكون بتشتغل، الراجل عنده اللي يكفيه ويعيشه ملك هو محتاج مراته تكون متفرغة له.

ردت "نوران" وقد بدأت تميل للسخرية:

- كمان؟

كان "عمر" يفهم شقيقته جيدا ويعلم أنها طالما بدأت ترد بشكل ساخر لن ينته الأمر بالشكل الذي كان يتمناه فقرر مواصلة الحديث مباشرة وقال:

- بصي يا "نورا"، أنا مش هرتاح طول ما أنتي عايشة لوحدك كده وأظن الفرصة دي ممتازة بالنسبة لك هتتجوزي إنسان كويس وهتيجي تعيشي معانا في (الإمارات)، هكون جنبك واخد بالي منك هو إحنا باقي لنا مين في (مصر) علشان نفضل هنا؟

لم يبد اللين لحظة على وجه "نوران" وقررت إنهاء الأمر كله على الفور وردت مقلدة أسلوب شقيقها بإبتسامة ساخرة:

- اه وبالمرة يا "نورا" نبيع البيت اللي بابا بناه بشقا عمره علشان ده هدفي من الموضوع كله بدل ما أنتي شاغلاه بالعيشة فيه كده، عايز أبيعه أو أهده وأطلع مكانه برج علشان أنا كل حاجة في حياتي بقت بتتحول تلقائيا لمشاريع وفلوس. الموضوع كله عن بيع البيت حتى لو كان الثمن أني أرمي أختي الوحيدة في النار وأجوزها لواحد متعرفش عنه حاجة وكل مميزاته أنه مقتدر بس يا حرام العريس اللقطة عايز العروسة محتشمة وست بيت.

كانت تتحدث بإنفعال واضح ظهر فيه كل ما يعتمل في نفسها من ألم وواصلت كلامها:

- اه وبمناسبة الكلام عن الإحتشام لاحظت يا "عمر" أن بنتك المحتشمة المحجبة ربنا يخليها لك مصلتش ولا فرض واحد طول اليوم. وكمان لاحظت أنها لابسة الحجاب على بنطلون سكيني

وبدي مجسم، صحيح الإحتشام حلو كويس أنها مطلعتش سافرة لعمتها غير المحتشمة.

بدت صدمة المباغتة واضحة على وجه "عمر" الذي تبادل نظرة ضامتة مع زوجته وحاول الحفاظ على هدوءه ورد على شقيقته:

- أنتي ازاي تفكري كده؟ أنا همي على مصلحتك هتفضلي لحد أمتى من غير جواز أنتي نسيتي عندك كام سنة؟ ثم أيه المشكلة يا ستي لما تتحجبي طالما زوجك عايز كده هو الحجاب وحش؟ وبعدين بتاخدي كام من شغلك في الصحافة؟ ملاليم يبقى إيه لزومه بقى.

بدا الغضب على وجه "نوران" وهبت مكانها واقفة لترد على شقيقها بصوت بدأ يرتفع من فرط الإنفعال:

- لا يا سي "عمر" الحجاب مش وحش أبداً بس يوم ما أتحجب هتحجب لله مش علشان أفوز بعريس. وإيه مضايقك في ملاليم الصحافة هو أنا جيت في يوم أشتكيت لك؟ جيت مدت لك أيدي وقلت لك أديني؟ أنت تعرف حاجة عني أصلا؟ أنت مين مش شايفة فيك أخويا الوحيد أبدا أنت جرى لك إيه يا "عمر"؟ هي الغربة بتغير الناس كده ولا إيه غيرك للدرجة دي؟

بدأ صوتها يختنق وتجمعت الدموع في عينيها وجاهدت لمنعها واستكملت كلامها:

- "عمر" من فضلك لو بتحبني ولسه فاكر أختك الصغيرة وفاهمها كويس بلاش تفتح تاني موضوع الزواج ده وكمان البيت اللي أبوك

بناه مش هيتباع ولا هيتهد ويطلع مكانه برج، لما أبقى أموت أنا كمان ابقى أتصرف فيه زي ما تحب.

بدا الحزن على وجه "عمر" وسارع بالقول:.

- بعد الشر عليكي يا "نورا". صدقيني والله مش عايز غير مصلحتك وأنك تكوني سعيدة أكيد عمري ما هجبرك على حاجة أنتي حرة.

أنهى "عمر" كلامه وسارع بضم شقيقه لصدره بحنان جارف وصادق. كان يحبها فعلا ويشعر بقلق حقيقي عليها برغم كل شيء. مر الباقي من زيارة "عمر" بشكل عادي ما بين حوارات عامة ومشاهدة التليفزيون ومداعبة الأطفال ومع حلول المساء غادر مع أسرته وعادت "نوران" لوحدتها من جديد.

إنشغلت "نوران" بعد مغادرة شقيقها بتنظيف المنزل وغسيل الأطباق لكنها ظلت طوال الوقت تشعر بألم يمزقها بسبب كلام شقيقها وزوجته. لماذا لا يتركها العالم في حالها؟ كانت في أمس الحاجة لوجود "عمر" خاصة بعد ظهور "خالد" من جديد. في نهاية الأمر هو شقيقها الأكبر والوحيد لكنه تغير كثيراً ولم يعد بمقدورها أن تستمد منه الأمان المفقود ولا أن تصارحه بما تمر به.

إستفاقت من شرودها على صوت وصول رسالة على (الفيس بوك) على هاتفها المحمول. نظرت للشاشة فوجدت الرسالة من "ماجد" يستفسر عن سبب غيابها طوال اليوم. ردت عليه وأخبرته بأمر زيارة شقيقها. شعر "ماجد" أنها ليست على ما يرام فألح عليها ليعلم ما بها. إتصل بها وردت على الفور، لم تدر لما قالت له إنها بالفعل تريد أن تتحدث فهل يمكنه أن يستمع؟ وافق على الفور

فطلبت رؤيته. كانت تعتزم في تلك الأمسية حضور حفل موسيقي في (ساقية الصاوي) يبدأ في الثامنة ولكن تغير مزاجها بعد زيارة شقيقها جعلها تلغي الفكرة ثم ما لبثت وقررت الذهاب ووجدت أنها فرصة للقاء "ماجد" والحديث معه. أخبرته أنها ستكون في الساقية في الثامنة تماماً ويمكنهما الحديث وقتئذ.

شعر "ماجد" بسرور بالغ لأن "نوران" طلبت رؤيته والحديث معه. أنتظر تلك اللحظة طويلا وأدرك من صوتها أن هناك ثقل هائل يجثم على روحها وأنها تحتاج للتخلص منه. سره كثيرا أن يكون هو الشخص الذي قررت أن تبوح له بما يقف حاجزاً بينها وبين العالم الواسع الذي يبدو أنها حرمت نفسها منه إرادياً. عاوده من جديد شعوره بالإستغراب لسعادته التي أصبحت مرتبطة إرتباطا مباشرا بها، وهو الذي أقام بينه وبين نساء العالم حاجزا منيعا من الفولاذ لتأتي تلك الرقيقة التي لا يكاد يعلم عنها شيئا فتذيب هذا الجدار بسهولة متناهية بل ربما أنها هي نفسها لا تدرك مدى تأثيرها فيه. الغريب في الأمر أن هذا لم يزعجه على الإطلاق وإنما كان يلفه بموجة ناعمة من مشاعر ظن أنه دفنها مع زوجته فإذا بها تنهض كعنقاء من بين الرماد بمجرد وجوده بالقرب من "نوران".

وصل "ماجد" في موعده تماما ولمح "نوران" جالسة على إحدى الطاولات المطلة على النيل وبدت منعزلة عما حولها وقد أعترى ملامحها حزن واضح ممزوج بشحوب شديد. بادرها بالسلام وسألها عما إذا كانت ترغب في حضور الحفل الموسيقي ثم

يتحدثان كما تشاء لكنها أخبرته أنها بالفعل كانت تتوق لحضور الحفل لكن الآن فقدت رغبتها في ذلك.

جلس "ماجد" ومنحها فرصة لإلتقاط أنفاسها والهدوء لتتمكن من الحديث. صمت بعد ذلك بعدما لاحظ إرتباكها الواضح ليمنحها فرصة التماسك وبدء الحديث. وبعد دقائق من الصمت قالت "نوران" بخفوت شديد:

- "ماجد" الحقيقة أنا مش محتاجة منك شيء أنا بس محتاجة أفضفض ومش عارفة ليه حسيت أنك ممكن تسمعني من غير ما تكون متضايق أو أكون بزعجك. جايز أكون غلطانة في تصوري أو عشمي أكتر من اللازم علشان كده من فضلك لو مش مهتم تسمع أو مش قادر تسمع أو مش متحمس تسمع....

قبل أن تكمل كلامها قاطعها بحسم:

- "نوران" قولي كل اللي جواكي ومحتاجة تطلعيه علشان ترتاحي. أنا حاسس بيكي من مدة طويلة وحاسس أن روحك محبوسة خلف جدار عالي قوي. أنتي محتاجة تحكي وأنا مستني من زمان اللحظة اللي أسمعك فيها.

أنهى "ماجد" كلامه بإبتسامة واسعة أثارت في "نوران" شعور بإرتياح كانت في أمس الحاجة له. تنهدت بعمق ثم بدأت كلامها وهي تجاهد للتركيز وجمع شتات نفسها. حكت له قصتها مع "خالد" منذ البداية وكيف أنها كانت تحيا طوال تلك الأعوام على أمل في عودته ويكون لها في نهاية الأمر ، وكيف أنها رفضت تماما كافة عروض الزواج وفضلت العيش على هذا الأمل ولم يجبرها

والدها أبدا على الزواج أو يلح عليها. كان يشعر بما تعانيه وبرغم أنه لم يكن يوافقها أبدا في تعلقها بما يراه وهماً ظل يدعو لها الله أن يمن عليها بنعمة النسيان لكنها لم تنس أبداً. حكت له كل ما حدث حتى تخلي "خالد" عنها وسفره. وعندما وصلت لتلك النقطة ارتجفت شفتيها وأحتشدت الدموع في عينيها فلم يمنعهم من الإنهمار سوى كبرياء عنيد قلما غاب عن "نوران". شعر "ماجد" بتعاطف جارف مع "نوران". كان يعلم أن في حياتها جرح موجع لكنه لم يتخيل أن تكون صدمتها بهذا العنف وبدأ يتفهم سبب تلك الفقاعة التي تحيط بها نفسها بكل شراسة وتحيا داخلها في عالم خاص بها.

لم يتفوه بكلمة بل إلتزم الصمت إحتراماً لما يعتمل في نفس "نوران" من إنفعال. صمتت قليلا ثم واصلت البوح وقالت بصوت يفوح منه الألم:

- تعرف أني كتير بحتقر نفسي قوي؟ خصوصا لما بحط نفسي في مقارنة مع "شيرين" اللي سنين عمرها بتمر وهي بتحب "هشام" بس خايفة يتجوزوا ويكون زواجها سبب تقصيرها في رعاية باباها وأخواتها.

أرتفع حاجباه دهشة عند سماع ذلك وقبل أن يرد أستكملت "نوران":

- أنا بابا كان كل حياتي وهو اللي رباني لوحده أنا تقريبا معرفتش أمي ومش فاكرة منها إلا إبتسامتها بس وصوتها لما كانت بتغني ليا وأنا طفلة علشان أنام. بابا كرس حياته كلها علشاني أنا و"عمر"

وكان رد الجميل مني إيه؟ مجرد ما "خالد" قالي تعالي معايا هنسافر وافقت بدون تردد موقفتش لحظة اسأل نفسي طيب بابا هيعيش لوحده أزاي؟ فكرت بكل أنانية وغباء الحب أعماني حتى عن أني أفكر في الإنسان الوحيد في الدنيا اللي كان يستحق مني أهتم به وأرعاه.

أفلتت دموعها رغما عنها فتركتها تنساب حارة على وجهها ولم يدر "ماجد" ماذا يقول حقا لكنه سحب منديل ورقي من العلبة الموضوعة أمامه على الطاولة وقدمه لها. أخذته "نوران" وحاولت أن تتمالك نفسها وأكملت:

- تعرف يا "ماجد" أن بابا كان مريض فشل كلوي؟ تعرف أنه أخفى مرضه عني؟ أيوة مكنتش أعرف أنه مريض أخفى عني مرضه علشان متألمش شوفت كان رائع قد أيه؟ بابا زاد تعبه قوي بعد سفر "خالد" ومعرفتش بمرضه إلا بعد ما وقع من طوله في البيت وأتصلت بالإسعاف لنقله المستشفى وهناك عرفت الحقيقة اللي أخفاها عني لحمايتي من الألم. كان عارف أنه هيموت بس لآخر لحظة فضل متماسك قدامي. ساعتها بس فهمت ليه هو وافق المرة الأخيرة على زواجي من "خالد" اللي كان رفضه قبل كده مع أن لسه نفس سبب الرفض قائم. ساعتها فهمت أنه كان بيسعى لآخر لحظة لتحقيق السعادة لي أنا على حسابه هو نفسه. أتحمل هو تعبي وصدمتي بعد اللي حصل لي وأنا كنت غبية لدرجة أني حتى منتبهتش لعلامات المرض الواضحة جداً عليه. ولما عرفت بمرضه كان الوقت تأخر جدا شهور قليلة بس قدرت أكون

فيهم جنبه وبعدين فارقني للأبد ومش عارفة حتى هو سامحني ولا لا.

إنهارت "نوران" في تلك اللحظة في بكاء حار وشعر "ماجد" بقلبه يتمزق. ود لو يمكنه إحتضانها وتهدئة روعها وشعر بإختناق شديد لعجزه عن التخفيف عنها بأية وسيلة.

هدأت "نوران" بعد لحظات ورشفت قليلا من الماء ثم أكملت بصوتها المرتعش:

- عرفت دلوقتي ليه أنا عاجزة عن الكتابة يا "ماجد"؟ أنا مش قادرة أسامح نفسي أبداً لتقصيري في حق بابا. أنا أزاي كنت أنانية للدرجة دي؟ أزاي كنت غبية للدرجة دي؟ تعرف أن بابا كان شايفني كاتبة من أيام ما كنت طفلة؟ عمره ما تخيلني شيء إلا أني أكون كاتبة.

إبتسمت لتلك الذكرى التي طافت بعقلها وقالت:

- من أيام ما كنت في إبتدائي وأنا دائما باخد الدرجة النهائية في موضوعات التعبير وكنت مسؤولة لوحدي عن مجلة الحائط في المدرسة طول سنين الدراسة وبابا كان بيحب قوي يناديني الأستاذة "نورا" ويقول لي أنتي هتبقي أستاذة كاتبة قد الدنيا وبكرة تشوفي. كان دايما يشجعني وكان عارف أن ده فعلا حلمي وشجعني أدخل كلية الإعلام وأني اشتغل في الصحافة. كنت أتمنى أحقق له حلمه فيا لكن إيه الفايدة دلوقتي؟ لما كان بابا معايا كانت حياتي عبارة عن إنتظار لما لا يجيء أبداً أفسد عليا حياتي بكل ما فيها، ولما جه اليوم اللي توهمت فيه أن خلاص الإنتظار

أنتهى وهبدأ أعيش الحياة بجد لقيت نفسي طايرة لسابع سما فجأة وبعدين نازلة لسابع أرض فجأة برضة. إنكسرت قوي إنكسار خلاني مبقتش عايزة أعيش في الدنيا دي ورميت كل حاجة ورا ضهري. بابا كان دايما جنبي ودايما يحاول يخرجني من الحالة دي بس أنا بغبائي وسخافتي حرمته حتى من ده وعيشته في ألم وبؤس بسببي. دلوقتي كل ما أحاول اكتب أي شيء بحس بعجز رهيب، روحي نفسها عاجزة، إحساس الذنب والألم بيقتلني يا "ماجد"، شيء جوايا بيمزقني ويقول لي أنتي جاية تحققي حلم باباكي بعد ما مات؟ طيب يا ترى هو سامحني ولا مات زعلان مني؟

أستمر شلال الدموع متدفقا من عيني "نوران" وأحترم "ماجد" لحظات الألم المصاحبة لهذا البوح النادر من جانبها. بعد لحظات كان لابد أن يقول شيئا لا يمكن أن يتركها في تلك الحالة أبدا. نظر لها وبرغم التأثر البادي على ملامحه لكنه لاحظ أنها أيضا كانت تنظر له في صمت وكأنها تدرس وقع ما قالت عليه أو تنتظر رده عليها.

بدأ "ماجد" كلامه بأن شكرها لثقتها الغالية وأنه اختارته هو لتبوح بكل ما يعتمل في نفسها ثم قال لها بهدوء:

- "نوران" أنا مش بقلل أبدا من حجم ألمك لكن عايزك تعرفي حاجة مهمة جداً. اللي أنا واثق منه أن بابا كان بيحبك أكتر من أي شيء في الدنيا ومستحيل يكون مات زعلان منك إنما الأكيد أنه كان زعلان عليكي. الأب والأم يا "نوران" أكتر أتنين في الدنيا بيبقى كل همهم سعادة أولادهم حتى لو على حسابهم ومش بيحسوا

أبدا أنهم بيمنوا عليهم بكده لا بيعملوا ده بسعادة وحب كبير قوي.

ظلت صامتة وهو ما شجعه على الإستمرار في كلامه:

- دلوقتي يا "نوران" مينفعش تكملي حياتك بنفس المشاعر السلبية دي أنتي فعلا موهوبة جداً وأنا قلت لك كتير إنك لازم تبدأي كتابة حرام تضيعي موهبتك علشان أوهام، أكتبي أي شيء إبدئي بس لازم تشجعي نفسك وتبدئي صدقيني الخطوة الأولى بتكون الأصعب واللي بعد كده هين. كمان يا "نوران" أنتي عارفة تقريبا كل شيء عن حياتي تفتكري لو أنا كنت فضلت معتزل الدنيا بعد موت "مريم" وبنتي كان هيبقى حالي إيه دلوقتي؟ الفراق صعب ومؤلم والدنيا مش كلها وردي لازم يكون فيها الأسود حتى لو طول وطغى لازم هييجي يوم وردي. لازم تقاومي يا "نوران" لازم تحاربي كل اللي بيشدك بقيود للبقاء محلك سر أنتي تستاهلي السعادة بس السعادة مش بتيجي للإنسان لحد عنده لازم يسعى لها ويحققها ويخلقها بنفسه. كلامي مش نظري ولا مجرد جبر خواطر وخلاص أنتي أكتر واحدة عارفة أني عشت التجربة دي وقدرت أتجاوز ألمي وحزني وإلا كنت مت من زمان.

كانت "نوران" تشعر في قرارة نفسها أن "ماجد" محق في كل كلمة تفوه بها وكانت ممتنة له بشدة لحسن إستماعه لها ولتشجعيه الذي لم يتوقف لحظة. شعرت براحة شديدة لأنها أخبرته بكل ما يؤلمها وقررت أن تقول آخر ما لديها وليكن ما يكون. إستغربت ترددها وخشيتها ردة فعله لسبب ما لم تدرك كنهه ومع ذلك قالت له:

- تعرف يا "ماجد" في حاجة حصلت من فترة قريبة أربكت حياتي أكتر ما هي مرتبكة.

تطلع لها متسائلا فأكملت:

- "خالد" ظهر في حياتي من جديد.

بدت تعبيرات وجهه غامضة ومتضاربة لكنه التزم الهدوء وقال:

- "خالد" ظهر تاني؟ أزاي وليه؟

أجابته بوجه تعلوه إبتسامة مريرة:

- والله ما أعرف، رجع من السفر أتصل بي وطلب يشوفني وأتقابلنا، بيقول إني وحشته وكان عايز يشوفني، ده كل اللي حصل ومن بعدها معرفش عنه شيء.

شعر "ماجد" بإستياء بالغ في قرارة نفسه. كان يعلم جيداً أن وجود "خالد" في حياة "نوران" ولو بشكل عابر كفيل بإحباط أية خطوة تقدم عليها للمضي قدما لكنه لم يكن يريد أن يشعر أنه يتطفل على حياتها الخاصة. خشى مضايقتها فهي وإن كانت باحت له بكل تلك الأسرار قد لا تقبل منه تدخل مباشر في حياتها. وبالرغم من ذلك قال لها:

- "نوران" أنا يمكن مش من حقي أملي عليكي أفعالك لكن فعلا لازم تتجاوزي "خالد" وتخرجيه من حياتك وتفكيرك. أنا شايف أن تأثيره عليكي ضرره أكتر من نفعه وافتكري حاجة مهمة جدا... ده دلوقتي رجل متزوج يعني أكيد مفيش أي سياق ممكن يجمعك به من جديد هو أختار حياته اللي تناسبه وأنتي كمان المفروض

تقفلي صفحة الماضي تماما وتحددي أولوياتك وأهدافك وتركزي على اللي بيسعدك مش اللي بيشقيكي وأنا آسف لو كان ده تطفل مني.

إبتسمت "نوران" بهدوء وأجابته سريعا:

- "يا "ماجد" أنا اللي طلبت أشوفك وأنا اللي طلبت أحكي لك يعني أنا بكامل إرادتي الحرة دخلتك حياتي وده يديك كل الحق تقول كل ما تشاء وتنصحني وترشدني أنا أثق فيك تماما وفي رؤيتك للأمور. وأنا عارفة أن عندك حق في ضرورة إبعاد "خالد" عن حياتي أنا بحاول صدقني بحاول بكل جهد وأتمنى أني أنجح.

شعر بإرتياح شديد لسماع تلك الكلمات وأمتزج إرتياحه بإحساس غامر بالسعادة لكونه أصبح على تلك الدرجة من القرب منها. لم يكن يعلم على وجه التحديد سبب ذلك كان سعيدا وهذا يكفيه جدا إذ لا يذكر متى كانت آخر مرة شعر بسعادة حقيقة لتلك الدرجة. لم يقاوم رغبته في مشاكستها فقال لها مبتسماً:

- هو أنا أكيد سعيد جداً لسماع الكلام ده منك يا "نوران" بس متحفظ على عبارة بكامل إرادتي الحرة دخلتك حياتي لأنها بتفكرني بأفلام مصاصي الدماء. -وصنع بوجهه تعبيرا مسرحيا مضحكا لمصاص دماء وهو يقول- أنت أيها الفاني أدخلتني منزلك بكامل إرادتك الحرة تحمل نتيجة قرارك.

ضحكا سويا على تلك الدعابة وشعر بقلبه يخفق بفرح لرؤية ضحكة "نوران" الصافية للمرة الأولى منذ بداية الأمسية في حين شعرت هي بإمتنان شديد له وغادرت المكان وهي تشعر بروحها

أخف ما يكون وكأنما أزاح إستماع "ماجد" لها وتفهمه ثقل بغيض كاد يخنقها.

مرت الأيام التالية بشكل معتاد دون جديد والتقت "نوران" بشقيقها عدة مرات ولم يعاود الحديث مجدداً في مسألة زواجها. ومع كل لقاء كانت تشعر بمدى التباعد الذي حل على علاقتها مع شقيقها ولم تعرف هل هذا يرجع لسفره الدائم أم لكون أسرته أصبحت تحتل المكانة الأولى بحياته وهو أمر طبيعي على كل حال. كان البرود الذي أصاب علاقتها بشقيقها يؤلمها حقاً لكنها لم تشكو وأكتفت أنها على الأقل تلقاه في أجازاته القصيرة دوماً وتتحدث معه هاتفياً.

ودعت "نوران" شقيقها في المطار يوم سفره وما أن إرتفعت الطائرة محلقة في السماء حتى أعتراها مجدداً ذلك الشعور القاتل بالخواء والوحشة. برغم كل شيء كان وجود "عمر" بالقرب منها يمنح حياتها نوعاً من الدفء والألفة ما لبثا أن غابا عنها سريعاً بسفره.

*****

(7)

يوم الجمعة ... كان لهذا اليوم دوما مكانة خاصة لدى "نوران". كان هو يوم العطلة الأسبوعي لوالدها ومنذ أن كانت طفلة كان دوماً يحرص على إصطحاب "عمر" معه لصلاة الجمعة ثم يعودان إلى المنزل ليأخذهما معه إلى المطبخ ويتشاركوا جميعا في إعداد وجبة الغداء. وكثيرا كان يصطحبهما بعدها للتنزه حتى المساء. حافظ الأب على تلك العادة حتى بعد أن كبر الأبناء وتزوج "عمر" وسافر. وبرغم إصرار "نوران" على أن يرتاح أبيها وتقوم هي بإعداد الطعام لكنه كان يصمم دائما على أن يتشاركا في إعداده ثم يصطحبها للتنزه وقضاء باقي اليوم في الخارج وبعد أن أنهكه المرض وقل خروجه من المنزل كان يقضيان الأمسية معا في حوارات لا تنتهي وكثيرا ما كانت تستشير والدها في الموضوعات المتعلقة بتحقيقاتها الصحفية. ومنذ أن أصبحت فتاة عاملة إختارت أن تجعل هذا اليوم أيضا راحتها الأسبوعية كي تحظى بأطول وقت ممكن مع والدها.

والآن بعد أن أصبحت بمفردها لم تعد تهتم كثيراً بطقوس اليوم وقلما كانت تطهو أو تخرج من المنزل في هذا اليوم. كانت تصحو مبكراً كعادتها وتقضي معظم اليوم في القراءة أو إنهاء ما لديها من عمل في شرفة المنزل الواسعة مستمتعة بدفء الشمس في الشتاء ونسيم الهواء في الصيف.

في صباح أحد أيام الجمعة كانت "نوران" تجلس في الشرفة كعادتها منهمكة في مراجعة الموضوعات التي ستُنشر في صفحة الأدب في العدد الأسبوعي من الجريدة. إنتبهت على صوت جرس

الباب الخارجي للمنزل فأطلت برأسها تنظر من القادم ووجدت رجل في الخمسينيات من العمر يبدو بسيط الحال. نهضت من مقعدها وأقتربت من سور الشرفة لتستفسر عما يريد فسألها:

- مش ده بيت الحاج "نبيل المصري"؟

- أيوة يا حاج. خير حضرتك محتاج حاجة؟

ظل الرجل واقفا في مكانه وقال لها:

- عاوز أقابله يا أبلة الله يكرمك قولي له "بسيوني".

شعرت "نوران" بالدهشة قليلا. من هذا الرجل؟ لماذا لا يعلم أن والدها توفي منذ حوالي 3 أعوام إن كان يعرفه؟ جالت بذهنها فكرة أن هذا الرجل قد يكون واحد ممن كان والدها يتكفل بمساعدتهم خاصة أنه كان رجل خير بمعنى الكلمة ولم يتردد لحظة في مساعدة أي محتاج، وبعد وفاته كان أكثر ما يبعث في "نوران" إحساساً بالحزن أنها لا تعلم تحديداً من كان والدها يساعد وأين هم وكيف يمكنها أن تصل لهم لتواصل ما كان يفعله. قررت أن تنزل للرجل وتعرف من هو ولماذا يسأل عن والدها وقررت أن تقدم له ما كان والدها يقدمه لو صح ظنها وأنه واحد ممن كان يساعدهم.

خرجت بخطوات مسرعة وأغلقت باب الشقة خلفها جيداً ثم نزلت لترى ماذا يريد "بسيوني"؟ فتحت الباب وخرجت له فبادرها بالقول:

- معلش يا أبلة أنا جيت من غير ميعاد كده أنا بس كنت جاي أسلم ع الحاج "نبيل" بقالي زمن معرفش عنه حاجة.

- ولا يهمك يا حاج تنور في أي وقت. أنا بنته وهو توفى من ييجي 3 سنين أنت أزاي معرفتش طالما كنت تعرفه؟

ظهرت الصدمة على وجهه وتلعثم ولم يدر ماذا يقول سوى أن يردد:

- لا إله إلا الله. مات؟ الراجل الطيب ده مات بجد؟ لا إله إلا الله.

ثم أجهش بالبكاء وظهر الحزن والتأثر واضحين على وجهه. صمتت "نوران" لثواني إحتراما لمشاعر الرجل الفياضة الصادقة دون تصنع ثم قالت له:

- أوامرك يا حاج، أنا مكان والدي، أنت كنت محتاج حاجة؟

حاول الرجل السيطرة على إنفعاله وحزنه ورد عليها بسرعة:

- لا لا والله ما جاي علشان محتاج حاجة يا أبلة. أنا كنت جاي أسأل عنه بس. هو كان بيسأل عني ولما طال غيابه قلت أجي اسأل عنه وأتأخرت قوي معلش الصحة مش مساعدة. الله يرحمك يا حاج "نبيل" لولاك كان زماني ميت وولادي متشردين في الشوارع، يا بنتي اللي أبوكي عمله معايا مفيش حد يعمله الله يجعل مثواه الجنة بحق ما كان طيب وشهم.

تأثرت "نوران" بكلام هذا الرجل الطيب ولم يكن جديد عليها أن تسمع هذا الكلام عن والدها فهي تعرفه جيداً وتعرف حبه الدائم لعمل الخير ومد يد العون لمن يحتاج. لكنها ودت لو تعرف من

الرجل؟ وماذا قدم له والدها حتى يذكره بعد كل هذا الوقت ويحزن عليه لتلك الدرجة؟ فسألته:

- معلش يا حاج أنت ممكن تحكي لي بابا عمل لك إيه علشان تحزن عليه للدرجة دي؟ أنا عايزة أسمع منك جايز ربنا يقدرني وأقدر أكون مكانه وأكمل اللي بدأه.

أدخلته الحديقة وصعدت لتصنع له بعض الشاي وعادت ليحكي لها كيف عرف والدها وكيف كان له دوراً في إنقاذ حياته والحفاظ على أسرته. عادت "نوران" سريعا ولا تدري لما كانت متلهفة لسماع ما سيقصه "بسيوني" عن والدها، ربما لأنها تفتقده بشدة لكن كان هناك حدس آخر غامض يحدثها بأن هناك شيء ما في حياة والدها لم تعرفه أبدا.

بدأ "بسيوني" الحديث وبدت عليه الحيرة وسألها:

- يعني حضرتك عايزة تعرفي مني إيه؟ ما هو أكيد الحاج الله يرحمه قال لك عن اللي عمله.

إبتسمت بحزن وردت ببطء:

- أنا عارفة أن بابا كان بيعمل خير كتير بس مش عارفة كان بيعمل إيه تحديداً، وبتمنى لو أقدر أكمل مشواره يعني كنوع من الصدقة الجارية له علشان كده يبقى كتر خيرك لو حكيت لي هو كان بيعمل إيه ولمين.

لم تخف الحيرة المرسومة على ملامح "بسيوني" وقال لها:

- أنا معرفش يا أبلة هو كان بيعمل إيه بس أكيد كان بيعمل خير كتير ده كان راجل بركة ربنا يجعل مثواه الجنة. اللي أنا اعرفه اللي عمله معايا بس وده مش أي حد يعمله. يا ست "نوران" والدك رفض ياخد كلوتي لما حس أني هموت في العملية ومش كده وبس، ده ساعدني بفلوس علشان أصرف على عيالي وأقف على رجليا.

بدا الذهول وعدم الفهم على وجهها وهي تسأل "بسيوني" على الفور:

- إيه؟؟ بابا عمل إيه؟ رفض ياخد كليتك يعني إيه؟ مش فاهمة!! أنت كنت متبرع كلى؟ طب هو رفض ليه؟ ده كان مريض بالفشل الكلوي ودي كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياته وأنا لفيت الدنيا كلها علشان ألاقي له متبرع مناسب بعد ما عرفت بمرضه وملقتش لحد موته. هو قابلك أمتى وأزاي وليه رفض أرجوك فهمني؟؟!!

بدا تأثر ممزوج بالمزيد من الحيرة على وجه "بسيوني" وصمت لحظات أستغلها في شرب القليل من الماء ثم عاد يحكي:

- أعذريني يا أبلة أنا والله كنت فاكره قالك وأنك عارفة الموضوع بس شكلك متعرفيش. أنا عرفت الحاج "نبيل" عن طريق "حسان فرج" الله يجحمه، ده معلم كبير في البلد عندنا بيتاجر في كل حاجة وأي حاجة حتى البني آدمين، ونواحينا يا بنتي الناس أغلب من الغلب والحال واقف والناس علشان متموتش من الجوع بتبيع أي حاجة حتى جتتهم. إحنا يا بنتي البلد كلها عندنا بيبيعوا دمهم وكلاويهم، والضلالي "حسان" ده بيسرح عيال وشباب كتير

يشحتوا، حتى البنات بيشغلهم في البطال وفي منهم بيروح مبيرجعش يا بنتي والأهالي عارفين أن عيالهم ماتوا أخدوا اللي ينفع من جتتهم وموتوهم بس محدش بيقدر يفتح بقه اللي بيتكلم بيروح ورا الشمس. "حسان" ده يعرف ناس كبارات قوي في البلد وبيشتغل لحسابهم منه لله بيتاجر في فقر وعوزة الناس.

شعرت "نوران" بدهشة شديدة. ماذا يقول هذا الرجل؟ من "حسان" الذي يحكي عنه؟ وما علاقته بوالدها؟ وما كل هذا البؤس الذي يحكي عنه؟

وما أن توقف "بسيوني" لإلتقاط أنفاسه أثناء الحديث حتى بادرته بالقول:

- عم "بسيوني" أنا مش فاهمة حاجة بجد. "حسان" مين؟ وإيه علاقته ببابا؟ بابا يعرف الراجل ده منين؟ وأنتوا ازاي عايشين كده؟

إبتسم "بسيوني" بحزن وأجابها:

- عايشين؟ يا بنتي احنا مدفونين بالحيا إحنا كل قيمتنا في الدنيا أن جتتنا تنفع الناس المقتدرة يعيشوا بها وإحنا بنموت، إحنا كده كده ميتين. اللي أعرفه يا بنتي أن الحاج كان بيروح يغسل.في مستشفى حكومة وكان مسجل أسمه فيها علشان لما يلاقوا له كلوة يعملوا له العملية. "حسان" الضلالي بيصطاد الزباين من المستشفيات دي بيروح يكلمهم ويقول لهم إن عنده علاجهم وده اللي حصل مع الحاج "نبيل". لقيت "حسان" جه البلد وقالي يا "بسيوني" هتيجي معايا المستشفى تعمل تحاليل علشان في زبون عاوز كلوة، ورحت معاه وعملت التحاليل وبعد كام يوم رجع

وقالي إن الكلوة كويسة وهيعملوا العملية. التحاليل مكنتش كلها كويسة كان ممكن أموت في العملية بس والله يا بنتي ما كنت رافض أنا كان يهمني الفلوس اللي هاخدها لأني مكنتش لاقي العيش الحاف لعيالي وأنا على باب الله. قابلت الحاج الله يرحمه عند الدكتور اللي كان هيعمل له العملية في مستشفى كبيرة قوي، والدكتور قال إني ممكن أموت علشان في حاجة كده مفهمتهاش ناقصة في الدم. أنا ساعتها عيطت يا بنتي، كان كل همي الفلوس علشان عيالي العوزة وحشة، قلت لهم إني موافق أعمل العملية حتى لو مت بس وصيت والدك يدي هو بايده الفلوس لعيالي لو مت ميسيبهومش للضلالي "حسان" علشان هياكلهم وهيتمرمطوا أكتر من بعدي. أبوكي قال للدكتور إنه هيجهز فلوس العملية علشان بيطلبوا فلوس ياما في المستشفى دي وهيرجع له، وقبل ما نمشي قالي هات رقم تليفونك علشان أكلمك، أنا معنديش تليفون يا أبلة أديته رقم صبي القهوة اللي على ناصية شارعنا ده صاحب حمادة أبني الكبير وأتصل بيا وقالي إنه عاوز يزورني في البيت. بيني وبينك يا بنتي أنا خوفت من "حسان" ليفتكر أني بعمل حاجة من ورا ضهره ويأذيني وأنا ورايا كوم لحم فقلت له إني هقابله بره ورحت قابلته علشان أعرف هو عاوز إيه. أترجيته يعمل العملية ووصيته يدي الفلوس لأم العيال لو جرى لي حاجة. لقيته بيقول لي إنه مش هيعمل العملية وهيستنى دوره زي ما كان مستني في الليستة بتاعة المستشفى الحكومي. أنا كان هاين عليا أبوس أيده بس يوافق يعمل العملية أنا محتاج والحوجة بتذل. بس هو قال لي (مقدرش أتحمل ذنبك وانك تموت بسببي، الدكتور معندهوش ضمير لأنه مهتمش أنت هتموت ولا لا لكن

أنا مقدرش. أنا مش هعمل العملية وهستنى دوري ولو ربنا كاتب لي أعيش هعيش محدش هيموت ناقص عمر، بس يا راجل يا طيب أنت بترمي نفسك في التهلكة وأنت عارف أنك ممكن تموت طب مين هيربي عيالك؟ حرام عليك هم مسؤولين منك خاف على نفسك علشانهم محدش هيراعيهم زيك والفلوس عمرها ما هتعوضهم عن غيابك).

كانت دموع "نوران" تنساب بحرارة على وجهها وهي تسمع "بسيوني" الذي تنهد قائلا:

- الله يرحمك يا حاج نبيل. -وأكمل- لقيته يا بنتي بيحط في أيدي ظرف. بسأله إيه ده يا حاج؟ قالي (دول 20 ألف جنيه وهقولك تعمل بهم إيه، عندك في الظرف هتلاقي رقم تليفون وعنوان عيادة دكتور تروح له علشان أنت محتاج علاج علشان تقف على رجليك ولازم تتعالج. بعد ما تتعالج هتلاقي في نفس الظرف أسم مهندس في الحي هتروح له وتقول له انك جاي من طرف المهندس "نبيل المصري" وقل له إنك محتاج ترخيص كشك وهو هيقوم باللازم. الفلوس دي تجيب بها بضاعة تحطها في الكشك وتصرف على عيالك وتربيهم. أوعى أبدا تفرط في صحتك دي الصحة ميعوضهاش مال الدنيا ولم عيالك حواليك وأوعى تسيبهم لكلاب السكك دول أمانة.

أفلتت عبارة (يا حبيبي يا بابا) من "نوران" بتلقائية من بين دموعها وشعرت أنها على وشك الانهيار لكنها تماسكت وشجعت "بسيوني" الذي بدا عليه التأثر أيضا على أن يكمل حديثه فأكمل:

- أنا يا بنتي تنحت في الأول مكنتش فاهم حاجة .. بعدين حسيت أني عايز أوطي على رجله أبوسها مبقتش عارف أقول له إيه. وقالي مقولش حاجة أعمل اللي قالي عليه وأبعد عن "حسان" ومفكرش تاني أبداً أموت نفسي علشان مش لاقي. صممت ياخد عليا وصولات أمانة بالفلوس دي وأسدها له لما ربنا يفرجها رفض وحلف بأغلظ الإيمان ما ياخد مني مليم لا دلوقتي ولا بعدين وقالي مش عاوز منك حاجة غير أنك تسمع الكلام وتربي عيالك وتحافظ عليهم. وعملت يا بنتي زي ما قالي تمام وفضل والله متابعني ويسأل عني ويسأل لو كان ناقصني حاجة. وبعدين الدنيا بتلهي إنشغلت بالعيال وهم العيشة بس لما لقيت غيابه طول قلت أجي أشق عليه مكنتش أعرف إني أتأخرت قوي كده، الله يرحمك يا راجل يا طيب.

لم تدر "نوران" ماذا تقول كانت تشعر أن مشاعر كثيرة متضاربة داخلها. إشتياق شديد لوالدها وإحساس بمدى نبله ولم يكن هذا جديدا عليه لكن أن يرفض فرصته للحياة خشية أن تكون سبب لموت غيره، كان هذا أمر نادر الحدوث ربما قد لا يحدث مع غيره. إمتزج إحساسها بندم عميق لأنها كانت من الغباء والأنانية لحد الإنغماس تماما في حزنها على "خالد" فلم تلحظ ذبول والدها من المرض. كان قد أخفى عنها تماما أنه أصيب بفشل كلوي فلم تعلم الحقيقة إلا قبل وفاته بشهور قليلة عندما أشتد عليه المرض ولم يعد من الممكن إخفاءه عنها. تحمل الأب أمله في صمت كي لا يتسبب في ألم وحزن لأبنته وظل حتى النهاية يحاول مساعدتها في مداواة ألمها هي.

تمالكت "نوران" نفسها وبدأت فكرة ما تتكون في ذهنها. كانت قد تأثرت بشدة بمدى البؤس الذي حكى لها "بسيوني" عنه، وتخيلت أن يحيا كل هذا العدد من الناس على هامش الدنيا، لا قيمة لهم سوى أن يكونوا قطع غيار لمن يملك المال. لفت نظرها في كلامه نقطة هامة فعادت لتسأله:

- عم "بسيوني" أنت قلت إن الدكتور مكنش فارق معاه حالتك خطيرة ولا لا طالما هتمضي على إقرار العملية؟

- يا بنتي قلت لك اللي زينا محدش بيبص لهم. هو هيهمه إيه أموت ولا مموتش المهم عنده الزبون يعيش علشان هو اللي هيدفع. وأنا مكنش هاممني لولا أبوكي الله يرحمه اللي مرضاش يعمل العملية ساعتها.

- أنت عايش فين يا عم "بسيوني"؟ يعني من أي حتة في (مصر)؟

- أنا من حتة كده وأنتي مقبلة بعد العياط إسمها (كفر أبو سالم).

بدت علامات التفكير العميق على وجهها. كان ما سمعته من "بسيوني" عن مدى البؤس الذي تعيش فيه بلدته بأكملها قد ترك في نفسها أثراً عميقاً. كرهت جدا فكرة أن يحيا بعض البشر على حساب حياة آخرين فقط لأنهم يمتلكون ما يكفي من المال لشراء أجسادهم. شعرت بغصة في حلقها كون والدها عظيم لتلك الدرجة وهى لا تستحق أن تكون إبنته إن بقيت دون أن تحرك ساكنا لمساعدة هؤلاء.

بعد ثواني من الصمت قالت لـ"بسيوني":

- عايزة أجي أزورك وأزور بلدك يا عم "بسيوني" إيه رأيك؟ جايز أقدر أعمل حاجة وأساعدكم تخرجوا من حالة الفقر دي وتمنعوا أي حد أنه يستغلكم ويستغل حاجتكم.

بدا القلق على وجه "بسيوني" ورد بسرعة:

- الله يكرمك يا بنتي، إحنا ناس غلابة كافيين خيرنا شرنا وإحنا مش قد "حسان" واللي وراه ده طالق كلابه علينا ولو حس بس أن في حد مننا إتنمرد عليه هيقضي عليه، في عرضك بلاش. أنا كنت جاي بس أسأل عن الحاج نبيل اللي جميله في رقبتي ليوم الدين ومش محتاج مساعدة مستورة الحمد لله والواد "حمادة" إبني إشتغل في مصنع البلاستيك كمان. حضرتك لو محتاجة أي حاجة أخدمك بعينيا بس بلاش حكاية الزيارة دي، لو "حسان" شم خبر أن في حد زي حضرتك جه زارني هيفتكرني بشوف حالي من وراه، ده أنا عملت فيلم ورواية علشان الكشك اللي فتحهولي أبوكي وقلت له إن الست "أم حمادة" كانت بتساعد مرات بيه كبير قوي في بيتها وأن جوزها بيعمل خير كتير لله ولما عرف بحالتنا هو اللي ساعدنا لوجه الله، وعدت عليه الحمد لله علشان بس ستر ربنا وعلشان كمان أبوه القرش وشكله حس أني مفيش مني رجا بعد ما أبوكي رفض يعمل العملية ورمى طوبتي.

شعرت "نوران" بإحباط شديد إمتزج بغضب داخلها. كان خوف الرجل حقيقي وواضح وكرهت هذا الحسان من قبل أن تراه. فهمت من كلام "بسيوني" أن "حسان" هذا نوع من البلطجية الذين يستطيعون الإتجار بكل شيء وأي شيء لكسب المال. وأحزنها أن يكون الفقر مذل إلى تلك الدرجة. لم تكن تريد أن تلح

أكثر من ذلك على "بسيوني" لكنها لم تكن لتتراجع أيضا عما أنتوت أن تفعله. طلبت منه أن يصف لها بدقة مكان القرية التي يسكن بها، (كفر أبو سالم) ووعدته أن تحاول بذل ما في وسعها لمساعدة أهلها دون أن يعلم أحد أنها قابلته يوما أو أنه كان يعرف والدها.

تردد "بسيوني" في البداية لكنه رضخ في النهاية أمام إصرارها وأيضا إحساسه أنها بالفعل لا تنتوي إلا الخير وأنها لن تكن أبدا سببا لإيذائه. وصف لها المكان وطلبت بدورها أن يعدها ألا يتحدث مع أحد عن مقابلتهما وألا يبدو عليه أنه يعرفها إذا صادفها يوماً في القرية.

بعد أن أطمئن "بسيوني" إلى "نوران" لن تفعل ما قد يلحق به أو بأولاده الضرر هم بالمغادرة وقبل أن يرحل أصر أن تأخذ هدية بسيطة كان قد أحضرها معه لوالدها حيث خجل أن يأتي لزيارته للمرة الأولى بيدين خاويتين. أعطاها صندوق كرتوني كان يحمله وحاولت "نوران" أن ترفض بأدب لكنه أبي الرحيل قبل أن تأخذه منه. أخذته وشكرته وغادر "بسيوني" بعد أن أعطاها رقم هاتف إبنه الأكبر وطلب منها الإتصال به إن إحتاجت أي شيء وعرض عليها أن يرسل زوجته تساعدها في أعمال المنزل وقتما تشاء. شعرت "نوران" بتأثر بالغ لعرض الرجل وشكرته ووعدت بالإتصال بـ"حمادة" للإطمئنان عليهم ومعرفة إذا كانوا يحتاجون شئ وليس لطلب أي شيء. غادر الرجل وهو لا يكف عن الدعاء لوالدها بالرحمة ولها بالستر والصحة.

وفور مغادرته إتجهت "نوران" مباشرة إلى حجرة المكتب الخاصة بوالدها. لم تدخلها منذ وفاته سوى لتنظيفها ولم تفتح أدراج

مكتبه أو الإطلاع على أوراقه، لم يطاوعها قلبها أبداً. كانت تحتاج للتأكد من صحة ما عرفته من "بسيوني" برغم كل شيء.

أمضت طوال النهار في غرفة المكتب للإطلاع على أوراق والدها الذي لم تكن تعلم أنه كان يدون يومياته والأحداث الهامة في حياته. عرفت من خلال ما قرأته الوقت الذي إكتشف فيه والدها إصابته بالمرض وكيف أنه قرر عدم إخبارها وإخفاء الأمر عنها وفشله في إيجاد متبرع مناسب ومعرفته بـ"حسان" في المستشفى التي كان يجري بها الغسيل الكلوي، وكيف طلب منه نسخة من تحاليله الطبية ورقم هاتفه ثم اتصل به بعد أسبوع معلناً أنه وجد له متبرع مناسب وحتى لقائه مع "بسيوني" وما فعله معه. عرفت أيضاً سبب سفره لبلدته في الصعيد على نحو مفاجئ منذ أعوام التي عللها وقتئذ بأداء واجب العزاء في أحد أبناء عمومته في حين أنه سافر لبيع ما يملك من أرض وإرث هناك لتدبير تكاليف عملية الزرع. وعندما قرر عدم إجراء العملية منح "بسيوني" جزء من النقود ووضع المبلغ الباقي في أحد البنوك إنتظارا لتوافر متبرع آخر مناسب.

إبتسمت "نوران" عندما قرأت ما كتبه والدها عن رغبته في إبلاغ الشرطة بما لديه من شكوك حول هذا الطبيب وممارساته التي تنافي كافة الأخلاقيات المهنية والإنسانية لدرجة أن موت إنسان لا يشكل لديه فارق طالما نجح في الحصول على أعضائه. لكنه لم يفعل ذلك لعدم إمتلاكه دليل كافي يثبت به صحة كلامه وكذلك شكوكه في أن "بسيوني" سيوافق على الإدلاء بشهادته. شعرت بسرور كونها إبنة أبيها وفكرت في نفس ما فكر فيه والدها. لكن

الوضع يختلف معها فإن لم يحصل الصحفي على أدلة إدانة للفساد فمن يمكنه إذا؟

علمت أيضا أنها كانت محقة في تخمينها أن والدها وافق على زواجها من "خالد" أخيراً بعد معارضته قديماً لخوفه من تركها بمفردها في الدنيا بعد موته خاصة وأن شقيقها إعتاد على الغربة ولم يعد يزور (مصر) إلا نادراً. أحزنها أيضا أن ترى في كلمات والدها مدى إشتياقه لإبنه الوحيد وأحفاده لكن منعه الكبرياء من الإلحاح عليه أن يعود لينعم بصحبة أسرته في أيامه الأخيرة.

لم تشعر "نوران" بمرور الوقت وهي مستغرقة في مراجعة أوراق والدها ولم تشعر بحلول المساء إلا عندما فوجئت بـ"زورو" يقفز على المكتب أمامها ويتمسح في وجهها المندس وسط الأوراق. ولما رفعت رأسها وجدت الساعة أمامها على المكتب تشير لإقتراب السابعة مساءاً.

ربتت على رأسه وتمطت بكسل وإرهاق لتنهض متجهة إلى المطبخ كي تعد للقط طعامه، وأعدت لنفسها بعض الشطائر حيث كانت هي أيضا تتضور جوعا.

تناولت طعامها سريعاً ثم أعدت بعض الشاي وعادت لغرفتها وذهنها لا يكف عن التفكير. فتحت (اللاب توب) لتصفح (الفيس بوك) ومتابعة الجروب الأدبي لكنها كانت شاردة الذهن تماما وسرعان ما إنصرفت عنه.

قامت وأحضرت قلم وبعض الأوراق لتدوين بعض النقاط الهامة لما تنتوي عمله. كانت تلك عادتها في عملها وبرغم إستخدامها

الدائم للاب توب في العمل لكنها ظلت حريصة على إستمرار إستخدام القلم والورقة في تدوين أفكارها.

إتصلت بها "شيرين" للإطمئنان عليها كالعادة وأقترحت عليها أن تأتي معها للسينما هي ووالدها وشقيقيها لكنها أعتذرت لها وتعللت بإنشغالها في إنهاء بعض الموضوعات الخاصة بالعمل. لم تقتنع "شيرين" لكنها لم تلح عليها أيضا. في اليوم التالي ذهبت "نوران" للجريدة كالعادة. ألقت تحية الصباح على "شيرين" و"هشام" اللذان كان منهمكان في حديث حول موضوع منشور في عدد الجريدة. بادرتهما بالقول:

- أنا عايزة أرجع قسم التحقيقات تاني.

تطلعا لها بدهشة واضحة وقالت "شيرين":

- إيه؟ وده من إيه ده؟ مالك يا بنتي؟

ردت مبتسمة:

- مالي؟ ما أنا زي الفل اهو يا "شيري". بقولك يا "هشام" أنت عندك خبرة كويسة في الفوتوشوب والتصوير الفوتوغرافي كمان صح؟

أومأ برأسه إيجابا وسألها بدوره:

- في إيه يا "نوران"؟ أنتي غريبة النهاردة.

أجابتهما وهي تخرج بعض الأوراق من حقيبتها وقالت لهما معاً:

- بعدين هشرح لكم، أنا بس رايحة للأستاذ "أحمد" أطلب منه الرجوع لقسم التحقيقات ولما أرجع هشرح لكم.

غادرت المكتب وتركت خلفها الكثير من علامات الإستفهام المعلقة. إتجهت مباشرة إلى مكتب رئيس التحرير وسمحت لها سكرتيرته بالدخول بعد إخطاره بوصولها. رحب بها وكان يحترمها جدا ويعتبرها أحد أكثر الصحفيين موهبة وتميز في الجريدة. بعد سؤالها عن أحوال العمل ومناقشة بعض أفكار صفحة الأدب قررت "نوران" الدخول مباشرة في الأمر. وضعت أمامه الملف الذي يضم فكرة التحقيق الذي ترغب في عمله. رفع رئيس التحرير حاجبيه في دهشة لم تخفها نظارته الطبية عندما قرأ عنوان التحقيق ...

(قرية الموتى الأحياء: تجارة الجثث والدم، مصريين على هامش الدنيا).

لفت عنوان التحقيق نظر رئيس التحرير بشدة فأنتقل لقراءة النقاط التي دونتها "نوران". كان التحقيق يركز على مسح ميداني لقرية (كفر أبو سالم) والإستماع للسكان هناك وفضح الممارسات اللإنسانية لتجار البشر وتتبعهم لمعرفة من ورائهم ومن المتعامل معهم.

إبتسم الأستاذ "أحمد" بهدوء بعد أن قرأ نقاط التحقيق وقال:

- رائع يا "نوران".. بجد رائع .. أنا مرضتش أجادلك من سنين لما جيتي وقلتي لي إنك عايزة تمسكي صفحة الأدب وتسيبي التحقيقات خالص. حسيت وقتها بصراحة أنك بتمري بأزمة وحابة

تتوقفي شوية وتراجعي نفسك علشان كده لم أجادلك وتركت لك الحرية تماما. الحقيقة حتى صفحة الأدب تركتي فيها بصمة مميزة وطورتيها بشكل رائع وبقى لها قراء ومتابعين بعد ما كانت صفحة بتكمل عدد صفحات الجريدة. أنا معنديش مانع ترجعي التحقيقات بشرط أنك لا تتركي صفحة الأدب، كمان لاحظي موافقتي على رجوعك صفحة التحقيقات مش كفاية لازم كمان موافقة رئيس القسم، يعني لازم تاخدي التحقيق وتعرضيه عليه وتعرفي هيوافق ولا لا.

إرتسمت إبتسامة واسعة على وجه "نوران" وشكرت رئيس التحرير على تشجيعه لها ووعدته أن تواظب الإهتمام بصفحة الأدب إلى جانب عملها في التحقيقات.

عادت مسرعة لمكتبها وحكت لصديقيها القصة بالتفصيل. تحمسا جداً للفكرة وفرحا لرغبتها العودة للتحقيقات. كانت "شيرين" تحديداً تشعر بفرحة عارمة إذ شعرت أن ذلك ربما كان بداية الطريق لعودة "نوران" لحياتها الطبيعية وأن هذا سيشغلها عن "خالد" والتفكير به. ولكن على الرغم من فرحتها إرتسم القلق على وجهها عندما أخبرتها "نوران" أن الأستاذ "أحمد" طلب منها الرجوع لرئيس قسم التحقيقات أولا لمعرفة هل يوافق على العودة أم لا. ولما أبدت "نوران" دهشتها بسبب قلقها قالت لها "شيرين":

- أنتي مش معانا في نفس الجريدة ولا ايه؟ أنتي متعرفيش مين ماسك التحقيقات دلوقتي؟

ردت عليها "نوران" بنفاذ صبر:

- هيكون مين يا بنتي وليه قلقانة كده وهو هيرفض ليه؟ إذا كان رئيس التحرير بنفسه موافق وكتب توصياته على التحقيق.

- أه بس كل ده ممكن يتغير لما تعرفي أن "رضا البحراوي" هو رئيس قسم التحقيقات.

بدا أثر المفاجأة على وجه "نوران" التي تبادلت نظرة ذات مغزى مع "شيرين" و"هشام". لم تكن علاقتها على ما يرام مع "رضا" الذي طاردها أعواماً محاولاً إقناعها بالموافقة على الزواج منه لكنها كانت ترفض بأدب. لم تكن ترتح له، وعلى الرغم من زواجه منذ أعوام لكنه لم ينس لـ"نوران" رفضها له وظل يمارس عادة "تلقيح الكلام" عليها بمناسبة ودون مناسبة وتعمد المبالغة في إنتقاد صفحة الأدب أثناء الإجتماع الأسبوعي الذي لا تحضره "نوران" عادة لكن عملها المتميز في الصفحة كان يتحدث نيابة عنها حتى وهي غير موجودة. ولم يكف يوما عن محاولة إمساك أية غلطة لها ليضخمها ويثير ضجة حولها.

لاحظ "هشام" إضطراب "نوران" وكان يخشى أن تتراجع وأن تعود من جديد لشرنقتها وعزلتها فسارع بالقول:

- بس يا "شيرين" هو أتجوز من مدة وأكيد طلع "نوران" من دماغه. وكمان هي ملهاش علاقة به خالص هي في شغلها وهو في شغله ومعتقدش هيقدر يرفض التحقيق بعد موافقة وتوصية الأستاذ "أحمد". ولو عملها "نوران" ترجع للأستاذ "أحمد" وهو اللي هيتصرف معاه.

لم تكن "نوران" ترغب في إثارة مشاكل مع "رضا" الذي جاهدت لتجنبه تماماً طيلة أعوام. لكنها لم تكن تنتوي التراجع أيضا، ستقوم بعمل هذا التحقيق ولو كان آخر ما تفعله في حياتها. أخذت ملف الأوراق الخاصة بالتحقيق وأتجهت بثبات إلى مكتب "رضا البحراوي". طرقت الباب وسمعت صوته يطلب من الطارق الدخول. أخذت نفساً عميقاً ودخلت المكتب. ظهرت الدهشة على وجه "رضا" ثم ما لبثت أن تحولت إلى إبتسامة لزجة نوعا ما وهو يقول:

- خير يا أستاذة "نوران"؟

ظلت واقفة ووضعت الملف أمامه على المكتب. طلب منها الجلوس ففعلت ثم أمسك الملف وقرأه جيداً بإهتمام واضح على ملامحه. بعد أن أنتهى من القراءة رفع نظره لها وقال:

- حلوة فكرة التحقيق، إيه المطلوب مني دلوقتي؟ أكلف حد من عندي يعمله؟

حاولت "نوران" الحفاظ على هدوئها وترتيب أفكارها وردت عليه:

- لا الحقيقة يا أستاذ "رضا" أنا كنت عايزة أرجع التحقيقات تاني بعد إذنك وأنا اللي هعمل التحقيق ده.

ظل صامتا فقررت "نوران" أن تشن هجوم مباشر نحو الهدف وأضافت:

- أنا كلمت الأستاذ "أحمد" وعرضت عليه فكرة التحقيق وقالي إنها كويسة جداً ووافق لي أرجع التحقيقات بس قالي أرجع لحضرتك علشان أشوف موافق أرجع التحقيقات ولا لا.

لم يرد رضا أيضاً وشعرت "نوران" بإستياء شديد داخلها لأنه كان يتفحصها بنظره. ثم بعد لحظات بدت لها كالدهر قال لها:

- إحنا نتشرف بيكي في القسم يا أستاذة وفكرة التحقيق كويسة.

تنفست "نوران" الصعداء لسماع تلك الكلمات. لكنه سارع وأضاف:

- بس بما أني رئيس القسم وبما أنك عايزة ترجعي معانا تاني احتفظ لنفسي بحق تكليفك بأي مهام خاصة بالتحقيقات زي ما بعمل مع جميع الزملاء، أظن ده حقي ومتقدريش تعترضي عليه.

كتمت إنفعالاتها وسألته ببطء:

- مش فاهمة حضرتك تقصد إيه؟ يعني موافق على التحقيق ولا مش موافق؟ هتكلفني أعمله ولا لا؟

أجابها بنفس الإبتسامة الواسعة:

- لا موافق وهتعمليه. إنما رجوعك التحقيقات معناه أنك كمان هتكوني في أي وقت مكلفة بعمل أي تحقيقات يتم تكليفك بها، ده نظام الشغل وأظن أنتي لسه فاكراه.

شعرت "نوران" في قرارة نفسها أنها منحت "رضا" فرصة مثالية لأن يجعلها تسليته وينتقم لنفسه بسبب رفضها له لكنها قررت أن

تحاول التعامل مع أي وضع. المهم الآن أن تقوم بعمل تحقيقها الهام الذي أصبح بالنسبة لها مسألة حياة أو موت. أجابته بإبتسامة باردة:

- أكيد لسه فاكرة نظام الشغل يا أستاذ "رضا" وطبعا معنديش مانع وشكراً جزيلاً لحضرتك.

أخذت الملف وسارعت بمغادرة المكتب وبرغم إنزعاجها من تعاملها مع "رضا" مباشرة لكنها شعرت بإرتياح شديد لحصولها على موافقة بعمل التحقيق والآن عليها أن تنتقل لمرحلة الإعداد لعمله وهو ما يحتاج للكثير من الحذر والتخطيط.

عادت للمكتب لتجد "شيرين" و"هشام" في إنتظارها لمعرفة ما حدث بينها وبين "رضا". أخبرتهما أنه وافق على عودتها لقسم التحقيقات ووافق أيضا على التحقيق. شعرا كلاهما بفرحة حقيقية وتمنيا لها التوفيق، وسألها "هشام":

- أنتي كنتي بتسألي ليه عن معرفتي بالفوتوشوب والتصوير الفوتوغرافي؟ محتاجة مساعدة في التحقيق ده؟

- الحقيقة أيوة يا "هشام" أنا عايزاك معايا في التحقيق ده تقدر تكون متفرغ معايا فترة ولا إيه النظام؟

كانت العلاقة ممتازة بين "هشام" ورئيس قسمه فهو يؤدي عمله في صفحة الرياضة بجهد واضح لذا مواعيد العمل مرنة بالنسبة له وأخبرها أنه يستطيع التفرغ في أي وقت تريده أن يكون معها فيه. قالت له إن التحقيق سيحمل أسميهما معا لذا عليه إستئذان

الأستاذ "أحمد" رئيس التحرير وكذلك رئيس قسم الرياضة. لكن "هشام" رفض تماما وأصر على أن يحمل التحقيق اسم "نوران" وحدها وأنه سيساعدها وقتما تشاء فقط ولن يضع إسمه معها على التحقيق. تجادلا حول الأمر ثم إتفقا بعد تدخل "شيرين" أن يتم عمل التحقيق أولاً ثم ليكن ما يكون.

وعدها بأن يتحدث مع رئيس قسمه في مسألة التفرغ على أن يواصل متابعة عمله في صفحة الرياضة كالمعتاد. وأثناء حوار الأصدقاء الثلاثة أرتفع رنين جرس الهاتف الموضوع على مكتب "نوران" وبدت الدهشة على وجهها بمجرد أن قالت (ألو) ثم سمعها "هشام" و"شيرين" وهي تقول:

- حاضر يا أستاذ "رضا" تمام، حاضر هنزل دلوقتي أوك.

أغلقت سماعة الهاتف بشيء من العصبية وألتفتت للعيون المتسائلة لتقول لهما:

- كلفني أنزل (جامعة عين شمس) دلوقتي، بيقول لي في إشتباكات مع الأمن وتكسير في البوابات وعايز تقرير ميداني.

بدا الغضب الشديد على وجه "شيرين" وأفلتت منها عبارة:

- ابن الـ.... ، إشتباكات وعايزك تنزلي تغطيها؟ معندهوش رجالة في القسم؟ كمان هو ده شغلك؟ فين المراسلين بتوع البوابة اللي ملطوعين في الشارع طول اليوم؟ وفين بتوع الميداني ما هم زي الهم ع القلب عنده.

كانت "نوران" في ذلك الوقت أستعدت بالفعل للمغادرة وعلقت حقيبتها على كتفها. كانت تدرك جيداً أن "رضا" لن يضيع الفرصة الذهبية التي وضعتها تحت رحمته وسيبذل قصارى جهده لتعطيلها عن عمل تحقيقها المهم لكنها قررت أن تقبل الحرب معه على الرحب والسعة. سارعت الخطى بالخروج لإنهاء مهمة العمل الطارئة، وقالت وهي تتجه لخارج المكتب:

- ميداني وإشتباكات؟ ماشي يا "رضا" يا "بحراوي" معنديش مانع والبادي أظلم.

غادرت المكان وعلى وجهها إرتسمت ملامح غضب ممزوج بإصرار شديد.

تركت "نوران" سيارتها في مقر الجريدة وقررت الذهاب للجامعة بالمترو تجنباً للإزدحام المروري. وصلت الجامعة لتجد الوضع فوضويا أكثر مما تخيلت. الأمن منتشر ورائحة الغاز المسيل للدموع منتشرة في الجو بشكل خانق جدا مما جعلها تشعر بإعياء وإحتقان في الأنف والعينين، لكنها إستعدت بالأدوات اللازمة للوقاية من الغاز وسارعت بإرتداء الكمامة الطبية.

بدأت بسرعة ترصد ما يحدث فوجدت أمامها مجموعة من الطلبة تقوم بإشعال النار في بوابة إحدى الكليات في حين تعاونت مجموعة أخرى لقذف شماريخ من فوق السور للداخل.

بدا الوضع عبثيا بشدة ووقفت "نوران" لحظة حائرة لا تدري من أين تبدأ وكيف. مضت أعوام على آخر مرة قامت فيها بتغطية

ميدانية لأي حدث وتغير الوضع في الشارع بشكل مثير لكل علامات التعجب والاستفهام لدى أي فرد.

قفزت لذاكرتها على الفور أحداث المظاهرات الطلابية الغاضبة التي أشتعلت بها جامعة القاهرة عندما كانت طالبة جامعية إحتجاجا على زيارة "أرئيل شارون" رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ للمسجد الأقصى مما أشعل إنتفاضة الأقصى الثانية. كانت تلك من أعنف المظاهرات التي شهدتها الجامعة ووقعت عدة إشتباكات مع الأمن الذي إقتحم الجامعة في واحدة من المرات النادرة لحدوث ذلك وأدت الإشتباكات لتلفيات شديدة في مباني كليتي الآداب والحقوق خصيصاً وإصابات بين الطلبة. لكنها تذكر بوضوح أن برغم الغضب وبرغم الحماسة لم تمتد يد طالب واحد منهم لإحراق جامعته أو السعي لتخريبها أو الإضرار بها. كان غضبهم قوياً وعفوياً لكنه من أجل الوطن، لا من الوطن!

وقفت "نوران" تنظر لما يحدث بحزن وعجز عقلها حقاً على إستيعاب ما يحدث، كيف وصلنا إلى تلك الدرجة من الفوضى والغضب العبثيين؟ ألن يحاسبنا الله على كل تلك الطاقات المهدرة؟ وهؤلاء الشباب بعد أعوام سيصيرون آباء وأمهات فأي أطفال سينشئون؟ وعلى ماذا سيربون هؤلاء الأطفال إن كانوا هم أنفسهم كارهين لوطنهم لتلك الدرجة ويشعرون فيه بكل تلك الغربة؟ ما الذي أوصلهم لهذا الحد؟ وما هو السبيل لإحتواء غضبهم والوصول لعقولهم وفهمهم؟

تنهدت وقالت لنفسها (ليس لها من دون الله كاشفة) ثم وجدت أنها لابد أن تهتم بعملها لتنهي المطلوب منها وتعود للجريدة حيث ستخبر "هشام" عن الخطة التي فكرت فيها لعمل التحقيق.

أخرجت كاميرتها من الحقيبة وحاولت إلتقاط عدة صور لما يجري. تجاهلها الطلبة الغاضبون، ربما كان السبب أنها تبدو أصغر من سنها بكثير وعزز ذلك ملابسها البسيطة التي لم تكن سوى جينز أزرق وبلوفر بسيط فضفاض، وربما ظنوا أنها إحدى الطالبات فلم يتحرك أحد منهم بإتجاهها بالعدوانية المعروفة ضد الصحفيين عادة.

لكن ذلك لم يكن موقف الأمن منها، فما أن لمحها أحد عساكر الأمن المركزي تلتقط صوراً للمكان وتتحرك بخفة وسط الإشتباكات وتبادل طلقات الغاز والشماريخ بين الأمن والطلبة وتحرص على تصوير كل ما يجري حتى هرع إليها وإنتزع الكاميرا من يدها بشيء من الغلظة. صاحت فيه "نوران":

- إيه ده في إيه؟ أديني الكاميرا لو سمحت وخليني أشوف شغلي.

كان يذهب مبتعداً بالكاميرا الخاصة بها ولم يرد. ذهبت خلفه ولا زالت تطلب منه أن يعطيها الكاميرا وأوقفته وهي تصيح فيه:

- هو إيه اللي بيحصل؟ أنا بعمل شغلي زي ما أنت بتشوف شغلك لو سمحت رجع لي الكاميرا.

- إيه يا أبني اللي بيحصل عندك في إيه؟

سمعت تلك العبارة من خلفها ووجدت العسكري وقف وقفة إنتباه وشد قامته وهو يرد:

- تمام يا "حازم" باشا. الأستاذة كان معاها كاميرا بتصور بها وسط المظاهرة وحرزتها منها وكانت عايزة تاخدها تاني.

إلتفتت بسرعة لتتحدث مع من فهمت أنه الضابط المسؤول وكان كذلك بالفعل وما أن لمحته حتى إتسعت عيناها من الدهشة وكذلك فعل الضابط. كان آخر ما تتخيله أن يكون "حازم باشا" هو النقيب "حازم العشري" شقيق "خالد".

إرتبكت "نوران" بشكل واضح ولم تدر ماذا تقول. بادرها هو بالقول:

- أزيك يا أستاذة "نوران"؟" - ثم وجه كلامه للعسكري- هات الكاميرا وروح شوف شغلك.

أعطاه العسكري الكاميرا وأنصرف. أعطاها لها وشكرته بخفوت وبدا الإضطراب واضحاً على وجهها. سألها عن حالها فأجابت أنها بخير. قال لها:

- أنا والله مكسوف منك قوي يا ريت تسامحينا. وكمان عاوز أقولك البقية في حياتك، أنا كنت عايز أتصل أعزيكي في وفاة باباكي بس مكنتش عارف أكلمك أزاي؟

قالت له وهي تحاول تصنع شبح إبتسامة:

- في حياتك البقية شكراً يا "حازم"، مفيش داعي للكسوف ولا حاجة دي قصة قديمة وراحت لحالها، وربنا يسامحنا كلنا.

بدا التردد على وجهه لحظات ثم قال:

- أنتي عارفة أن "خالد" رجع (مصر)؟ تصدقي أني مقاطعه من ساعة عملته السودة؟ والله أنتي خسارة فيه هو الخسران بجد.

إبتسمت "نوران" لمحاولة "حازم" مجاملتها والتخفيف من المرارة التي من المؤكد لا زالت بداخلها وقالت له:

- ربنا يوفقه في حياته كل شيء نصيب متشغلش بالك.

إستأذنها لأنه مضطر للإنصراف لمتابعة عمله وأجابته أنها هي أيضا ستغادر فوراً. وما أن همت بالإنصراف حتى تذكر شيئا ما وناداها:

- "نوران" ... أنتي بتنزلي الشارع كتير؟

- شغل تقصد؟ الحقيقة مكنتش بس واضح أني هنزل كتير الفترة الجاية. ليه بتسأل؟

أخرج من جيبه بطاقة هاتف أعطاها إياها وقال لها:

- بصي ده رقمي الخاص سجليه عندك. لو واجهتي أي مشكلة في الشارع مع الأمن أو حد ضايقك في شغلك أو حصل لك أي شيء طارئ لا قدر الله كلميني على طول، كلميني في أي وقت حتى لو الفجر هرد عليكي.

تأثرت "نوران" بتلك اللفتة الكريمة من جانب "حازم" ومدت يدها لتأخذ البطاقة منه، ووضعتها في حقيبتها وشكرته بشدة. رد عليها:

- عيب يا "نوران" إحنا أخوات برغم كل شيء، خلي بالك من نفسك، ربنا يحفظك.

- آمين، وأنت كمان.

وغادرت المكان بخطوات مسرعة. كانت مشاعر عدة تتصارع في أعماقها، ما بين إمتنان لـ"حازم" وتصرفه الخلوق معها وإحساسها بالإختناق لذكره "خالد".

"خالد" ... لما تتقاطع كل دروبي معك يا "خالد" ؟!

وكيف الخلاص منك وكل طريق يقودني مجددا إليك؟!

*****

(8)

إنشغلت "نوران" تماما في الأيام التالية بمناقشة تفاصيل خطة إعداد التقرير مع "هشام"، وشاركتهما "شيرين" في الإعداد وطرح الأفكار الأكثر قابلية للتطبيق. كانت تعلم جيداً من خلال ما أخبرها به "بسيوني" أنها على وشك إقتحام عش للدبابير الشرسة وأن الأمر ينطوي على خطورة. لكنها قررت ألا تتراجع مهما كلفها الأمر، لابد من فضح "حسان" ومن هم على شاكلته ولابد أن تسمع الدولة صوت هؤلاء البائسين المنسيين وكأنهم في عالم آخر ولا يدري أحد عنهم شيئا.

أخبرت "هشام" بكل التفاصيل وكيف أن هذا التحقيق ليس مثل غيره من التحقيقات لأنهم غالبا سيتحرشون بعصابات منظمة وكبيرة و"حسان" ليس إلا حلقة في سلسلة كبيرة من المجرمين حسبما خمنت "نوران". لكنه أخبرها أنه معها في التحقيق حتى النهاية ولن يتراجع أبدا. كان قد حصل على موافقة رئيس التحرير لمشاركة "نوران" في التحقيق وحصل على تفرغ من رئيس قسمه وأصبح لديه وقتاً كافياً ليناقشها في الخطة الرئيسية والبديلة.

تعمد "رضا البحراوي" تكليفها بكل مهام العمل التي يعلم جيداً أنها تشتت تركيزها عن التحقيق الرئيسي الذي أرادت التفرغ له. وكان يرسلها تقريباً يومياً لعمل تقارير ميدانية في أماكن الأحداث الساخنة ظناً منه أنه بتلك الطريقة سيضعها في موقف محرج أمام رئيس التحرير عندما يستفزها ذلك الوضع فتعترض وترفض القيام بهذا العمل، وهنا فرصته الذهبية لإظهارها بمظهر الفاشلة المدللة التي لا تعمل بناء على توجيهات رئيس القسم.

لكنها كانت تفهمه جيداً وفوتت عليه تلك الفرصة. فحافظت على برودها التام وعملت كل ما كلفها به من تحقيقات وتغطية بذات المهارة القديمة التي تميزت بها. وكانت تحرص على الإنتهاء سريعاً من هذا العمل لتعود للإجتماع بـ"هشام" و"شيرين" لمناقشة تفاصيل خطة عمل التحقيق.

لم تجد "نوران" صعوبة أيضاً في متابعة الصفحة الأدبية كالعادة حيث كانت معتادة على نظام العمل بالصفحة وكانت تستغل وقت المساء غالباً في إعداد الصفحة الجديدة وهو ما جعلها تهمل جروبها الأدبي بشكل واضح. لاحظ "ماجد" غيابها الذي أصبح يمتد بالأيام على غير العادة. كان يتصل بها من وقت لآخر للإطمئنان عليها ودائما كان يقف على طرف لسانه سؤالها حول سبب إنشغالها وغيابها إذ كان أول ما تبادر لذهنه أن يكون الأمر متعلقاً بـ"خالد". لكنه لم يكن يريد التطفل عليها وأكتفى بما قالته له حول إنشغالها بالعمل، وتمنى من قرارة قلبه أن تكون في طريقها للتعافي من أحزانها والعودة لسابق تألقها في عملها وتستمع في يوم ما لنصيحته بألا تهدر موهبتها في الكتابة هباء بسبب قيود الماضي التي تكبلها.

وفي الواقع إنشغلت "نوران" تماما في التفكير حول كيفية عمل التحقيق وركزت كل طاقتها في عملها الذي أصبح يستنزف كل وقتها تقريبا حتى أنها لم تعد تنام سوى سويعات قليلة يومياً. لكن برغم الإرهاق والتعب الجسدي كانت تشعر براحة كبيرة كونها مشغولة ذهنياً بشدة لدرجة طردت "خالد" ولو مؤقتاً من تفكيرها ومن دائرة حياتها.

وبعد أسبوعين كاملين من حصولها على الموافقة بعمل التحقيق كانت قد استكملت خطة العمل تماما مع "هشام". اتفقا على البدء في اليوم التالي وجلسا سويا ومعهما "شيرين" في بيت "نوران" ذلك المساء لمراجعة التفاصيل النهائية قبل البدء.

كانت الفكرة الرئيسية تركز على زيارة قرية (كفر أبو سالم) ومشاهدة أحوالها على الطبيعة وتصويرها والحديث مع السكان هناك إن أمكن. بالطبع كانوا يدركون مدى خطورة أن يقوما بذلك بهوياتهما الحقيقية كصحفيين خاصة مع توقع أن يصادفهم هناك رجال "حسان" وهو ما قد يشكل خطورة عليهما تصل لدرجة تهديد حياتهما فمن يعبث بعش الدبابير يجب أن يكون على دراية تامة بأن ردها سيكون مؤلماً إن لم يكن قاتلاً!

أتفقوا على أن يقوما بصناعة بطاقات أسماء وهمية تشير إلى أن "نوران" و"هشام" هما إثنين من معاوني المحافظ مع خطاب تكليف من المحافظة بزيارة القرية وعمل دراسة حولها لمعرفة ما ينقص سكانها من خدمات ومرافق لتوفيرها لهم. قام "هشام" بصناعة البطاقتين والأوراق المطلوبة بمهارة شديدة مستغلا في ذلك معرفته التي تصل حد الاحتراف ببرنامج "الفوتوشوب". إتفقا مع "شيرين" أن تكون على تواصل معهما فهي الوحيدة التي تعلم بالتفصيل طبيعة المهمة التي سيقومان بها والمكان الذي سيذهبان له. كان تشعر بقلق بالغ عليهما وودت لو ذهبت معهما لكنهم إتفقوا على ضرورة وجود أحدهم بعيداً عن المكان كي يستطيع التحرك والتصرف في حال مس "نوران" و"هشام" أي مكروه.

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي إنطلقا إلى قرية (كفر أبو سالم). حرص "هشام" على أخذ كاميرا تصوير عادية وأخرى قام بتركيبها في حقيبة يد "نوران" بحيث لا تبدو ظاهرة للعيان للتصوير بشكل خفي وغير محسوس. لم يأخذ أي منهما سيارته كي لا تكون علامة مميزة يسهل تتبعها وأستقلا المواصلات العامة حتى وصلا إلى المكان.

كانت الفكرة الشائعة في ذهن "نوران" عن القرى المصرية لا تخلو من وجود الكثير من الحقول المفتوحة والطيور التي تمرح في كل مكان وترعة صغيرة والفلاحين يتحركون طوال الوقت بنشاط من وإلى الحقول أو يستظلون تحت الأشجار الباسقة لإحتساء الشاي مع إبتسامات الرضا والطيبة التي لا تفارق وجوههم.

لكن ما رأته أمامها جعلها تدرك تماما كم تغير مفهوم القرية. كان المكان في الحقيقة لا يقترب بأي شكل مما يمكن وصفه بالقرية وإنما هو منطقة عشوائية كبيرة تنتشر فيها ما يمكن أن يطلق عليها منازل من طابق واحد وبلا أي أساس على الإطلاق. إنتشرت تلك المنازل وسط بضعة كتل خرسانية قبيحة الشكل عبارة عن مباني سكنية يبدو عليها بوضوح عشوائية البناء وضيق المساحات ورداءة التهوية والإضاءة.

كانت هناك أيضا بركة من الماء الآسن تمتد بطول الطريق الذي مرت به "نوران" بصحبة "هشام" وفوقها تجمعت كميات هائلة من البعوض. وحول تلك البركة الكثير من الأطفال الذين غطتهم الأتربة يلهون بأي شيء تصل إليه أيديهم من حجارة صغيرة أو قطع من الكرتون المقوى ملقاة بإهمال في كوم القمامة القريب،

في حين كان بعضهم منهمكين في مباراة كرة قدم شوارع بإستخدام كرة بلاستيكية تنافسهم في بؤس المظهر. لم تظهر في الأفق أية مساحات خضراء بأي حال مما جعلها تتساءل حقاً إن كانت تلك المنطقة جديرة أن تحمل إسم "قرية".

تلفتت "نوران" حولها لتجد وجوه الناس كئيبة بشكل لا يخفى على عين ويبدو عليهم فقر الحال بدرجة لا يمكن تخيل وجودها في الدنيا. كان المكان كله يغلب عليه طابع من الفقر والبؤس والكآبة الشديدة مما يجعله مستحقاً عن جدارة لقب (جحيم أرضي) وليس قرية.

بدا منظر "نوران" و"هشام" وهما يتمشيان في طرقات المنطقة شاذاً وغير متجانس مع ما حولهما، لذا تلفتت لهما كل العيون التي مرا بها وسط حالة من الترقب الحذر الممزوج بالصمت من جانب السكان.

لم يمر وقت طويل من تجوالهما حتى أوقفهما شاب في أوائل العشرينيات حاد الملامح يرتدي فانلة داخلية وبنطلون جينز كالح وكانت عيناه تتفحصان "نوران" تحديداً بوقاحة أربكتها. بادرهما بالقول:

- خير يا بيه، خير يا هانم أنتوا عايزين مين؟

رد عليه "هشام" محاولاً لفت إنتباهه ليبعد نظراته الفجة عن "نوران":

- المحافظة باعتانا علشان نعمل دراسة هنا ونشوف اللي ناقصكم إيه علشان يتحط في خطة التطوير الجاية.

ضحك الشاب بإستهزاء واضح وقال:

- تطوير؟ يا بيه أنتوا جايين تشتغلونا؟ لا حد بيطور ولا حد بيعبرنا في أم البلد دي.

أجابته "نوران" بهدوء:

- طيب معلش سيبنا نشوف شغلنا جايز المرة دي حد يعبركم أنت خسران إيه؟

صمت الشاب لحظات وبدا أنه يفكر في الأمر ثم هرش رأسه بحيرة وهو يقول لهما:

- يعني عايزين إيه مش فاهم؟

قال له "هشام":

- عايزين نزور البيوت ونتكلم مع الناس ونعرف هم ناقصهم إيه؟ ومحتاجين إيه؟ علشان نقدم تقرير للمحافظة تعمل لكم اللازم.

رد عليه الشاب:

- طب أنا ممكن أجي معاكم يا بيه؟ لمؤاخذة إحنا هنا مش متعودين على زيارة أي حد غريب وجايز حد يضايقك ولا يضايق الهانم. أجي معاكم بس هتديني كام في المصلحة دي.

إبتسم "هشام" وهو يضع يده على كتف الشاب وقال له:

- هديك حتة بخمسين إشطة؟

رد الشاب وقد لمعت عيناه بفرح:

- إشطة يلا بينا.

إنطلقا مع الشاب الذي بدا شاعراً بأهميته على نحو طفولي وهو ما دفع "نوران" للإبتسام برغم الألم الذي شعرت به لمجرد تخمين نوعية الحياة التي يحياها الناس هنا.

أصطحبهما الشاب الذي علما أن إسمه "فتحي" وأنه عاطل عن العمل، لكنه يعمل أحياناً على (توكتوك) يمتلكه معلم في المنطقة يملك عدة (تكاتك) يعمل عليها شباب في سنه وأصغر منه. زاروا العديد من المنازل التي لا تمت بصلة لوصف المنزل أصلا فهي في الحقيقة قريبة الشبه بالقبور من حيث الظلمة والكآبة وضيق المساحات. تحدثا إلى بعض السكان اللذين اشتركوا جميعاً في الحذر الشديد في الرد على الأسئلة، وأدرك "هشام" بعين الخبير أنه من شبه المستحيل أن يقوم بتصوير أي شيء بالكاميرا التي يحملها في الحقيبة المعلقة على كتفه إذ قد يستفز ذلك بعض السكان هناك وهو آخر ما يحتاجونه الآن.

أشار لـ"نوران" بإشارة خفية لتقوم بتشغيل الكاميرا الأخرى التي قام بتركيبها في حقيبتها فأومأت برأسها متفهمة وفعلت وركزت في التصوير على الناس أنفسهم وشكل المساكن من الداخل.

كان السؤال الأهم الذي وجهته "نوران" للسكان هو نوع العمل الذي يعملون به لكسب العيش. لم يكن هناك أحد له وظيفة

ثابتة تقريباً في المنطقة بأكملها. الجميع يعملون يوماً بيوم في أي شيء وكل شيء ويشمل ذلك بيع المناديل في إشارات المرور والخدمة في البيوت أو العمل على (توكتوك)، وأفضلهم حالا يقوم ببيع بعض الخضروات على قارعة الطريق أو لديه (نصبة) لبيع الشاي أو السجائر والحلوى. ولم يخف الكثير منهم أيضا أنهم يبيعون دمائهم مقابل المال.

وعبثاً حاولت "نوران" أن تستدرج أي شخص هناك بشكل غير مباشر لتعرف منه أية معلومات حول عمليات سرقة الأعضاء. لكنها شعرت أن هناك جو عام من الحذر الشديد والخوف في ردود الناس على أسئلتها وهو ما جعلها تشعر أن الأمر أصعب مما تخيلت وأنها لم تقترب حتى من طرف الخيط الذي تحتاجه وسيطر عليها الإحباط. تبادلت نظرة ذات مغزى مع "هشام" علمت منها أن نفس الفكرة جالت بخاطره. لكنهما قررا ألا يستسلما سريعاً ويقوما بالمزيد من التجوال في القرية.

لفت إنتباه "نوران" وجود منزل يبدو كبير نسبياً ومنعزلاً عن باقي المنازل وموجود عند أطراف القرية. إتجهت "نوران" للمنزل مع "هشام" و"فتحي" الذي بدا عليه القلق نوعاً ما فسألته "نوران":

- بيت مين ده يا "فتحي"؟

أجابها ولا زال القلق يسيطر على ملامحه:

- ده بيت الحاجة "أم بطة" بس بلاش يا أبلة تروحوا لها هي مش بتحب أي حد غريب ومش هتتكلم معاكم.

تبادلت "نوران" النظر مع "هشام" الذي قال له:

- يا سيدي متقلقش أهو هنحاول، رضيت الحمد لله، مرضيتش هنمشي على طول.

وصلا للمنزل الذي كان من طابقين ولاحظت "نوران" أن هناك قضبان حديدية على جميع نوافذه المغلقة بشكل مريب برغم سطوع شمس الشتاء ودفء الجو.

طرق "هشام" الباب عدة مرات ومرت دقائق حتى فُتح الباب أخيراً ووجدا أن من فتحه سيدة تبدو في الخمسينيات من العمر نحيفة جدا وقاسية الملامح ترتدي عباءة سوداء وتلف شعرها الذي ظهرت بعض خصلاته البيضاء بإيشارب أسود أيضا وكانت تبدو مخيفة بحق. سألتهم السيدة عما يريدون وأخبرها "هشام" أنهما من المحافظة ويقومون بعمل دراسة حول المرافق التي تنقص المنطقة.

رفضت السيدة بشكل قاطع السماح لهما بدخول المنزل ورفضت الرد على معظم الأسئلة ولما يأسا من الحصول على أي شيء مفيد منها قررا مغادرة المكان.

وما أن هما بالمغادرة لمحت "نوران" بطرف عينها وجه طفل صغير يبدو عليه الذعر يطل من خلف القضبان في الدور الثاني، تبادلت النظر معه ولم يفت هذا المرأة التي تقف وتسد فتحة الباب بجسدها فنظرت على الفور إلى حيث تطلعت "نوران" بنظرها ثم دخلت مسرعة وأغلقت الباب في وجوههم دون كلمة وبعد لحظات إختفى الطفل وغاب عن نظر "نوران".

نظر لهما "فتحي" بإرتباك بعد أن أغلقت المرأة الباب دون إستئذان بشيء من الخشونة والعنف وقال:

- معلش أنا قلت لكم الست "أم بطة" مبتحبش الأغراب وكمان البلد كلها بتعمل لها حساب علشان هي تبع المعلم "حسان".

لقطت "نوران" الإسم بسرعة وباغتت "فتحي" بسؤالها:

- المعلم "حسان"؟! المعلم "حسان" مين؟

زاد إرتباك "فتحي" وشعر أنه قال أكثر من اللازم ولكن لم يفت "نوران" و"هشام" نظرة الكراهية التي إرتسمت على وجهه وهو يقول:

- المعلم "حسان"، يعني زي كبير الحتة كده. -ثم وجه كلامه لـ"هشام" وقال له- بقولك إيه يا بيه أنا لفيت معاكم كتير أنتوا لسه مخلصتوش شغلكم؟ أنا عاوز أخلع بقى أديني عرقي وخليني أمشي.

إبتسم "هشام" ومنحه النقود وقال له:

- أنت جدع يا "فتحي" كتر خيرك تعبناك معانا. إحنا خلصنا خلاص وماشيين.

إختفى "فتحي" على الفور بعد أن حصل على النقود وهم "هشام" بالمغادرة مع "نوران". عادا من نفس الطريق المجاور لبركة الماء الراكد وكانت "نوران" تشعر بأن منزل "أم بطة" فيه مفتاح اللغز الذي تبحث عنه وربطت على الفور بين وجه الطفل

الذي أطل عليها من الطابق الثاني وذعر السيدة بمجرد أن لاحظت أن "نوران" رأته وتنظر بإتجاهه حتى أنها صفقت الباب في وجوههم ثم هرعت لأعلى لإبعاد الطفل عن النافذة. كان "هشام" يفكر في نفس ما فكرت فيه "نوران"، وفوجئت به يقول لها في نفس اللحظة:

- الست أم بطة دي وراها لغز كبير وكمان أخدتي بالك فتحي قال إيه؟ دي تبع المعلم "حسان" وكان شكله خايف منها ومنه. بس مش هينفع نكمل النهاردة كده ممكن ننكشف. يلا نمشي ونرتب المعلومات اللي عرفناها ونشوف الصور وبعدين نشوف الخطوة الجاية إيه.

أيدت "نوران" رأيه في ضرورة المغادرة الآن قبل أن يثيرا الشكوك حولهما. وأستكملا الطريق سيراً على الأقدام حتى الطريق الرئيسي حيث يمكنهما أن يستقلا الحافلة في طريق العودة. وقبل مغادرة (كفر أبو سالم) فوجئت "نوران" بفتى نحيف لا يتجاوز عمره 15 عاما حيث لا زال في تلك المرحلة ما بين الطفولة والمراهقة ولم يكتسب صوته خشونة الرجولة المبكرة المميزة للفتيان في تلك المرحلة العمرية. كان يركض محاولاً اللحاق بهما وهو ينادي:

- يا أبلة والنبي يا أبلة أشتري مني كيس مناديل.

وقفت "نوران" عندما سمعت هذا النداء وألتفتت هي و"هشام" حيث لحق بهما الصبي ووقف يلهث من أثر الركض خلفهما وكرر طلبه:

- والنبي كيس مناديل واحد بس الله يخليكي.

إبتسمت له "نوران". كان صبياً أسمر البشرة له شعر أسود مجعد ويشع الذكاء من عينيه، نحيفاً بشكل لافت للنظر وقدرت "نوران" أنه يعاني من سوء التغذية. بدا عليه فقر الحال مثل جميع سكان تلك المنطقة لكن ملابسه البسيطة بدت نظيفة ومهندمة. سألته "نوران":

- أنت اسمك إيه؟

- أنا "عبد الرحمن". والنبي أشتري مني كيس مناديل الله يفتح عليكي.

ضحكت وقالت له وهي تعبث في حقيبة يدها بحثاً عن نقود:

- أنت بتبيع مناديل على طول يا "عبد الرحمن"؟ بتبيع فين بقى علشان لما أحتاج مناديل أجي أشتري منك؟

تهلل وجه الصبي عندما لاطفته "نوران" وأجابها:

- أنا أجي لحضرتك في أي حتة من عينيا.

أعطته النقود ولم تكن تنتوي أنْ تأخذ منه المناديل كانت ترغب في مساعدته فقط. قالت له:

- شكرا يا "عبد الرحمن"، ربنا يرزقك. قل لي أنت بتصرف على نفسك بس ولا على مين تاني؟ وبتشتغل في إيه غير بيع المناديل؟

كانت تحاول فتح حوار معه على أمل أن تعلم منه أية معلومة جديدة. لم يجبها وصمم على أن تأخذ منه كيس مناديل ورفض

أخذ النقود ما لم تأخذه منه فأخذته ووضعته في حقيبتها وقال لها وهو يبتعد:

- شكراً يا أبلة ربنا يخليكي.

وقفت "نوران" مذهولة مما حدث للتو وتبادلت نظرة دهشة مع "هشام" الذي قال:

- الناس هنا بجد في منتهى الغرابة. للدرجة دي مرعوبين يتكلموا؟إيه مخوفهم للدرجة دي؟"

تذكرت "نوران" ذعر عم "بسيوني" عندما أقترحت عليه أن تزوره في منزله وخشية أن يعرف "حسان" أن له علاقة بها، شعرت بإرتياح لأنها لم تصادفه خلال جولتها هي و"هشام"، كانت تعتزم ألا تبدي معرفة به إن قابلته صدفة هناك وكانت تراهن على أن الرجل أيضا سينكرها تماماً بدافع الخوف لكنها كانت تخاطر في الوقت نفسه لأنها كانت تخشى أن يدفعه الخوف لإفشاء سرها. قالت لـ"هشام":

- الخوف بيعمل أكتر من كده يا "هشام"، واضح أن "حسان" ده عامل لهم كلهم حالة رعب وتهديد.

عادا للجريدة حيث كانت "شيرين" في إنتظارهما وتنفست الصعداء لما عادا سالمين. خرج ثلاثتهم من الجريدة وذهبوا لتناول الغداء وناقشوا الأمر أثناء تناول الطعام. كانت "نوران" شاردة الذهن معظم الوقت تفكر في طريقة ملائمة للوصول لغايتها.

عادت لمنزلها بعد هذا اليوم الطويل وقد زحف الإرهاق على كافة خلايا جسدها المنهك. إستلقت في فراشها مسترجعة أحداث اليوم وسيطرت عليها حالة من الإحباط لأنها شعرت أن زيارتها لـ(كفر أبو سالم) لم تفدها كثيرا وظلت تفكر في أي طرف خيط جديد. لم تكن تعتزم التراجع أبدا عن عمل التحقيق. شعرت بصداع يتسلل إلى رأسها من كثرة التفكير فقامت متثاقلة لتأخذ حمام دافئ يزيل إرهاق اليوم. خرجت من الحمام إلى المطبخ لتعد لنفسها الشاي وعادت لتفتح اللاب توب وحاولت الإنشغال بمتابعة الجروب الأدبي الذي طال إهمالها له لكن التحقيق ظل مسيطراً على تفكيرها تماما فأغلقت اللاب توب وقررت أن تنام.

إستيقظت مبكرا وأنهت طقوسها الصباحية سريعاً. أنهت تصفيف شعرها وبدأت تنقل حاجياتها من حقيبة يدها لحقيبة أخرى وقع بصرها على علبة المناديل التي أخذتها من "عبد الرحمن" في اليوم السابق. دققت النظر بها ولم تكن لمحتها منذ أن أخذتها منه ووضعتها في الحقيبة. لاحظت أن العلبة كأنها مفتوحة وأن اللاصق يبدو كأنما أعيد لصقه بعد فتح العلبة فأندهشت جدا. لم تشك لحظة أن "عبد الرحمن" سيغشها خصوصا أنه من أصر عليها أن تأخذ العلبة وهي كانت ترفض ولم تكن تريد سوى مساعدته فقط. شعرت أن في الأمر شيء أكثر من ذلك ففتحت العلبة وأخرجت ما بها من مناديل ورقية وفحصتها لتفاجأ بأحدها مكتوب عليه بخط رديء وبه عدة أخطاء كتابية عنوان فيلا في منطقة حديثة ونائية نوعاً ما بالقرب من الطريق الصحراوي آخر (مدينة نصر) وأسفل العنوان رقم هاتف محمول.

شعرت "نوران" بحيرة شديدة إمتزجت بفرح غامض إذ شعرت أنها بدأت تفهم تدريجياً ما حدث.

حملت حقيبتها وخرجت مسرعة إلى الجريدة. وصلت مبكرا ولم يكن "هشام" قد وصل بعد ولا "شيرين". إتصلت بهما وأستعجلتهما بالقدوم للجريدة. وصلا سريعاً وأخبرتهما بما أكتشفته فطلب منها "هشام" أن تتصل برقم الهاتف لأن تلك قد تكون هي البداية التي يحتاجونها.

إتصلت بالرقم على الفور وكأنما كان صاحبه ينتظر هذا الإتصال فرد بمجرد أن بدأ رنين الهاتف. وما أن قال الطرف الآخر (ألو) حتى عرفت الصوت فوراً وهتفت "عبد الرحمن"!

علت نظرة إنتصار وجه "هشام" وهم بقول شيء ما لكنها أشارت له بيدها أن يصمت ففعل. كان "عبد الرحمن" يتحدث على عجل وفي خلفية المكالمة صوت ضوضاء شديد وعرفت "نوران" أنه في الشارع حيث يعمل ببيع المناديل في إشارات المرور. أخبرها أنه يريد لقاءها لأمر هام لكن في مكان بعيد عن العيون وآمن وأخبرها أن لديه الكثير ليخبرها به. إتفقت معه على لقاءه في مقهى تعرفه في (مدينة نصر) ولم يعترض فحددت له الموعد. في الساعة الرابعة ووصفت له المكان جيداً وعرضت عليه أن تمر عليه لتأخذه بالسيارة من أي مكان لكنه رفض وأخبرها أنه سيشرح كل شيء لاحقاً.

أنهت "نوران" المكالمة وهي تشعر بطاقة حماس كبيرة. كانت تشعر بالحدس أن هذا اللقاء سيغير الوضع تماما وأن لدى الصبي

ما سيقودها لإستكمال التحقيق بالشكل الذي تطمح له وتنجح في نهاية الأمر في كشف أمر "حسان" ومن وراءه.

مضى يوم العمل كالمعتاد وعندما إقترب موعدها مع "عبد الرحمن" أصر "هشام" على أن يذهب معها. لم تكن تعلم هل سيتحدث "عبد الرحمن" في حضرة "هشام" أم سيخاف ويتردد لكن "هشام" أصر على الذهاب معها خشية أن يكون في الأمر فخ ما.

إنطلقا في الموعد معاً وأتفقا مع "شيرين" كالعادة أن تظل على تواصل معهما وتكون على علم بالمكان للتحرك في حال حدث لهما مكروه.

وصلا إلى المكان بعد الرابعة بقليل بسبب إزدحام الشوارع ووجدا "عبد الرحمن" يقف في خجل على ناصية الشارع أمام المقهى المقصود. بش وجهه عندما لمحهما يقبلان عليه وصافحهما في بساطة كأنه يلتقي مع صديقين قديمين ودخل معهما إلى المقهى. طلبت له "نوران" جاتوه مع عصير طازج وطلبت لها ولـ"هشام" شايا.

أكل الفتى بشهية واضحة وكان جائعاً على ما يبدو. وبعد أن فرغ من تناول طعامه بدأ يقص عليهما قصته.

بدا تردد على وجهه في بداية حديثه ثم حسم أمره وقال:

- أنا محتاج مساعدة حضراتكم مش أنتوا تبع الحكومة؟

إبتسمت له "نوران" وقالت:

- أنت عاوز إيه من الحكومة بقى؟ عايز مساعدة في إيه؟

أحمر وجه "عبد الرحمن" قليلاً ويبدو أنه أساء فهم قصدها فسارع بالقول:

- لا يا أبلة مش عايز مساعدة فلوس يعني. أنا أخويا إتقتل وعاوز إنتقم له، إحنا صعايدة ومنسبش تارنا وأنا عارف اللي قتله.

تبادلت "نوران" نظرة دهشة مع "هشام" الذي سأله:

- يعني إيه أخوك إتقتل وعاوز تنتقم له؟ يعني بفرض أن كلامك صح ومش جاي تحور علينا هي الحكومة بتساعد الناس تنتقم للمقتولين دلوقتي؟ لو عارف أن أخوك إتقتل وعارف اللي قتله ليه مروحتش للقسم وعملت بلاغ جاي تكلمنا إحنا ليه؟

أكتسى وجه "عبد الرحمن" بالحزن ورد عليه:

- يا بيه هو اللي زينا لو راحوا القسم هيخرجوا منه تاني ولا حد هيسمع لهم؟ إحنا بنخاف من البوليس يا بيه وكمان أنا خوفت أروح "حسان" يعرف ويقتلني أنا كمان وأنا بصرف على أمي وملهاش غيري دلوقتي بعد أخويا.

شعرت "نوران" أن الأمر أكبر مما تخيلت وكانت تريد طمأنة "عبد الرحمن" ليتحدث لهما ويبوح بما لديه فرسمت على وجهها إبتسامة بسيطة وقالت له:

- طيب قل لنا اللي عندك وخلينا نشوف ممكن نعمل إيه ... طالما صممت توصل لنا بالطريقة اللي إتبعتها دي يبقى أكيد وراك حاجة. عاوز تقول إيه وإيه حكايتك وحكاية أخوك؟

بادلها "عبد الرحمن" الإبتسام بإرتياح وقال:

- أنا لما شوفتكم نواحينا قلت يا واد مش هتخسر حاجة ومش هيروح أكتر من اللي راح كلم البهوات دول يمكن يساعدوك. بس والنبي يا أبلة متسيبونيش وساعدوني. مش علشان أخويا بس لا علشان أهل الحتة كلهم. ده مفيش بيت فيها إلا وله تار عند "حسان".

سأله "هشام":

- إيه حكاية "حسان" ده؟ وبيعمل فيكم إيه؟ وليه ساكتين له وخايفين منه كده؟

أنطلق "عبد الرحمن" يحكي وعلمت منه "نوران" الكثير من الأمور التي أكدت صحة ما عرفته من عم "بسيوني". كان "حسان" بالفعل يدير عصابة إجرامية محترفة تعمل بتجارة الأعضاء البشرية. ولا يقتصر الأمر على شراء أعضاء الفقراء بأزهد الأسعار.أخبرهم "عبد الرحمن" أنه يأتي أحيانا بأطفال شوارع وأشخاص مخطوفين وجميعهم لا تتعدى أعمارهم تقريباً العشرين على أقصى تقدير يظلون فترة في بيت "أم بطة" ثم يختفون إلى الأبد.

هتفت "نوران" عند تلك النقطة:

- "أم بطة"؟ إيه حكايتها دي كمان؟ الست دي مريبة جدا.

رد عليها الصبي وقد ظهرت على وجهه علامات مقت واضحة:

- إحنا بنسميها السجانة. ست شرانية وضلالية بيقولوا إنها تقرب لـ"حسان" وهي اللي بتخلي المخطوفين عندها لحد ما ييجي ميعادهم. ده محدش يقدر يدخل بيتها ولا يهوب ناحيته، البلد كلها بتخاف منها ومعاها كام بلطجي تبع "حسان" بيحرسوها وبيراقبوا الحتة كلها ويتجسسوا على الناس. هو عرف أنكم جيتوا وسأل الناس كتير عنكم وطين عيشة "فتحي" لما عرف أنه كان معاكم بس نسي الحكاية بعدها. هو عارف وإحنا عارفين أن الحكومة أخرها معانا تبعت لنا ناس زيكم يتفرجوا علينا ويكتبوا الكلام الكتير بتاعكم ده ودمتم لا هتعملوا لنا حاجة ولا حد فاكرنا.

حثه "هشام" على إستكمال حكايته فأكمل:

- أخويا "عماد" خرج في يوم مع "حسان" ومش لوحده كانوا حوالي 5 شباب من الحتة كلهم طول بعرض ومجابوش العشرين وبعدها محدش عرف عنهم حاجة. "حسان" أخدهم بحجة أنه هيسفرهم بره يشتغلوا وصدقوه وراحوا معاه بس ولا واحد منهم رجع والكلام ده كان من سنة. وكل شهرين ولا حاجة "حسان" يرمي لأهاليهم شوية فلوس ويقول لهم إن عيالهم بعتوها لهم من بره وبيسلموا عليهم. أنا عارف ومتأكد أن أخويا أتقتل، قتله "حسان" هو واللي كانوا معاه ولازم أخد بتاره.

توقف "عبد الرحمن" عن الكلام في تلك النقطة وبدا عليه الإعياء من شدة الإنفعال، شعرت "نوران" بالقلق وسألته عما إذا كان بخير فأجابها أنه بخير وهم بإكمال كلامه عندما سأله "هشام":

- كلامك مش راكب على بعضه يا عبده. إيه أكد لك أنهم أتقتلوا؟ شوفته بيقتلهم ولا حد قالك إنه قتلهم ولا إيه الحكاية؟

رد عليه "عبد الرحمن" على الفور:

- يا بيه إحنا عارفين أن "حسان" بيتاجر في جتت الناس وناس كتير عندنا باعوا كلاويهم بس الحرامي كان ياخد هو الفلوس كلها ويرمي للناس ملاليم. والناس عارفين أن العيال اللي بيخطفهم أو العيال اللي بيجيبهم من الشارع بيموتهم ويقطع جتتهم ويبيعها لدكاترة أكابر قوي. ده مش بس كده ده كمان شغال في العرفي.

سألته "نوران" بدهشة:

- عرفي ...؟

- أيوة يا أبلة بيجوز البنات عرفي لناس خلايجة بيكونوا عايزين كلية وبعدين البنت تتطلق وترجع معاها قرشين، الحكاية دي حصلت كتير.

كانت "نوران" عاجزة عن التعليق أمام كل هذا الكم من البؤس. شعرت بجسدها يغلي بالكراهية تجاه "حسان" وأقسمت في سرها ألا يهدأ لها بال حتى تراه خلف القضبان هو ومن خلفه إذ باتت متأكدة الآن مما قاله "عبد الرحمن" ومما عرفته من "بسيوني" أيضا أن هذا الرجل لا يعمل بمفرده وأن هناك من هم أكبر

وأخطر منه. أرادت أن تعرف المزيد من الصبي لكنها كانت تريد أن تكسب ثقته تماما فأنتقلت للسؤال عن حياته مباشرة وسألته:

- مقولتش بقى يا "عبد الرحمن" أنت منين في الصعيد؟ جايز نطلع بلديات ولا حاجة وكمان إيه اللي جابك من الصعيد وعايش مع مين؟

حكى لهما حكايته وقال إنه من سوهاج وكان يعيش مع أمه وأبيه وشقيقه "عماد" الذي كان يكبره بخمسة أعوام. وكان والده مزارع بسيط يعمل في قطعة أرض مستأجرة ثم أعياه المرض وألزمه الفراش حتى توفي وترك زوجته وطفليه وكان "عماد" وقتئذ أنهى دراسته الإعدادية وترك المدرسة للعمل بعد أن أصبح رجل البيت وكان "عبد الرحمن" في الإبتدائية. حاولت والدة "عبد الرحمن" إقناع صاحب الأرض بأن يسمح لها ولـ"عماد" بالعمل في الأرض مكان الوالد الراحل لكنه رفض وطردهم من الأرض ومن البيت البسيط الذي كانت الأسرة تستأجره منه أيضا ولم تجد الأم مفرا من النزوح للقاهرة أو (مصر) كما يطلق عليها أهل الصعيد سعياً وراء الرزق لها ولولديها. كان من الطبيعي أن يترك "عبد الرحمن" المدرسة بعد أن أستقرت الأسرة الصغيرة في غرفة فقيرة للغاية في (كفر أبو سالم) وعمل الولدين في أي شيء وكل شيء ورفضا أن تعمل والدتهما خادمة أو عاملة نظافة. لكنها كانت تساعدهما أحياناً في بيع المناديل الورقية والحلويات للتلاميذ أمام المدارس الإبتدائية.

باغته "هشام" بسؤاله:

- طيب ليه أخد أخوك الكبير وأنت لا؟ هو بياخد الشباب على أساس معين ولا إيه الحكاية؟

إبتسم الصبي بحزن وقال له:

- أنا كنت ببيع دمي يا بيه بس أنا دلوقتي جالي فيروس سي، قالوا لي كده بعد آخر مرة أخدوا مني دم ومبقاش مني رجا وهو سايبني بس أكل عيش واصرف على أمي لحد ما ييجي قضا ربنا.

شعرت "نوران" بقبضة باردة تعتصر قلبها بعد أن سمعت كلام "عبد الرحمن". الحياة حقا غير عادلة، هذه حقيقة مؤكدة. قررت الإنتقال للنقطة التالية المهمة فقالت له:

- طيب يا "عبد الرحمن" الرقم اللي كان مكتوب على المنديل رقمك، إنما العنوان بقى بتاع إيه؟ ده في آخر (مدينة نصر) أنا عارفة المنطقة دي، منطقة جديدة وقريبة قوي من الدائري والطريق الصحراوي إيه العنوان ده؟

- ده عنوان الفيلا اللي الدكتور بيخدر الناس فيها ويقطع جتتهم يا أبلة.

إبتسمت رغما عنها لبساطة الفتى والطريقة التي وصف بها عمليات سرقة الأعضاء في حين سأله "هشام":

- طب أنت عرفت أزاي بقى يا بطل؟

- أنا فضلت شهر وأكتر بعد غياب أخويا أراقب "حسان" من غير ما ياخد باله وعرفت أنه بيروح الفيلا دي مرة واحدة كل أسبوع

والميعاد، وبيكون معاه إتنين أو تلاتة من العيال اللي بيموتوهم ويقطعوا جثتهم. عرفت أنه بياخدهم معاه في العربية وبيكونوا متنحين كده، مش متخدرين لا، شوفتهم مرة لقيتهم صاحيين ومفتحين عيونهم لكن متنحين مش بيتكلموا خالص معرفش الولية "أم بطة" بتشربهم إيه. وفي يوم قصدت واحد صاحبي في الفيسبا بتاعته وأستنيت لما جه ياخد العيال في الميعاد بتاع كل أسبوع ومشيت وراه من بعيد وفضلت مراقبه من غير ما ياخد باله مني خالص لحد ما وصلت للمكان وعرفته.

كان إحساس الذهول مسيطر على "هشام" و"نوران" وهما يستمعان لما فعله الصبي، كيف تمكن من فعل كل ذلك بمفرده؟ كيف أتته الجرأة؟ وكان أكثر ما لفت انتباههما هو ذكائه الفطري وقدرته على التصرف بشكل سليم.

فكرت "نوران" في أن الحياة القاسية التي عاشها "عبد الرحمن" أكسبته جزء كبير من قدراته تلك، إضافة إلى الدافع الذي يحركه وهو الإنتقام لمقتل شقيقه إن صح كلامه وأن شقيقه قُتل بالفعل هو والشباب الآخرين.

بعد أن انتهى "عبد الرحمن" من كلامه سألته "نوران":

- طيب يا "عبد الرحمن" إحنا دلوقتي سمعناك إيه مطلوب مننا؟ يعني مفيش أي دليل على كلامك هنعمل إيه؟ حتى لو رحنا بلغنا الشرطة مش هيتهموا بالبلاغ من غير دليل.

بدا الإحباط على وجهه وحاول التمسك بآخر فرصة وقال لها:

- أنا ممكن أجيب لحضرتك ناس تانية تشهد. في ناس كتير بتكره "حسان" ونفسهم يشوفوه مشنوق -ثم بدت على وجهه علامات التفكير وقال وهو يعد على أصابعه- "وردة" هتيجي تشهد وممكن "فايزة" كمان وأمي برضة وفي واحد صاحبي كانوا خدوا كليته ورموا له 500 جنيه. ناس كتير هتخاف تتكلم الفقر بيذل يا أبلة وده مش بس فقر ده "حسان" مسلط كلابه عليهم ودول غلابة برضة، بس اللي قلت لك عنهم دول مستعدين يعملوا أي حاجة ويشوفوه رايح في داهية.

سألته "نوران" مبتسمة:

- إشمعنى دول يعني؟ إيه شجعان زيك كده؟

أحمر وجه الفتى خجلاً من إطراءها عليه ورد:

- دول من أكتر الناس اللي أتأذت بسببه وبيكرهوه كره العمى.

تبادلت "نوران" نظرة مع "هشام" الذي أومأ لها بمسايرة "عبد الرحمن"، ثم ألتفتت له وقالت:

- طيب موافقة أسمعهم يا "عبد الرحمن" وأسجل شهاداتهم. بص أنا مش عارفة إحنا ممكن نعمل إيه بس أوعدك أننا هنحاول وربنا يوفقنا ماشي؟

تهلل وجه الصبي فرحا وقال لها:

- ماشي وأنا معاكو في أي حاجة تحتاجوها.

أعطته رقم هاتفها الخاص وطلبت منه أن يتصل بها لترتيب لقاءاتها مع الشهود وقررت أن تسجل تلك الشهادات كتابة وتجعلهم يوقعوا عليها حتى تكون موثقة عندما يحين الوقت الملائم.

عرضت عليه أن تقوم بتوصيله لأقرب مكان من (كفر أبو سالم) أو حتى لمكان المواصلات لكنه رفض خشية أن يراه أحد جواسيس "حسان" معها، وقبل أن يغادر سألته:

- "عبد الرحمن" أنت بتتعالج من الفيروس؟

كسا الحزن وجه الصبي وقال بإبتسامة مريرة:

- في صيدلية صاحبها ربنا يبارك له بيديني العلاج ببلاش كل شهر. أمي كانت بتبيع مناديل قدام الصيدلية وحكت له وهو بعتني لدكتور صاحبه كتب لي علاج وهو بيديهولي.

سألته بجدية:

- طيب مش محتاج حاجة؟ بص أنا زي أختك الكبيرة، لا أختك إيه أنت صغير قوي أنا زي مامتك.

ضحك الصبي بصفاء طفولي ورد عليها:

- أنتي حلوة زي أمي يا أبلة "نوران" وأنا بقيت بحبك زي ما بحبها. والله قلبي إنشرح لك أول ما شوفتك عندنا في الحتة.

ثم شكرها بأدب وكبرياء قائلا إنه لا يحتاج شيئا وأنطلق وراقبته هي و"هشام" حتى غاب عن نظرهما. جلسا بعدها يتناقشان في الأمر.

أوضح لها "هشام" إن فكرة إجراء مقابلات مكتوبة مع شهود على إجرام "حسان" نقطة بداية جيدة لكنها لا تكفي. قد تصنع تحقيق صحفي جيد لكنها لا تكفي لتوفير سند قوي لإبلاغ الشرطة وإصدار أمر بضبطه وإحضاره وأقصى ما قد يفعله التحقيق الصحفي هو أن يحقق (سبق) أو (خبطة صحفية) فقط بل على العكس سيكون سببا لإلحاق الأذى بـ"عبد الرحمن" وبقية الشهود.

وافقته "نوران" في هذا الرأي وقالت له وقد بدت علامات التفكير على وجهها:

- عارف إحنا محتاجين إيه؟ محتاجين نراقب بعيد عن (كفر أبو سالم) مش هنطلع بحاجة من هناك. إحنا محتاجين نراقب فيلا الصحراوي دي ونصور كل الأدلة اللي نقدر نوصل لها هناك.

صمت "هشام" لحظات مفكراً في إقتراح "نوران" ثم قال لها:

- تصدقي؟ هو ده الحل فعلا، إحنا علشان نوديهم في داهية لازم أدلة وأظن مفتاح الحل في الفيلا دي. بصي سيبي لي الموضوع ده. أديني العنوان وأنا هشوف ممكن ننفذ ده أزاي وركزي أنتي في المقابلات مع الشهود.

أستقرا على ذلك مؤقتاً وأتفقا على التفكير في طريقة لمراقبة الفيلا دون لفت الأنظار. عادت "نوران" للمنزل بعد ذلك مباشرة وما أن دخلت من الباب حتى أرتفع رنين هاتفها في حقيبة يدها، أخرجته سريعاً ووجدت أنه "ماجد". أرتسمت على وجهها ابتسامة رقيقة وهي ترد عليه:

- الو، أزيك يا "ماجد"؟

أجابها وخيل لها أنها سمعته يتنهد بإرتياح:

- الحمد لله بخير أزيك أنتي؟ أنتي فين يا بنتي ليه مختفية كده؟

كانت تشعر أن سؤاله الظاهري يخفي سؤاله الفعلي (أخبارك إيه مع "خالد"؟ يا ترى هو سبب اختفائك؟). كان إهتمامه بها يحيرها ويخيفها في الوقت نفسه. لكنها لا تنكر أن من دواعي سرورها الدائم مؤخرا تواصلها معه وسؤاله عن أحوالها والتواصل بينهما خرج عن نطاق العالم الإفتراضي وأصبح ملموساً وواقعياً بدرجة أكبر ولم يعد مقصوراً فقط على العلاقة العملية التي ربطتهما منذ البداية. أجابته ببساطة:

- الحقيقة يا "ماجد" مشغولة فعلاً بتحقيق مهم اليومين دول. أدعي لي أقدر أعمله بالشكل الملائم هيفرق مع ناس كتير بإذن الله.

أكتفى بتلك الإجابة منها وشعر أنه ربما يقلق أكثر من اللازم. أم هي الغيرة التي بدأت تتسلل لقلبه منذ أن علم بعودة "خالد" لحياتها من جديد؟ هز رأسه بقوة وكأنه يطرد تلك الفكرة

اللامنطقية تماما من ذهنه. فهو يعلم جيدا مدى إتزان "نوران" وعقلانيتها وأنها لن تسمح بوجود "خالد" مجدداً في حياتها تحت أي مسمى كان. تبادل معها الحديث لدقائق قبل أن تنهي معه المكالمة على وعد أن تحاول العودة للإهتمام بالجروب الأدبي مجدداً حسبما يسمح وقتها. إلتقط "ماجد" تلك العبارة منها وقال لها:

- اللي أتمناه فعلاً يا "نوران" أشوف لك عمل مكتوب قريب. أنتي فعلاً موهوبة جداً حرام تضيعي موهبتك، أوعديني حتى تحاولي. أنا متأكد أنك هتقدري بس محتاجة تاخدي الخطوة الأولى.

يااه يا "ماجد"! ألا تمل أبدا؟ كان دائم الإلحاح عليها في هذا الأمر لكنها لم تكن مستعدة بأي حال للحديث عنه الآن. وعدته أن تفكر في الأمر على الأقل لكن عندما يحين الوقت المناسب وليس الآن.

ذهبت للجريدة في صباح اليوم التالي ولم تجد "هشام" وكانت "شيرين" وحدها هناك. إندهشت بشدة لأن "هشام" أكثرهم إلتزاما في موعد الوصول للعمل فأين ذهب؟ سألت "شيرين" التي أخبرتها أنها لا تعلم أين هو وأنها أتصلت به فقال لها إن لديه مشوار هام وقد يتأخر.

عقدت "نوران" حاجبيها مفكرة في الأمر. هل يمكن أن يكون "هشام" وجد طريقة لمراقبة الفيلا؟ لكن لماذا لم يخبرها؟ أتصلت به فوجدت هاتفه مغلقا. قررت تأجيل كل شيء حتى يصل للجريدة ويخبرهما ماذا يحدث.

فوجئت برنات متقطعة على هاتفها فوجدت انه "عبد الرحمن". اتصلت به فأعتذر لها بخجل أولاً لأنه اضطرها هي للإتصال لأنه لا يملك رصيد كافي للإتصال فأجابته ببساطة أنها هي من طلبت منه ذلك وأن عليه ألا يخجل أبدا من هذا. أخبرها أنه تكلم مع "وردة" والآخرين ووافقوا على لقائها والحديث معها بما يعرفون. أخبرها أنهم سيلتقون بها فرادى وفي أيام متفرقة كي لا يلفتوا الأنظار لهم. وقالت له "نوران" إنها مستعدة للقائهم في أي مكان وأي موعد مناسب لهم وأتفق معها على ترتيب مواعيد ملائمة ومعاودة الإتصال بها. أسعدتها جدية "عبد الرحمن" وشعرت أن قسوة التجربة أضافت لعمر الصبي سنوات فوق سنوات عمره القليلة.

ظل "هشام" غائبا طوال النهار وهاتفه مغلقاً وهو ما أثار قلق "شيرين" و"نوران" بشدة. لكنه عاد أخيراً والساعة تقترب من الرابعة عصراً فبادرته كلتيهما في صوت واحد:

- كنت فين يا "هشام"؟

ضحك بصوت مرتفع وقال لهما:

- إيه ده يا ناس "ريا وسكينة" في إنتظاري؟

لكزته "نوران" في كتفه وهي تضحك وقالت:

- قلقنا عليك يا ظريف. وموبايلك مقفول ليه طول اليوم؟ أنت كنت غطسان فين؟

- ممكن تصبري عليا منك لها أكل لقمة بس وأشرب شاي وبعدين أحكي لكم كل حاجة؟ هموت من الجوع.

تركته الفتاتان يأكل الشطائر التي طلبها بإستمتاع واضح ثم طلب الشاي وبدأ يشربه بهدوء وهو يتصفح الجريدة وهو ما أثار غيظ "شيرين" التي قامت من على مكتبها وخطفت الجريدة من يده وهي تقول:

- وربنا لو ما نطقت حالا يا "هشام" هدلق كوباية الشاي دي فوق دماغك.

نظر لها متصنعا الفزع ورفع يديه فوق رأسه ورسم على وجهه تعبير مذعور وهو يقول:

- خلاص خلاص حرمت يا بوجي حرمت.

نظرت له بغضب ممتزج بدلال ضاحك وهي تقول:

- بوجي؟ نهارك مش فايت.

أسرعت "نوران" لفض الإشتباك بينهما وقالت لهما ضاحكة:

- وربنا أنا اللي هسيب لكم المكتب وأمشي. لموا الدور وأنت يا "هشام" أحكي بقى كنت فين طول اليوم.

جذب "هشام" مقعده وجلس بجوار مكتب "نوران" وأشار لـ"شيرين" لتجلس على المقعد الموجود أمامه وقال لهما:

- النهاردة رحت أتصاحبت على عم "جاد الله" البواب. راجل طيب وجدع وربنا يبارك له هيخليني أعمل نصبة شاي أسترزق منها.

إرتسمت علامات التعجب على وجهي "شيرين" و"نوران" وسألته الأخيرة:

- نعم؟!! جاد الله مين وشاي إيه؟ في إيه يا "هشام"؟

أجابها بإبتسامة واسعة:

- "هشام"؟ "هشام" مين؟ أنا "حسن الصعيدي"، لسه جاي من يومين من (قنا) وعلى باب الله بدور على أي مكان يتاويني وأي شغلانة أسترزق منها.

بدت علامات الفهم على وجه "نوران" في حين ظلت "شيرين" على تعجبها وسألته:

- إيه يا ابني أنت جالك عقد عمل في السينما ولا إيه؟

إبتسمت "نوران" وسألته بدورها:

- عم "جاد الله" بيبعد قد إيه عن الفيلا يا "هشام"؟ وأتصاحبت عليه أزاي؟ يعني خلاص بقى يثق فيك ولا إيه؟ عرفني التفاصيل الموضوع مش لعبة بلاش تقلقني عليك.

رد "هشام" عليهما معا وقال:

- هو دور تمثيلي فعلا يا "شيرين" بس مش في السينما خالص. عم "جاد الله" حارس فيلا في أول الشارع اللي آخره الفيلا المقصودة

وأنا رحت النهاردة قلت له إني واقع في عرضه وناس ولاد حلال دلوني عليه وقالوا لي الراجل الطيب ده هو اللي هيقدر يساعدك وقلت له إني جاي من الصعيد ومحتاج شغل ومتنسوش أنا بعرف أتكلم صعيدي كويس ما أنا صعيدي أصلا والدم بيحن برضة - إبتسم عند تلك النقطة ثم أكمل- الراجل بصراحة كان جدع معايا قوي وشكله أرتاح لي كمان. مسك فيا أفطر معاه وحلف بأغلظ الإيمان لازم أكل بس شكرته وقلت له إني مش عاوز إلا حتة تتاويني وشغلانة أكل منها عيش. شربت معاه شاي وقالي سيبها على الله وهتفرج. قعدت معاه ساعتين وبعدين جه واحد بواب معرفة في نفس المنطقة وعم "جاد الله" كلمه عني، الراجل شكله بيعز عم "جاد الله" قوي وقاله إنه هيلاقي لي مكان أنام فيه بالليل في أوضة كده في جنينة فيلا تحت الإنشاء هو بواب عليها برضة وهو اللي قالي على نصبة الشاي وقالي إن المنطقة بييجي لها عمال كتير علشان فيها مباني كتير تحت الإنشاء. أنا وافقت طبعا على طول ما أنا المفروض واقع في عرضهم وعاوز شغل وعرضوا عليا مساعدة بفلوس والله علشان أجيب عدة النصبة بتاعة الشاي بس قلت لهم إن كان معايا قرشين واخدهم من أمي قبل ما أسيب الصعيد وبيعتها حتة من دهبها علشان أقدر أسافر لمصر وبالفلوس أشتريت تروسيكل وسبته في جراج عند واحد بلدياتي لحد لما أعرف هسترزق به أزاي، واضح أني مقنع جدا علشان صدقوا كلامي كله وعم "جاد الله" منتظر رجوعي آخر النهار بالتروسيكل وعدة الشغل يعني الشاي ولوازمه وحاجات تنفع ساندوتشات خفيفة كده. أنا قلت له هروح لبلدياتي ده علشان

مستنيني وهجيب حاجاتي كمان وأبات في الأوضة اللي قالى عنها البواب.

نظرت له "شيرين" بقلق وقالت:

- إيه يا "هشام"؟ هتبات في أوضة في خثة مقطوعة تحت الإنشاء؟ أنت إتجننت؟ ده خطر جداً عليك أنت متخيل إيه ممكن يحصل لك هناك لا قدر الله؟ أتصرف في الموضوع ده.

أيدتها "نوران" في قلقها وقالت بدورها:

- "شيرين" عندها حق يا "هشام" شوف حل لموضوع البيات هناك ده، وكمان بلاش تدي الأمان قوي برضة أنت مش متأكد "جاد الله" ده ممكن يكون وراه إيه وهل فعلا صدقك ولا بينصب لك فخ.

إبتسم "هشام" بثقة وقال:

- إيه يا بنات، أنتوا بتتعاملوا مع هاوي ولا إيه؟ متقلقوش أنا مرتب أموري كويس جدا وكمان أنا فعلا مش ناوي أبات هناك كل يوم ولو حصل هبات صاحي مش هنام وهتبقى فرصة أراقب المنطقة كويس. كمان نصبة الشاي أحلى شغل يتعمل بها بيكون بالليل مش بالنهار ولو حبكت هبقى أقول إني هروح أبات عند بلدياتي علشان هو مشدد عليا أعمل كده. متقلقوش، أنا محتاج أسبوعين مراقبة متصلة هناك على حسب تقديري وخلال الأسبوعين دول أكيد هتبان ملامح الموضوع كله.

واصلوا مناقشة الموضوع وإنهاء عملهم كالمعتاد. وفي نهاية اليوم أقترحت "شيرين" على "نوران" أن يذهبا سوياً لتناول الغداء لكنها كانت تشعر بإرهاق شديد بعد أيام من العمل المتواصل الذي بدا ممتداً للأبد فأخبرتها أنها ستعود للمنزل مباشرة لأنها في حاجة للراحة.

وصلت "نوران" لمنزلها بعد معركة المرور اليومية والشوارع خانقة الإزدحام. كانت تمني نفسها بحمام دافئ والإستلقاء في فراشها الوثير دون فعل أي شيء سوى الراحة والراحة فقط. لكن ما أن دخلت من باب الشقة وأغلقته خلفها حتى علا رنين هاتفها المحمول. أخرجته وهي تدعو الله ألا يكون الأمر متعلق بالعمل لكنها فوجئت برقم "عبد الرحمن". قطعت الإتصال وأتصلت هي به لتعلم ماذا يريد. أخبرها أن "وردة" مستعدة للقائها اليوم في المساء. ودت لو تعتذر له وتقترح أي موعد آخر لكنها تذكرت أن هؤلاء الناس يخاطرون بحياتهم فعلياً للوصول لها وإخبارها بما لديهم من معلومات. تنهدت وأخبرته أنها ستقابلها وسألته إن كانت وردة تفضل مكانا معين للقاء أم تقترح هى مكان مناسب، فقال لها إنها ستلقاها في (حديقة الأزهر) لأنها مكان مفتوح ومن السهل أن تغيب فيه "وردة" عن عيون رجال "حسان".

كان الوقت المتبقي على موعد لقاء "وردة" يكفي فقط كي تأخذ "نوران" حمام دافئ وتتناول كوب من الشاي مع شطيرة وقرص مسكن لأنها في حاجة ماسة لهدنة مع الصداع المزمن. وفي الموعد كانت تقطع الشوارع بسيارتها مجدداً حتى وصلت لـ(حديقة الأزهر). أتصلت بالرقم الذي أعطاه لها "عبد الرحمن" وقال إنه

رقم "وردة". ردت عليها "وردة" على الفور وأخبرتها عن مكان وجودها ووصفت لها ملابسها وهيئتها. وعلى الفور إتجهت "نوران" للمكان الذي كانت تنتظرها به. صافحتها ببساطة ولفت إنتباهها على الفور جمال "وردة" الملفت للإنتباه حتى أن بعض المارة كانوا يحدقون بها. كان قوامها يميل للقصر بمفاتن واضحة لم تحاول إخفائها بل أرتدت فستان مجسم وضيق بوضوح مع حذاء عالي الكعب جدا أبرز قصر قامتها بدلا من أن يمنحها طولاً وهمياً. كانت عيناها واسعتين خضراوين أضاءتا وجه دقيق الملامح بديع القسمات. ومن أسفل حجابها القصير انفلتت خصلات ذهبية ناعمة لشعرها الذي بدا من هيئته أسفل الحجاب عند مؤخرة رأسها أن طوله يصل إلى أسفل ظهرها تقريباً.

كانت وردة هي من تحدث أولا فبادرت "نوران" بالقول:

- شوفي يا ست هانم، أنا قبلت أجي أقابل حضرتك لما "عبد الرحمن" قالي علشان أنا كل غرضي أشوف المدعوق "حسان" ده متعلق على حبل المشنقة مش هيكفيني فيه أقل من كده. أنا مش عايزة فلوس ولا ليا أي مصلحة بس الحلوف ده لازم يروح في ستين داهية لمؤاخذة.

ابتسمت "نوران" لسماع كلمة لمؤاخذة بعد وصلة السباب التي بدأت بها "وردة" كلامها وقالت لها:

- أولاً يا "وردة" أنا مش ست هانم أنا "نوران" تقدري تناديني بأسمي مباشرة من غير ألقاب. ثانيا أنا متشكرة قوي أنك وافقتي تتكلمي معايا وصدقيني أنا كمان هدفي نوصل للحقيقة ونقدر

نلاقي دليل على كل الجرائم اللي أرتكبها "حسان" في حقكم كلكم ونقدر نوصل لمين وراه. أنا عايزاكي تتكلمي وتحكي لي كل اللي عندك بس من فضلك أنا هكتب كل كلامك وهطلب منك تمضي لي على الكلام ده وتكتبي رقم بطاقتك علشان تكون شهادة موثقة. بتعرفي تمضي؟ وعندك بطاقة؟

ردت وردة على الفور:

- موافقة طبعا يا ست وبعرف أمضي أومال ده أنا متعلمة لحد أولى ثانوي وهكتب لك رقم بطاقتي كمان من عينيا.

طلبت منها "نوران" أن تتحدث وأمسكت هي بأوراقها والقلم وبدأت تكتب شهادة "وردة". التي قالت:

- أنا حكايتي مع "حسان" بدأت بعد ما أبويا طفش وسابنا أنا وأمي و3 أخوات بنات غيري. أبويا كان بيكره خلفة البنات ومكنش طايقنا ولا طايق أمي وعلى طول خناق وضرب وإهانة وفي الآخر رمانا وطفش وإحنا على فيض الكريم. أنا الكبيرة في أخواتي ومبقناش عارفين نعيش منين وأمي صحتها على قدها أتهدت من اللي أبويا كان بيعمله فيها ومن هم الأربع بنات. سبت المدرسة طبعا علشان أشتغل وأساعدها كانت بتقعد تبيع أي شوية خضار على ناصية الشارع وكنت بقعد معاها. وفي يوم جه "حسان" وقال لأمي بنتك كبرت واتدورت وأنا جايب لها عريس مقتدر وأبن أكابر. أمي طبعا مصدقتش أصل أبن الأكابر هيبص للي زيي ليه وعلشان إيه؟ لو ع الجمال ياما بنات أحلى مني بكتير من طينته. أمي رفضت علشان مكنتش مرتاحة لكن أنا

علشان كنت صغيرة وطايشة دورت الموضوع في دماغي، طب ما تجربي يا بت يا "وردة" جايز تكون الجوازة دي هي الطريقة الوحيدة اللي هتطلعك أنتي وأمك وأخواتك من الفقر ده. رحت لـ"حسان" بنفسي وكلمته وقلت له أنا موافقة مين العريس؟ وعايز يتجوزني أمتى؟ وقتها فهمت الفولة. الموضوع مش جواز جواز يعني لا، الراجل اللي قال إنه العريس ده واحد جاي من الخليج كده وعايز يعمل عملية وعايز كلية بس قال إيه عايز يمشي سليم علشان هو من كبارات بلده ومراته بنت وزير هناك باين ولا مش عارفة إيه ومش عايز شوشرة. "حسان" قالي إنه هتيجوزني عرفي ويعمل العملية وياخد كليتي لو لقوها نافعة له وبعدين يطلقني ويديني قرشين حلوين. أنا دورت الموضوع في دماغي وقلت وماله يا بت؟ ده حتى مش جواز ومحدش هيدرى بحاجة وأهو أنتي وأخواتك أولى بالقرشين. متبصليش بقرف يا ست والنبي الفقر وحش والجوع بيذل.

تأملت "نوران" بشدة في قرارة نفسها لسماع ذلك من "وردة" وقالت لها:

- مقدرش ألومك أبدا يا وردة. أزاي ألومك على حاجة معشتهاش ولا جربتها؟ الله يكون في عونك. كملي أنا متابعة معاكي.

أكملت وردة كلامها وقالت لـ"نوران":

- أنا مقولتش لأمي على موضوع العملية ده، كانت بتخاف علينا قوي ومتستحملش فينا أي حاجة. أقنعتها بس توافق على موضوع الجواز ده وقلت لها أنه منفعة وخير لنا كلنا. هي برضة

مكنتش موافقة بس أنا دماغي صرمة قديمة وهي عارفاني. بعدها "حسان" خدني لدكتور عارفه عملت عنده تحاليل ورجع لي بعد كام يوم وقالي التحاليل كويسة والكلية هتنفع الراجل الخليجي ده. رتبنا كل حاجة ورحت معاه على أساس هتجوز وأسافر مع جوزي وأمي كانت معصلجة قوي أزاي بنتها تتجوز وتسافر وهي مشافتش حتى اللي أتجوزته ده. بس "حسان" قدر يقنعها ويخليها توافق وأنا كمان زنيت عليها كتير الصراحة وحلفت لها إني هتصل بها أطمنها عليها وأني هرجع أزورها كل ما أقدر وفهمتها أن الراجل اللي هتجوزه مش ممانع أجي (مصر) وقت ما أحب. وكانت أول مرة أقابل "العريس" لما رحت له مع "حسان"، راجل كبير كده ييجي 50 سنة وأكتر، مضينا ع الورقة العرفي وبعدها بيومين عملت العملية وأخد كليتي. بعد ما قمت من العملية مكنتش مدية خوانة خالص وافتكرت أن "حسان" هيديني حقي لكن الضلالي لهف الفلوس كلها ورمى لي 2000 جنيه مفيش غيرهم. اللي حصل بقى وغير الدنيا خالص معايا أني حليت باين في عين الراجل اللي أتجوزته وبدل ما يطلقني عرض عليا أفضل على ذمته وأسافر معاه بلده ويصرف عليا وعلى أهلي. بيني وبينك أنا قلت طب وماله يا بت يا "وردة" وهو جواز وحلال والراجل شكله شاريكي وهيريحك. وافقت وخلص لي كل ورق السفر ورحت معاه بلده، وكان شرطه عليا أن الجواز يفضل سر ومحدش يعرف خالص إني مراته علشان لو مراته ولا أهلها عرفوا هتبقى مشكلة كبيرة له. أنا وافقت ومكنش عندي مشكلة ما أنا كده كده غريبة يعني. عشت معاه أيام كويسة وكان بيحبني وبيراعيني قوي وصدق في كلامه وكان بيبعت فلوس لأمي وأخواتي وكنت بتصل بهم كل

شوية أطمن عليهم. أفتكرت بقى الدنيا ضحكت لي وهعيش مبسوطة بقية حياتي بس المنحوس منحوس. مراته عرفت بالموضوع وطبت علينا في يوم في البيت وخربت الدنيا. كان باين قوي أنه بيخاف منها. قالت له يطلقني فوراً ويرميني في الشارع أرجع مطرح ما جيت وإلا الموضوع هيكبر وهو مش هيتحمل النتيجة. كان بيحاول يهديها ويسكتها بأي شكل ولما مشيت طلع جري وراها ومشوفتش وشه تاني. أتصل بيا بالتليفون وقالي إني طالق ولازم أسيب البيت فورا. بقيت بلطم مش عارفة أروح فين مكنش معايا أي ورق ولا أي حاجة ورقي كله كان معاه الباسبور وورقة الجواز وكل حاجة بس واضح أن مراته كانت مفترية قوي. فضلت مكاني قلت حتى يبعت لي ورقي وحق تذكرة السفر بس تاني يوم لقيت رجالة من عنده جم رموني بره البيت بالهدمة اللي عليا وهددوني بالقتل لو نطقت ولا رجعت تاني. أتبهدلت قوي هناك لحد ما عرفت أوصل لناس مصريين الله يكرمهم قدروا يساعدوني أرجع (مصر) وطلعوا لي ورق ورجعت. بعد رجوعي كان "حسان" مستنيني بالشماتة وتلقيح الكلام وأنا مكنتش طايقاه وبعدين في يوم أسود كنت راجعة من بيع الخضار بالليل كان قاعد يحشش قدام بيت الولية "أم بطة" ولمحني معدية، قام وقعد يرزل عليا وأنا مسكتش رديت عليه.

توقفت "وردة" عن الحكي في تلك النقطة وأرتسمت على وجهها علامات الألم وبدا أن الدموع تجمعت في عيونها لكنها تماسكت وأكملت:

- قام عليا زي التور الهايج ضربني بالبونية في وشي وجرني من شعري جوه بيت "أم بطة". أنا أترعبت وقعدت أصرخ وكل ما أصرخ يضربني يضربني لحد ما غبت خالص عن الدنيا. لما صحيت دريت باللي جرى لي ولقيت الحلوف ده واقف قدامي يضحك وأنا مفيش حاجة تسترني قعدت ألطم على وشي. مسكني ولوى لي دراعي وقالي إنه سجل كل حاجة ويا أعمل اللي هو عاوزه يا يفضحني في البلد كلها. إحنا غلابة قوي يا أبلة وأمي لو كانت عرفت اللي جرى لي ولا اللي حصل بعدها كانت طبت ساكتة ده غير العار اللي أخواتي كانوا هيعيشوا فيه. غصب عني رضيت وبقى يسرحني أنا وبنات كتير غيري من الحتة منهم اللي ماسك عليها ذلة ومنهم اللي بمزاجها، بياخد عرقنا كله ويرمي لنا ملاليم تقوتنا بس. أمي متعرفش حاجة عن اللي بشتغل فيه هي فاكرة أني بسرح بمناديل بالنهار وبالليل بشتغل في محل ملابس.

تنهدت "وردة" بعد أن أنتهت من حكايتها وقالت لـ"نوران":

- عرفتي بقى يا ست "نوران" ليه أنا عايزة أشوف "حسان" متعلق على حبل المشنقة؟ ده أنا لو أطول أكله بسناني أعملها بس ده مجرم وشراني ومسنود من ناس كبارات قوي. ده البلد كلها عندنا تعمل له ألف حساب ومحدش يستجري يرفع عينه فيه علشان عارفين إجرامه ومجربينه.

إحتشدت الدموع في عيني "نوران" لكنها تماسكت بكل قوتها للتركيز على عملها، وقالت لها:

- أنا كتبت كل حاجة أنتي قلتيها يا "وردة" عايزاكي تمضي وتكتبي رقم بطاقتك تحت الكلام المكتوب.

فعلت وردة ما طلبته منها ثم سألتها:

- معلش في السؤال يعني هو حضرتك هتعملي إيه باللي أنا قلته؟

أخبرتها أنها تسعى لفضح "حسان" والقبض عليه لكنها تحتاج أن يكون في يدها أدلة قوية لتضمن أن يلقى جزاء ما أرتكب من جرائم بالفعل.

أعطت "نوران" رقم هاتفها لـ"وردة" وطلبت منها الإتصال بها إن أحتاجت لأي شيء هي أو أسرتها. حاولت إقناعها كذلك بالإبتعاد عن طريق الرذيلة. طلبت منها "وردة" أن تدعو لها الله أن يتوب عليها من هذا الطريق. دعت "نوران" الله من أعماق قلبها أن يساعدها على وضع ذلك الشيطان "حسان" في المكان الذي يستحقه من أجل كل هؤلاء الضحايا.

في الأيام القليلة التي تلت ذلك حصلت "نوران" أيضا على شهادة "فايزة" التي كانت حكايتها أكثر ألماً من حكاية "وردة" حيث أضطرت لبيع كليتها للإنفاق على طفلتها بعد (مصرع زوجها في مشاجرة. لكن المسكينة أصيبت بفشل كلوي بعد ذلك وصارت تتنقل بين وحدات الغسيل الكلوي في الجمعيات الخيرية أملاً في العلاج المجاني ويقتلها الخوف يومياً على مصير أبنتها ذات الستة أعوام إن توفيت وتركتها وحيدة في الدنيا.

توالت شهادات الشهود الذين نجح "عبد الرحمن" في إقناعهم بالحديث إلى "نوران" وأصبح لديها عدة شهادات موثقة على جرائم "حسان" لكن لا زالت المشكلة الرئيسية في التحقيق كله ... غياب الأدلة.

في الوقت نفسه أستقر "هشام" أو "حسن الصعيدي" في مكانه على الطريق يدير نصبة الشاي والساندويتشات بمهارة فائقة. كان "هشام" يجيد تقمص شخصية الشاب الصعيدي النازح حديثاً للقاهرة للعمل ويجيد اللهجة الصعيدية وتأقلم بسرعة مع عمال البناء هناك وكان غالبية زبائنه منهم. راقب "هشام" المكان والفيلا التي تبعد عن مكان نصبة الشاي مسافة قصيرة جدا. كانت الفيلا مغلقة يغلب عليها الهدوء معظم الأيام ولم يبدو أن هناك من يسكنها. لكن "هشام" لاحظ مرتين في أسبوعين متتالين وصول سيارة نقل أثاث مرتين للفيلا في وقت متأخر من الليل وتلك السيارة كانت تغادر بعد ساعتين أو أقل قبل الفجر لكنها لم تكن تعود من نفس الطريق المؤدي للطريق الدائري وإلى داخل المدينة وإنما تتجه في الإتجاه المعاكس نحو الطريق الصحراوي ثم بعد فترة تعود للطريق مجددا وتغادر.

كان ذلك أهم ما لفت انتباه "هشام" وقرر أن يفهم ما هو لغز تلك الشاحنة التي بالقطع لا تنقل أثاثاً فلا أحد ينقل أثاث في هذا الوقت المتأخر من الليل عادة. ثم لماذا تتجه نحو الصحراء ثم تعود مجددا؟

ظل "هشام" يواظب يومياً على عمله كـ"حسن الصعيدي" وهو يفكر في الوقت نفسه في كيفية حل لغز الشاحنة وأيضا لابد من

طريقة يدخل بها الفيلا ويعلم ماذا يجري بداخلها دون إثارة شكوك من حوله.

في ظهيرة أحد الأيام كانت المفاجأة التي لم تخطر لـ"هشام" على بال. كان يعمل كعادته في بيع الشاي والشطائر عندما توقفت أمام النصبة سيارة (بي أم دبليو) فاخرة نزل منها شاب في أواخر الثلاثينيات يبدو عليه ترف الحال ويرتدي نظارة شمسية. سأله من يكون ومنذ متى يعمل هنا؟ تعرف عليه "هشام" على الفور وعقدت المفاجأة لسانه لكنه حافظ على رباطة جأشة وتقمصه الجيد لشخصية "حسن" وقال له القصة التي أخبرها لـ"جاد الله" وسائر الموجودين في المنطقة. صمت الشاب وتأمله ثواني كأنه يدير كلمات "هشام" في ذهنه ثم أستقل سيارته ورحل مجددا. تبعه "هشام" ببصره ليجده متجها للفيلا الغامضة ليتعاظم تأثير المفاجأة في نفسه.

كان هذا الشاب هو الدكتور "طارق عبد الفتاح" وكان زميل لشقيق "هشام" الأكبر "هاني" الذي كان يعمل طبيباً للتحاليل الطبية في إحدى المستشفيات الإستثمارية الكبرى قبل أن يستقيل منها دون أن يذكر السبب برغم أن العمل في مثل تلك المستشفى بمثابة حلم لأي طبيب شاب.

كان "هشام" قد شاهد "طارق" مع شقيقه في عدة صور ألتقطوها في مناسبات مختلفة بالمستشفى، وكانت تلك المستشفى هي مستشفى الدكتور "أنيس زهران" ... (مستشفى المنار).

*****

(9)

أنهى "هشام" فترة مراقبته للفيلا والمنطقة والآن أصبح هناك أمرين هامين لابد من القيام بهما وكان يؤمن أنهما سيصلان به مباشرة لقلب التحقيق وكشف الحقائق كاملة. الأمر الأول هو كشف غموض شاحنة الأثاث والأمر الثاني هو دخول الفيلا ومعرفة ما بداخلها.

كان ما يقلقه الآن هو تعقد الأمر بشدة مع ظهور الدكتور "طارق" وتساءل "هشام" هل هناك صلة بين (مستشفى المنار) وجريمة الإتجار في الأعضاء أم أن "طارق" يعمل لحسابه؟

كان يعلم أنه يتوجب عليه إطلاع "نوران" على مستجدات الأمر كله برغم أن ظهور أسم (مستشفى المنار) في الموضوع كفيل بأن يسبب لها إرتباكاً يدركه جيداً ولا يحتاج للسؤال عن سببه لكن العمل عمل وكلاهما أقسم ألا يتراجعا أبداً حتى يتوصلا للحقيقة كاملة.

كان هناك أمر آخر يشغل باله مؤخرا وبرغم أنه قرر تأجيله حتى الإنتهاء من التحقيق لكنه فكر أن الأمر لا يحتمل المزيد من الإنتظار. كانت الفكرة جنونية ومباغتة لكن ألم ينتظر ما يكفي من أعوام؟!

وبعد ظهيرة يوم سبت شتوي دافئ كان "هشام" يقف دون موعد مسبق أمام باب الأستاذ "علي صابر" المحامي، والد "شيرين" ويقرع الجرس وهو يحمل باقة ورود أنيقة وعلبة من الشيكولاتة الفاخرة. كان يوم السبت هو عطلة "شيرين" الأسبوعية وكانت

تستغل ذلك اليوم في تنظيف المنزل مستغلة غياب شقيقيها في العمل حيث يعمل "شريف" مدرس للغة الإنجليزية ويقضي يومه كله بالخارج في الدروس الخصوصية في حين أن "شادي" الشقيق الأصغر كان مهندسا يعمل في إحدى شركات الأسمنت بالسويس ولا يعود إلا يومي الخميس والجمعة للمنزل ويغادر فجر السبت لمقر عمله فلا يبقى في المنزل سواها هي ووالدها. وكانت "شيرين" عادة تلجأ لأم "غالية" زوجة بواب عمارتهم لمساعدتها وعندما دق جرس الباب ظنت أنها هي صعدت لمساعدتها فذهبت لفتح الباب لتجد "هشام" أمامها. تجمدت مكانها من المفاجأة ثم صرخت لما تنبهت أنها فتحت الباب وهي ترتدي قميص وبنطال قديمين وربطت شعرها بإيشارب إستعدادا لتنظيف المنزل. جرت للداخل فوراً دون أن تنطق كلمة ليخرج والدها مذعوراً ليرى ما الذي يحدث. وجد أمامه "هشام" يقف مبتسما ويقول له:

- مساء الخير يا عمي، هو مش مساء قوي لأننا الظهر تقريبا بس معلش ظروف الشغل. أنا "هشام العزازي" زميل "شيرين" في الجريدة ممكن أشرب الشاي مع حضرتك؟

نطقت ملامح والد "شيرين" بالدهشة الشديدة لكنه أفسح له المجال وقال له:

- اتفضل يا ابني.

دخل "هشام" وجلس في الصالون مع الأستاذ "علي" الذي ذهب أولا لغرفة "شيرين" ليجدها منزعجة وقد أكتسى وجهها كله بحمرة عميقة. إبتسم الأب وفهم الأمر على الفور، طلب منها

إعداد الشاي وتوجهت للمطبخ لإعداده وهي تشعر بغيظ شديد من "هشام" حتى أنها فكرت جديا إن كان يستحق أن تضع له القليل من زيت الخروع في فنجان الشاي.

كان "هشام" مباشرا وواضحا في مطلبه. عرف الأب به مباشرة وأخبره أنه الأبن الأصغر لأسرة مكونة منه وشقيقه الأكبر "هاني" الذي يعمل طبيباً ووالده ووالدته وهما أيضا طبيبين لكنهما يعملان في دولة خليجية. أخبره أنه يحب "شيرين" منذ أعوام طويلة وأنه حاول مراراً أن يتقدم لها لكنها كانت ترفض. كان سبب رفضها دوما أنها تشعر بالمسؤولية تجاه والدها وشقيقيها الصغيرين وأنها إذا تزوجت سيؤدي ذلك لتقصيرها في رعايتهم. أخبره أنه يأس من إنتزاع الموافقة منها برغم محاولات إقناعها وأنه أخبرها إستعداده لأي ترتيب يجعلها مطمئنة على والدها وأخويها لكنها ظلت ترفض فلم يجد بدا من التوجه مباشرة لمنزلها والحديث للأب على أن يحاول هو إقناعها.

أخبره "هشام" أن لديه شقة بالفعل وكل إمكانيات الزواج ولا يتمنى زوجة سوى "شيرين"، ويأمل أن يقنعها والدها بالموافقة لأنها هي أيضا تحبه لكنها تشعر بالذنب تجاه أسرتها.

أستمع له الأب حتى أنتهى من كلامه وشعر بإحترام شديد لهذا الشاب الجاد وأعجب به جدا. أستأذنه دقائق وذهب لغرفة "شيرين" التي وجدها تدور في الغرفة كقط حبيس. كانت مرتبكة جدا وبادرها بالقول:

- صحيح يا "شيرين" الكلام اللي بيقوله زميلك ده؟

شحب وجهها وسألت بخفوت:

- بيقول إيه يا بابا؟

أجابها بابتسامة:

- أنه بيحبك وأنتي بتحبيه؟ وأنه عاوز يتجوزك؟

أرتبكت "شيرين" جدا وتلعثمت في الكلام وقالت:

- بابا أنا، أنا، هو مقاليش أنه جاي والله ما أعرف يا بابا وهو غلطان وأنا فعلا هتخانق معاه دي مش تصرفات ناس عاقلين أبداً.

ضحك الأب وقال لها:

- بالعكس ده عين العقل. الراجل يئس منك فقال خلاص لها كبير أروح له. أنا موافق يا حبيبتي الولد شكله محترم وبيحبك بجد. وأنا أقول البنت دي بترفض الخطاب ليه أتاريكي بتحبي وأنا معرفش. كنت قلقان عليكي قوي يا "شيري" العمر بيجري بيكي يا بنتي وأنا مش عايش لك للأبد.

شهقت عندما قال والدها ذلك وجرت عليه وأحتضنته بقوة وقالت:

- متقولش كده يا حبيبي ربنا ما يحرمني منك هو أنا عايشة في الدنيا إلا بحسك؟

ربت والدها على كتفها وقال لها:

- دي الحقيقة يا "شيرين" محدش بيخلد في الدنيا ولازم أطمن عليكي وكمان متقلقيش علينا. أخواتك بقوا رجالة و"شريف" خاطب وقرب يتجوز و"شادي" هيحصله هتستني إيه تاني؟ أنتي مبقتيش صغيرة. أنا موافق وده كلامي النهائي ولا هتكسري كلام بابا؟

أبتسمت "شيرين" بخجل وقبلت يد والدها وقالت له:

- مقدرش طبعاً.

أبتسم لها الأب وعاد لـ"هشام" وأخبره بموافقته وموافقة "شيرين" أيضا. تهلل وجهه فرحا وقال بطريقته المرحة المعهودة:

- طب أشطة جدا يا عمي. شوف يا محاسن الصدف! والدي ووالدتي موجودين في (مصر) من يومين أنا هجيبهم وأرجع بالليل نتفق على كل التفاصيل إيه رأي حضرتك؟ موافق؟

وافق والد "شيرين" وعاد "هشام" بالفعل بوالديه في المساء. تم التعارف الأسري سريعاً وبدا الإنسجام واضحاً بين الجميع. أتفقوا على كافة التفاصيل وعلى موعد الخطبة يوم 14 فبراير، يوم عيد الحب حسبما أقترح "هشام" أي بعد أسبوع واحد فقط ويكون فرصة أيضا كي يحضر والديه الخطبة قبل سفرهما.

علمت "نوران" كل تلك التفاصيل في المساء عندما أتصلت بها "شيرين" وأخبرتها بكل ما حدث في هذا اليوم الحافل. شعرت بفرحة عارمة لسماع نبأ إرتباط أقرب شخصين لقلبها. إنتظرت هذا اليوم طويلاً وحاولت كثيراً إقناع "شيرين" بالموافقة على الإرتباط

بـ"هشام". أعجبتها جرأة "هشام" وفكرت أن الحب بالفعل يصنع المعجزات.

الحب! عاودها في لحظة كل ما عانت بسبب هذا الشيء المسمى بالحب، إن كان حب "شيرين" و"هشام" صنع معجزة إرتباطهما أخيراً كان حبها من النوع المدمر الذي إجتاح كيانها وأبى أن يغادره إلا وقد تركه حطاماً.

أفاقت "نوران" من شرودها الذي لم يتجاوز ثواني قليلة وأنهت مكالمتها مع "شيرين". كانت تشعر بسعادة حقيقية للنبأ المبهج وتمنت من أعماق قلبها أن يحيا صديقيها عمرا من الفرحة معا. بالطبع أشترطت "شيرين" عليها أن تكون معها طيلة يوم الخطوبة وتكون رفيقتها أيضا في مركز التجميل فهي تحل محل شقيقتها بل ربما هي لها أقرب. لم تمانع "نوران" بالطبع وغيرت سعادتها لهما حالة الكآبة التي كانت تلازمها مؤخرا.

قرر "هشام" تأجيل إخبار "نوران" بما توصل له من معلومات حتى بعد حفل الخطوبة وواصل مهمته المعتادة بالمراقبة والعمل في نصبة الشاي بإعتباره "حسن الصعيدي" على أمل التوصل للمزيد من المعلومات التي قد تساعده في فك طلاسم تلك القضية المعقدة.

جاء يوم 14 فبراير سريعا. في هذا اليوم دخل "خالد" لحجرة مكتبه في (مستشفى المنار) بعد الظهيرة بقليل وقد بدت على وجهه علامات الإرهاق العميق. كان قد أمضى الصباح بأكمله في عمليات جراحية ثم متابعة تقارير إدارية مملة تتعلق بالعمل في

المستشفى. كان يعشق الطب ويحب عمله كجراح جدا لكنه يكره بحق الأعمال الإدارية وينهيها مكرهاً كونها جزء من عمله منذ إستلامه إدارة المستشفى مع "منار" من والدها الذي أكتفى بكونه رئيس مجلس إدارة المستشفى.

شعر برغبة شديدة في الإستلقاء والنوم وبالفعل أسند رأسه على طرف مكتبه محاولاً نيل قسطاً من الراحة عندما دخلت "منار" الغرفة بكامل أناقتها المعهودة ومظهرها الذي يجعلها أقرب لعارضة أزياء وليس طبيبة. نادته عدة مرات حتى تنبه ورفع رأسه. قالت له:

- إيه يا دكتور؟ مفيش (calendar) قدامك ع المكتب؟ مشوفتش تاريخ اليوم؟

لم يفهم إلى ماذا تشير فرد عليها:

- مش واخد بالي ماله تاريخ اليوم؟

رسمت تعبيراً ينم عن الإستياء على وجهها وقالت له:

- النهاردة (الفلانتين) كل عيد حب وأنت طيب.

- عيد الحب؟ النهاردة؟ فكر "خالد" دون أن يرد متطلعاً لها في صمت.

تململت "منار" في وقفتها لما وجدته صامتا فجلست على المقعد الوثير الموجود في الجهة المقابلة من المكتب وقالت له:

- حاول تفضي نفسك بالليل بقى، "شاهيناز" عاملة بارتي وعزمتنا، وكمان فكر لي بقى في هدية حلوة ما هو ميبقاش (الفلانتين) ومتجبليش هدية ولا إيه؟

رد عليها ببرود:

- حاضر يا ستي أجيب لك الهدية اللي تحبيها لكن أعفيني من حفلات "شاهيناز". أنتي عارفة أنا بنام بدري وكمان مش بحب الجو ده. لو عايزة تروحي أنتي روحي أنا مش هقدر أعذريني.

بدا الإحباط الممزوج بإستياء عميق مرسوماً على وجهها وصاحت به:

- يعني أبقى متجوزة وأروح حفلة عيد الحب لوحدي؟ ده يصح برضة يا "خالد"؟

حافظ "خالد" على هدوئه وبروده القاتل وأجابها:

- يا "منار" قلت لك مش بحب الجو ده هروح غصب عني علشان تتمنظري بيا قدام صاحباتك؟

صدمها رده فواصلت القول بنفس الصوت المرتفع:

- أتمنظر بيك قدام صاحباتي؟ ده رد ده؟

شعر "خالد" أن ثمة شجار يلوح في الأفق كالعادة فقرر إنهاء هذا الموقف بأسرع وقت ممكن فهب واقفاً واتجه للحمام الملحق بالمكتب. سألته مندهشة وقد باغتها رد فعله:

- أنت رايح فين وسايبني أكلم نفسي؟

أجابها وهو يبتعد دون أن يلتفت لها:

- مش أنتي عايزة هدية؟ حاضر هروح أشتري لك هدية.

صفق باب الحمام خلفه بقوة في إشارة على إنهاء الحوار فغادرت "منار" المكتب أيضا وأغلقت الباب بعنف مماثل.

تأنق "خالد" بأفضل ما يكون وحرص على إستخدام ذات العطر القديم الذي أنتقته له "نوران" ذات مرة ومن وقتها لم يستعمل غيره أبدا. مر على محل ورود توقف عنده في طريقه ولفت إنتباهه بإهتمامه الشديد بتنسيق الورود بشكل فني وإبداعي وتناسق لوني ينم عن ذوق رفيع. أنتقى باقة من القرنفل الأحمر يفوح منها شذى ساحر ثم أتجه إلى وجهته.

كانت "نوران" في المنزل تنهي بعض العمل المتراكم لديها وكانت قد أخذت هذا اليوم أجازة من الجريدة لتكون برفقة "شيرين" طوال اليوم. كانت تهم بتغيير ملابسها والذهاب إلى "شيرين" عندما سمعت رنين هاتفها المحمول. أمسكته لترد ثم ألقته من يدها كالملسوعة، كان المتصل هو "خالد".

ظلت "نوران" تنظر للهاتف بتوتر شديد. وأنفاسها متلاحقة كأنما تجري في سباق طويل. أتصل عدة مرات لكنها لم ترد. كان ذلك عندما دق جرس البوابة الخارجية للمنزل. أختلط رنين هاتف المحمول مع رنين جرس بوابة المنزل. خرجت "نوران" بسرعة لترى من القادم ولو أنها شعرت بالفعل قبل أن تخرج للشرفة وبالفعل

كان "خالد" يقف أمام الباب ويمسك باقة القرنفل بيد وباليد الأخرى يمسك هاتفه المحمول ويتصل بها.

شعرت "نوران" بحالة من فقدان التوازن. ماذا يريد منها؟ ولماذا يعود دائماً لينشر الفوضى في حياتها؟ عادت للداخل وردت على الهاتف مكرهة كي يتوقف عن كل هذا الضجيج. سألته:

- عاوز إيه يا "خالد"؟ من فضلك أمشي أنا مش هقدر أفتح لك متنساش أني عايشة لوحدي عيب كده.

أجابها بسرعة:

- هو أنا هاكلك يا "نوران"؟ أبقي سيبي الباب مفتوح. أنزلي أفتحي لي لو سمحتي أنا عايز أتكلم معاكي.

ردت عليه وهي تحاول السيطرة على أعصابها المشدودة:

- قلت لك لا. أرجع مكان ما جيت وخد وردك معاك أنا قلت لك قبل كده مش بقبل هدايا من أغراب.

رد عليها "خالد" مصطنعاً بعض الإستنكار في نبرة صوته:

- مين قال إن ده هدية؟ ده بمناسبة إحياء ذكرى "رفيق الحريري" الفاتحة على روحه. تعالي معايا نروح سفارة لبنان سوا نديهم الورد ده إيه رأيك؟

إبتسمت رغما عنها لكلامه وأسلوبه لكنها قالت:

- "خالد" مش بهزر أمشي من فضلك وأخرج من حياتي خالص.

صمت ثواني وأنتظرت "نوران" أن ينهي المكالمة ويغادر لكنه ظل واقفاً مكانه وقال لها:

- مش همشي إلا لما تفتحي لي وأكلمك حتى لو فضلت واقف كده للصبح.

تذكرت "نوران" على الفور كلمته القديمة أنه يستطيع الحصول على ما يريد وكانت تعلم أنه من العناد بحيث قد ينفذ تهديده بالفعل ويظل واقفا أمام منزلها حتى تسمح له بالدخول.

قررت النزول لترى ماذا يريد وفكرت أن الأمر لن يزيد عن كونه زيارة سريعة ستؤكد له فيها على رغبتها أن يخرج من حياتها تماماً وألا يضايقها مجدداً وستترك باب الشقة مفتوحاً، ولا زال الوقت مبكراً وفي وضح النهار على كل حال.

نزلت له وما أن رآها حتى أطلق صفارة إعجاب وهو يتفحصها بشكل زاد إرتباكها وألقى بظلال الحمرة على وجنتيها. كانت ترتدي عباءة منزلية فضفاضة حمراء اللون وهي دوماً تبدو ساحرة في هذا اللون وقد تركت شعرها منسدلاً على كتفيها فتموج كشلال حريري من اللون البني اللامع في حين بدت عينيها كدائرتين ذهبيتين تحت أشعة الشمس الدافئة.

فتحت له بوابة المنزل ووقفت بجوارها إنتظاراً لدخوله. دخل "خالد" ونظر حوله بحزن وتأثر لما آل إليه حال الحديقة التي كانت عامرة بعبق الريحان والزهور المختلفة والآن أصبحت عبارة عن مساحتين من الرمال بينهما الممر المبلط المؤدي لسلم المنزل.

خمن أن والدها هو من كان يعتني بالحديقة وأن "نوران" أهملتها بعد وفاته وكان محقاً في ظنه.

صعدا السلم معاً حتى وصلا للشقة وتركت "نوران" الباب مفتوحا بالفعل وجلست على طرف أقرب مقعد للباب كي يعلم أنه غير مرحب به في المكان وتريده أن ينهي ما جاء للحديث عنه ويذهب سريعاً. قالت له:

- "خالد" من فضلك أنا مستعجلة علشان كنت على وشك الخروج. من فضلك هم كلمتين من الآخر ... طلعني من دماغك أرجوك وأطلع من حياتي. اللي بيننا أنتهى للأبد وأنت اللي نهيته بنفسك فمن فضلك أنا مش ناقصة وجع قلب.

تطلع لها بصمت وترك باقة القرنفل على المنضدة القريبة ثم قال لها:

- ممكن هدنة طيب يا أستاذة "نوران"؟ لو سمحتي محتاج أشرب قهوة ممكن؟

نظرت له بغيظ. هل أتى كل تلك المسافة ليشرب عندها قهوة؟ هل خلا منزله من البن مثلا أم أن بيتها هي أصبح مقهى عام الآن؟

لاحظ "خالد" تغير معالم وجهها والغضب البادي عليه فقال لها مبتسماً:

- اللي أعرفه أنكم صعايدة كرماء ولا أنا غلطان؟ ده مجرد فنجان قهوة يا "نورا" مش هاخد من وقتك كتير من فضلك.

تنهدت بإستسلام وأتجهت للمطبخ لتصنع له القهوة. ساد الصمت بينهما وعلا صوت المذياع الذي تعشق "نوران" الإستماع له وكانت يذيع منذ الصباح أغاني الحب دون إنقطاع، ومن سخرية القدر أن يصدح صوت "ماجدة الرومي" في تلك اللحظة "يسمعني حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات!"

كان التوتر قد بلغ مبلغه بها فتساقطت الأشياء من يديها في المطبخ وشعرت برغبة في الصراخ من شدة التوتر لكنها حاولت السيطرة على أعصابها. كانت تعبث في دولاب المطبخ العلوي بيديها بحثاً عن صينية ملائمة تضع عليها فنجان القهوة وقد وقفت على أطراف أصابعها لتحظى برؤية أفضل عندما شعرت بشيء ما خلفها ووصلت لأنفها رائحة العطر المميز لـ"خالد". ألتفت سريعاً بذعر لتجد نفسها بين ذراعيه ويبدو أنه تسلل للمطبخ خلسة دون أن تنتبه.

شعرت "نوران" بذعر خاصة لقربه الشديد منها إلى تلك الدرجة فلا يفصل بين وجهيهما سوى سنتيمترات قليلة. شعرت أيضا أن مقاومتها على وشك أن تخذلها، من غير العدل أبدا أن تكون على تلك الدرجة من القرب من "خالد"، ليس هنا وليس الآن، ليس بعد كل ما حدث. ظلت تتراجع وهو يقترب منها أكثر ويقربها إليه. صاحت فيه بذعر:

- أنت بتعمل إيه يا "خالد"؟! أنت مجنون؟!

أجابها بصوت هادئ وهو لا زال يحاول الإقتراب منها أكثر حتى شعرت بأنفاسه الحارة على شعرها:

- أكيد مجنون بيكي، ما أنتي عارفة من زمان.

شعرت بساقيها تتحولان لعودين من المكرونة المسلوقة وأنها على وشك الإنهيار. ردت عليه وقد بدا في صوتها بوضوح ملامح الذعر الممزوج بمشاعر متناقضة بين إقدام وإحجام ورغبة في أن يرحل عنها فورا وخوف من أن تخونها نفسها فترفع راية الإستسلام سريعاً:

- "خالد" أرجوك أمشي، أرجوك سيبني في حالي، أنت عندك حياتك دلوقتي أنت عايز مني إيه؟ أبعد عني الله يخليك.

لم يبتعد ولو خطوة بل واصل جذبها نحوه وهي تبتعد حتى وجدت أنها إلتصقت بالحائط تماماً و"خالد" يضمها إليه ويحاول إحتضانها بقوة ومال بشفتيه محاولاً الوصول لشفتيها أيضا.

كان ذلك فوق قدرتها على التحمل فأستجمعت قوتها بالكامل وسددت له ضربة قاسية بساقها في بطنه جعلته يشهق من الألم. أستغلت "نوران" تلك اللحظة الذهبية وجرت مسرعة للخارج. وقفت عند الباب وجسدها كله يرتجف ذعرا ورهبة وصاحت به:

- "خالد" أمشي حالاً، مش عايزة أشوف وشك تاني، كفاية عليا الألم اللي عشته بسببك أمشي حالاً.

كان "خالد" قد لحق بها عند باب الشقة المفتوح. نظر لها بصمت وهم بقول شيء ما ثم آثر الصمت وغادر في هدوء.

ما أن سمعت "نوران" صوت إغلاق بوابة المنزل حتى إنهارت على الأرض بجوار الباب المفتوح وأنخرطت في بكاء حار ولا زالت

"ماجدة الرومي" تشدو "يبني لي قصرا من وهم لا أسكن فيه سوى لحظات!"

نهضت على الفور وأفرغت توترها في المذياع فضغطت زره لتغلقه بعنف ثم وقع بصرها على باقة القرنفل فحملتها بعنف مماثل وألقت بها في سلة المهملات في المطبخ.

فسد يومها تماما بسبب "خالد". تكومت في مقعد الانتريه الوثير تبكي وتنتفض من تأثير ما حدث ولم تكن تعلم كيف ستواجه "شيرين" التي تنتظر منها أن تكون بجوارها في يومها المميز. كان من المستحيل بالنسبة لها أن تخذل صديقتها لذا قامت في نهاية الأمر من مكانها وقررت الإستعداد للذهاب إليها في مركز التجميل. نظرت لوجهها في مرآة الحمام فوجدت أن الشحوب علاه وأن عينيها منتفختين من أثر البكاء. حاولت قدر الإمكان إصلاح مظهرها العام وجرت قدميها جرأ لغرفتها كي تستبدل ملابسها وتذهب لـ"شيرين".

وصلت لمركز التجميل حيث كانت "شيرين" هناك بالفعل. ما أن رأتها حتى إرتسمت ملامح القلق على وجهها وقبل أن تبدأ بالإستجواب المعتاد أسكتتها "نوران" بعبارة حاسمة:

- أنا كويسة بس منمتش كويس وكنت بفكر في اللي جاي في التحقيق، متقلقيش اليوم يومك بلاش الوسواس اللي عندك ده يا "شيري" -ثم أقتربت منها وقبلتها في وجنتها وقالت لها- مبروك يا أجمل عروسة.

ثم إبتعدت بنظرها عن عيني "شيرين" خشية أن تقرأ فيهما توترها وألمها. مر الوقت سريعاً وكانت الفتاتان على أهبة الإستعداد عندما وصل والد "شيرين" بسيارته لإصطحابها للباخرة النيلية التي ترسو على (كورنيش الزمالك) وأختارتها "شيرين" مع "هشام" لإقامة حفل الخطوبة بها. لحقت بهما "نوران" بسيارتها وكان "هشام" واقفاً ينتظر "شيرين" أمام مدخل الباخرة ومعه والديه وشقيقه وفي الداخل كان حشد من زملاء "شيرين" و"هشام" بالجريدة وبعض الأقارب وبدا الجميع مبتهجين بشدة للعروسين.

بدت "شيرين" متألقة بشكل رائع في تلك الليلة ولا تذكر "نوران" أنها رأتها يوماً بتلك السعادة التي انعكس بريقها على ملامحها وزادها بهاء. إرتدت "شيرين" فستاناً بسيطاً باللون البنفسجي الفاتح الهاديء وحجاب صغير بنفس اللون موشى بخيوط فضية رقيقة في حين بدا "هشام" شديد الوسامة في بذلة رمادية اللون وبدا كلاهما ثنائي رائع كأجمل ما يكون.

أنست الفرحة "نوران" مؤقتاً ما حدث لها منذ ساعات وحاولت أن ترسم على وجهها إبتسامة دائمة كي لا تثير قلق "شيرين" التي كانت تتابعها بعينيها في صمت وهي تتنقل كفراشة نشيطة بين ضيوف الحفل وتقوم بكل واجباتها كشقيقة العروس.

كانت جالسة على نفس المائدة مع والد "شيرين" وشقيقيها وخطيبة "شريف" عندما لمحت "ماجد" يقف عند مدخل الباخرة متطلعاً للداخل بعينين تبحثان عن شخص بعينه، وما أن وقعت عينيه عليها حتى أتسعت إبتسامته وأتجه إليها بخطوات واسعة.

بدت المفاجأة لرؤيته على وجهها. لم تكن تعلم أن "شيرين" قامت بدعوته. صافحها مبتسماً ولاحظ أن تلك هي أول مرة يراها بمساحيق تجميل برغم أنها إستخدمت البسيط جداً منها لكنها أبرزت جمال ملامحها. كانت ترتدي فستاناً يصل طوله حتى منتصف ساقيها بلون السماء الصافية يحده عند خصرها حزام فضي رفيع وينسدل بتناسق تام على جسدها الجميل مع حذاء بكعب مرتفع ورفيع بنفس لون الحزام ورفعت شعرها فوق رأسها وزينته بزهور ماسية صغيرة مما جعلها تبدو كأميرة أسطورية ساحرة خرجت للتو من كتاب للحكايات الخرافية.

صافحته بهدوء وبدا الخجل مرتسماً على ملامحها لما لاحظت نظرات الإعجاب التي يصوبها نحوها ولم يحاول إخفائها. عرفته على والد "شيرين" وشقيقيها وأتت "شيرين" مسرعة ومعها "هشام" للترحيب به.

نظرت "نوران" لها نظرة عتاب جانبية لأنها لم تخبرها بقدوم "ماجد" فردت عليها "شيرين" بنظرة خبيثة تدرك "نوران" معناها جيدا فبادلتها نظرة تحمل بوضوح معنى (هنتفاهم بعدين).

جلس "ماجد" على نفس الطاولة مع أسرة "شيرين" و"نوران" ومال عليها وهو يهمس لها:

- عقبالك يا "نور".

تخضب وجهها بحمرة الخجل وهي تشكره. كان الشخص الوحيد في العالم الذي يناديها "نور" وكانت تحب جدا أن تسمع هذا الإسم منه وكأنما ينطقه بمخارج حروف لا مثيل لها في العالم بأسره.

سرها وجوده وأنشغلت بالحديث معه في أمور شتى وناقشها في نقدها لروايته الأخيرة (حلم زهرة اللوتس) التي كانت "نوران" تعتبرها تتويجاً لإنتاجه الأدبي المميز وكانت تلك الرواية تحديداً تفتح النار مباشرة على مكامن الفساد في (مصر) وأثارت ردود أفعال قوية فور نشرها. وبرغم محاولة "نوران" بكل جهدها أن تطرد توترها وإنزعاجها بعذ زيارة "خالد" المفاجئة لها في المنزل لكن "ماجد" لاحظ ببساطة أنها ليست على ما يرام وليست في حالة طبيعية أيضا. سألها مباشرة:

- مالك يا "نور"؟ في حاجة مضايقاكي؟ أنا ملاحظ من فترة طويلة أنك متغيرة بس أنتي قلتي لي إنك مشغولة بتحقيق مهم هو ده السبب؟ بصراحة أنا أشك في كده لأن حتى لو التحقيق شاغل بالك قوي أكيد مش هيعكر صفو فرحتك بـ"شيرين" النهاردة كمان .بصي أنا مش بتطفل عليكي بجد بس فعلا قلقان.

شعرت "نوران" بذهول من قدرة "ماجد" على قراءة ما بداخلها مهما حاولت إخفاءه. كانت تريد أن تخبره ولو من باب الفضفضة. لم تكن ستتحمل كتم ما حدث داخلها طويلاً، كانت تريد أيضا وجود من يفكر معها ويرشدها لكيفية التصرف والخروج من دوامة "خالد" التي أبتلعت ولا زالت تبتلع حياتها. لم تكن تعتزم إخبار "شيرين" بما حدث أبداً على الأقل ليس الآن كي لا تفسد فرحتها. شعرت بارتياح لأن "ماجد" لاحظ تغيرها وسألها عن السبب. قررت أن تخبره وتسأله المشورة فهو يعلم الموضوع كله الآن.

أستأذنت والد "شيرين" وطلبت من "ماجد" أن يرافقها لخارج القاعة بحيث يمكن لهما الحديث بعيدا عن ضجيج الموسيقى. لمحت بجانب عينها "شيرين" تنظر لها مبتسمة إبتسامة ذات مغزى وهي تخرج مع "ماجد" من القاعة. إبتسمت بسخرية، لو أنك فقط تعلمين حقيقة الأمر يا "شيرين"!

جلسا في الساحة الخارجية على سطح الباخرة ولفهما نسيم الليل البارد. ارتجفت "نوران" ولفت ذراعيها حول جسدها، لم يكن البرد هو السبب وإنما التوتر الشديد. لاحظ "ماجد" ذلك وشجعها على الكلام بهدوء وقال لها:

- "نور" أنتي بخير؟ في حاجة حصلت وسببت لك انزعاج شديد أنا حاسس بكده. أنا مش هجبرك على الكلام طبعا لو مش حابة بس أتمنى تثقي فيا وتقولي لي جايز يكون لي رأي يساعدك.

نظرت له بعينين بدا فيهما بوضوح بريق دموع حبيسة وقالت بخفوت:

- امممممم النهاردة الظهر أنا كنت في البيت وكنت لسه بستعد للخروج و"خالد" جه.

شعر "ماجد" بيد باردة تعتصر قلبه لكنه رسم قناعاً من برود وهدوء على وجهه وسألها:

- اه، كان عايز إيه؟

أجابته بصوت مرتجف:

- معرفش كان جايب لي ورد تقريباً علشان (الفلانتين) -وإبتسمت إبتسامة مريرة-.

سألها بصوت عجز عن إخفاء الغضب فيه:

- وأتكلمتوا فين بقى؟ في البيت عندك؟

سيطر على "نوران" شعور الطفل المذنب الذي ضبطه والده متلبساً بإرتكاب الخطأ وسارعت بالرد الذي جاء دفاعيا بدرجة كبيرة:

- والله أنا مردتش عليه لما أتصل وبعدين سمعت جرس الباب بيرن ولقيته هو، أضطريت أرد ساعتها لأنه كان بيرن جرس الباب بشكل متصل وخوفت الجيران ياخدوا بالهم وأبقى حديث الساعة. رديت عليه وقلت له يمشي مرضيش يمشي وفضل واقف مدة طويلة جدا وفي الآخر نزلت فتحت له، ومكنتش عايزاه يطلع والله يا "ماجد" هو أصر مقدرتش أمنعه. طلب مني أعمل له قهوة بس هو مطولش مشي على طول. أنا مش عاوزة أشوفه تاني ولا عاوزة يكون لي علاقة به خالص صدقني.

كانت الدموع تنساب على وجهها لكن "ماجد" بدا شديد القسوة على غير عادته وسألها بصوت بارد بشكل زاد إرتجافة جسدها من قسوته:

- شرب قهوته ومشي يعني ولا قالك إيه؟

حاولت مسح دموعها بيديها عبثا وهي تجيبه:

- لا حتى القهوة مشربهاش أنا إتخانقت معاه وطردته وطلبت منه يخرج من حياتي ومشي.

ظل "ماجد" على قسوته وقال لها بذات الصوت البارد:

- "نوران"، محدش هيقدر يفضل في حياتك غصب عنك فاهماني؟ أنتي لوحدك تملكي تصديه وتبعديه لكنك للأسف مش قادرة، يمكن كمان تكوني مش عاوزة.

ظهرت معالم الصدمة على وجهها بسبب كلامه وقسوته في الرد عليها وقالت له:

- لا لا أرجوك أفهمني يا "ماجد" أنا فعلا مش عايزاه ونفسي ينساني ويبعد عني. والله أنا بعيدة خالص عنه، أنا عمري ما هقدر أنسى اللي عمله فيا. أنا بعيدة هو اللي مش عايز يسيبني في حالي.

بدا الإنفعال واضحا على وجهه وقال لها بصوت تسلل له الغضب:

- أنا فعلا معنديش كلام تاني أقوله. أنتي لوحدك تقدري تبعديه عنك محدش يقدر يفرض نفسه عليكي بالقوة. وخليكي فاكرة حاجة مهمة جدا لأن واضح أنك ناسياها ... "خالد" دلوقتي رجل متزوج فاهمة يعني إيه؟ متخيلة انك استقبلتي في بيتك وأنتي عايشة لوحدك رجل غريب ومتزوج كمان؟

شعرت "نوران" بذعر شديد لما تخيلت الوضع كما وصفه "ماجد" الذي لم تجرؤ بالطبع على مصارحته بما حاول "خالد" أن يفعله عندما زارها وقالت له:

- صدقني أنا مفكرتش في الموضوع كده خالص، أنا والله أضطريت أسمح له بالدخول لأنه كان هيعمل لي دوشة في الحي كله.

كان الغضب قد بلغ مداه من "ماجد" وهتف بها:

- يعمل لك دوشة في الحي كله؟؟ وهو لما سمحتي لراجل غريب يدخل بيتك ده، ميعملش دوشة في الحي كله؟ أنتي فعلا مفكرتيش في الموضوع كده خالص أنتي مفكرتيش أصلا. مشاعرك بتعميكي وبتخليكي تغلطي وتعملي تصرفات ميصحش تصدر عنك أبدا. راجعي نفسك، أنتي لوحدك اللي تقدري تصديه وتبعديه وده آخر كلام عندي ليكي. من فضلك اعتذري لـ"شيرين" و"هشام" أنا لازم أمشي دلوقتي علشان مشغول.

غادر "ماجد" وتركها دون أن يمنحها حتى فرصة الرد عليه. ظلت "نوران" واقفة مكانها وعلى وجهها إرتسمت معالم الحزن الممتزج بالألم. هل يكون محقا؟ .هل هي حقا تملك إبعاد "خالد" عنها لكنها لا تفعل؟ هل لا زال بداخلها ما يجعلها تشتاق له؟ مستحيل أن يكون هذا صحيحا. ما الذي دهاها؟ هل نسيت ما فعله بها؟ هل نسعى دوما إراديا أو لا إراديا لما لا نستطيع إمتلاكه؟ لماذا تشعر بكل هذا الألم بسبب قصة أنتهت تماما، أم أنها لم تتم فصولاً بعد؟ وإلى متى ستظل حياتها تدور في فلك "خالد"؟

بدأ الصداع يجتاح رأسها وينهال دون رحمة بمطارقه على عقلها المنهك. عادت متثاقلة إلى القاعة وكانت هي أيضا تود المغادرة،.رسمت أفضل إبتسامة ممكنة على وجهها وذهبت

لـ"شيرين" و"هشام" مباشرة متصنعة المرح في حوارها معهما ثم إستأذنتهما أن تعود للمنزل لأنها بدأت تشعر بتعب.

عادت لمنزلها وحاولت الإتصال بـ"ماجد" للمرة العشرين تقريبا وهو لا يرد عليها مما أضاف المزيد من الحزن لأحزانها المتراكمة. فتحت اللاب توب وأرسلت له رسالة على (الفيس بوك) أيضاً وظلت طيلة الليل تنتظر رده لكنه لم يظهر على (الفيس بوك) ولم يقرأ الرسالة.

شعرت بألم شديد. أتراها فقدته للأبد؟ كان يبدو غاضباً ومنفعلاً بشدة عندما أخبرته بزيارة "خالد" ورحل قبل أن يترك لها الفرصة للرد. شعرت أنه بالغ في قسوته عليها بطريقة جعلتها تستغرب كل هذا الغضب الذي بدا واضحاً في كلماته وردود أفعاله.

واصلت يائسة محاولة الإتصال به لكنه لم يرد أبداً ثم لم تجد أي رد سوى الرسالة المسجلة...

(الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقا).

لم تنم ليلتها. حاولت بكل الطرق الوصول إلى "ماجد" لكنها فشلت. كانت تشعر أنها مذنبة أمامه ولم تكن تدري على وجه الدقة سبب هذا الإحساس الغريب. أرادت أن تجعله يستمع لها ويمنحها فرصة الدفاع عن نفسها.

خرجت لعملها مبكراً في اليوم التالي ووصلت قبل "هشام" و"شيرين" للجريدة. عاودت الإتصال مجدداً بـ"ماجد" وتنهدت

بإرتياح لما سمعت رنين الهاتف وعلمت أنه فتحه مجدداً وظلت تدعو الله أن يرد عليها.

جاءها الرد لكن ليس بصوت "ماجد". سمعت صوت أنثوياً يقول بهدوء:

- ألو؟

نظرت للهاتف بدهشة ثم وضعته على أذنها مرة أخرى وقالت بتردد:

- ألو، مش ده موبايل الأستاذ "ماجد الدمنهوري" من فضلك؟

أجابها الصوت:

- أيوة ده تليفونه مين حضرتك؟

شعرت بدهشة وتساءلت من تلك التي ردت عليها؟ هي تعلم أن "ماجد" يعيش بمفرده. قالت لها:

- أنا "نوران نبيل" محررة صفحة أدبية، ممكن أكلم الأستاذ "ماجد" من فضلك؟

أجابتها صاحبة الصوت بنبرة بدا فيها الحزن ممزوجاً بالقلق:

- أيا كان سبب إتصال حضرتك هو مش هيقدر يرد عليكي دلوقتي لأنه تعبان شوية في المستشفى.

شعرت كأنما سقط على رأسها نيزكاً مباغتاً من صدمة الخبر وهتفت بصاحبة الصوت:

- مستشفى؟؟ خير كفى الله الشر ماله؟

ساد الصمت لثواني قبل أن تسألها صاحبة الصوت:

- أنتي تعرفي "ماجد"؟ أنتي متصلة تاخدي خبر تنشريه عندك في الجريدة ولا إيه حكايتك؟

ردت عليها "نوران" بسرعة وهي تحاول تلفيق كذبة منطقية لأنها لا تعلم من تلك التي ردت عليها ولا مدى علاقتها بـ"ماجد":

- لا لا مش هنشر أي خبر أوعد حضرتك. أنا ... أنا كنت متصلة أسأله عن حاجات خاصة بروايته الجديدة. ألف سلامة عليه لما يتعافى هعاود الإتصال به، بس ممكن حضرتك تقولي لي هو في مستشفى إيه؟ يعني نقوم بالواجب وصدقيني أعدك مفيش كلمة هتتسرب للصحافة لو كانت دي رغبة حضرتك.

ردت عليها صاحبة الصوت بهدوء:

- بصي أنا قلبي بيقول لي الموضوع مش موضوع أسئلة عن روايته الجديدة، أنا حسيت بمدى القلق في صوتك واضح أنك تعرفي أخويا كويس. هو في (المستشفى الدولي) عارفاها؟ لو تحبي مواعيد الزيارة الساعة 4 بس الزيارة لسه ممنوعة عنه إنما تقدري تيجي أنا عايزة أتعرف عليكي وهو إن شاء الله هيبقى بخير الدكاترة طمنوني وقريب هيسمحوا له بالزيارة. قدر ولطف.

تنهدت بإرتياح لما سمعت كلمة "أخويا" وسط كلامها. سألتها عما حدث وتسبب له في تلك الوعكة الصحية فأخبرتها أنها لا تعلم شيئا سوى إتصاله بها بعد منتصف الليل وبدا صوته كأنه يختنق

قال كلمة واحدة (ألحقيني) ثم غاب صوته تماماً وسمعت صوت إرتطام بالأرض. هرعت له هي وزوجها فوجدوه ملقى على الأرض غائب عن الوعي في شقته سارعوا بالإتصال بالإسعاف ونقلوه للمستشفى وقال لهم الأطباء إنه تعرض لأزمة قلبية لكن حالته مستقرة إلى حد ما.

شحب وجه "نوران" وشعرت أنها السبب المباشر فيما حدث له وغمرها إحساس عميق بالذنب. أنهت المكالمة مع شقيقته ووعدتها أن تظل على تواصل معها لمعرفة حالته الصحية وأن تزوره عندما تسمح حالته بذلك.

إنتبهت بعد إنهاء المكالمة إلى أن شقيقة "ماجد" أيضا مثل "شيرين" تظن أن علاقة ما تربطها بـ"ماجد". إرتسمت إبتسامة مريرة على شفتيها، ماذا لو علمت أنها هي سبب مرضه؟

حاولت التركيز في عملها لكنها عجزت وظلت شاردة الذهن يعتصرها القلق على "ماجد". حمدت الله في سرها أن "هشام" و"شيرين" لم يذهبا للعمل في هذا اليوم. أتصلت بها "شيرين" وأخبرتها أنهما سيأخذان اليوم عطلة من العمل وستتناول أسرتها الغداء في منزل "هشام" حيث دعتهما والدته لقضاء اليوم معهم قبل سفرها هي ووالده. كانت "نوران" في حالة لا تسمح لها بأي تواصل مع أي شخص ولا تحمل نظرات "شيرين" المتفحصة وعينيها المليئتان بالتساؤلات. إتصلت عدة مرات بشقيقة "ماجد" وسألتها عن حالته وعلمت أنه في تحسن مستمر وأخبرتها أنها من الممكن أن تزوره في الغد إن شاءت وكانت "نوران" تود ذلك بشدة بالطبع ووعدتها بزيارته في اليوم التالي.

عادت للمنزل بعد يوم مزعج بالنسبة لها ما بين محاولة التركيز في العمل وتحمل مضايقات "رضا البحراوي" وإستفزازاته وقلقها على "ماجد" وإحساسها بالذنب تجاهه والتحقيق الذي لم تصل فيه لدليل ملموس يدعمه حتى الآن ولم تناقش "هشام" فيما توصل له بعد. قررت أن يكون أول شيء تفعله في الصباح الإتصال به ومعرفة ما لديه ثم تذهب لاحقا لزيارة "ماجد" وخطر لها خاطر مزعج: هل من الممكن أن يرفض زيارتها؟ سارعت بطرد تلك الفكرة من ذهنها. تعجبت جدا لحالها حيث شعرت بإفتقاده بشدة وأن العالم قد خلا من حولها بغيابه، هل هو الإعتياد على وجوده في حياتها أم هناك شئ آخر لا تدركه ولا تفهمه في نفسها؟

إستيقظت بعد الفجر بقليل بعد ليلة من النوم المضطرب المتقطع الحافل بالكوابيس. كانت تشعر بإرهاق شديد ورغبة في الاسترخاء والراحة وبدت تلك أمنية بعيدة المنال لها.

شعرت أن من المستحيل العودة للنوم مجدداً وهي على تلك الحالة من التعب والتوتر. قامت من فراشها وسمعت صوت قطرات مياه تتساقط. أصغت السمع وتتبعت الصوت فوجدت أن هناك أمطار. أشعرها ذلك ببهجة طفولية فأعدت لنفسها كوب من الشاي وتدثرت بروب منزلي صوفي وخرجت للشرفة مستمتعة بأول خيوط النهار ورائحة المطر والهواء البكر المغسول.

ساهم ذلك في تحسين حالتها المزاجية بدرجة كبيرة وظلت في الشرفة حتى الساعة السابعة والنصف تقريباً. توقفت الأمطار وبدأت الشمس تتسلل بخجل من خلف السحب الرمادية. نهضت "نوران" ودخلت غرفتها، غيرت ملابسها وخرجت لعملها.

كان لمراقبة المطر والشروق تأثير السحر على "نوران" حيث شعرت بصفاء نفسي كانت تتوق له وخف توترها كثيراً.

وصلت للجريدة ووصل "هشام" و"شيرين" بعدها بقليل. حيتهما بإبتسامة وكانت تشعر بإفتقادهما بالفعل في اليوم السابق. بعد أن تناولوا شاي الصباح سويا كعادتهم أخبرها "هشام" بنتيجة مراقبته للفيلا المشبوهة والمنطقة حولها والشاحنة حتى وصل إلى المفاجأة الصادمة عندما أخبرها بتعرفه على الدكتور "طارق" زميل شقيقه سابقا والذي لا زال يعمل في (مستشفى المنار). شحب وجهها تماما عندما علمت ذلك وقالت بتوتر:

- من دون مستشفيات (مصر) كلها ما أصادفش في تحقيقي إلا المستشفى دي؟؟

تبادل "هشام" نظرة متوترة مع "شيرين"، كان كلاهما يعلم جيدا مدى حساسية "نوران" تجاه أي شيء له صلة بـ"خالد". وشعرت هي بنظرات شفقة تطل من عيونهما وهو ما أثار إستياء شديد داخلها. أنبت نفسها في صمت وقررت أن تتجاوز مشاعرها الشخصية وتركز على عملها. سألت "هشام":

- طيب السؤال المهم دلوقتي يا "هشام" ... هل "طارق" ده بيشتغل لحسابه ولا لحساب المستشفى؟ خلي بالك ده هيفرق جدا أنت عارف أن صاحب المستشفى يبقى "أنيس زهران"، أظن ده يخلي كل شيء يختلف تماماً، إحنا كده مش بنواجه عصابات سرقة أعضاء لا ده إحنا بنواجه فساد على أعلى المستويات في الدولة. أنت عرفت أنه كان مرشح وزير صحة من مدة بس

إستبعدوه علشان صديق قديم للرئيس وعسكري سابق كمان، غالبا علشان محدش يطلع يقول الرئيس بيجامل أصدقائه وبيمسكهم مناصب في الدولة. بس ده برضة لا يمنع أن الأمور كده بتتعقد جدا.

وافقها "هشام" في وجهة نظرها تماما وأخبرها أيضا أنه تحدث إلى شقيقه "هاني" وحاول معرفة سبب إستقالته من المستشفى بشكل فجائي بعد أن كان يرى أنه حصل على فرصة عمره بالعمل في هذا المستشفى الشهير. قال إنه ظل يلح عليه حتى أخبره أنه لاحظ أمور مريبة في المستشفى ومعظم التحاليل التي كان يجريها كانت خاصة بعمليات زرع أعضاء وهو ما أثار شكوكه لكثرتها. ولاحظ أن تلك التقارير لا يتم تدوينها ضمن قاعدة البيانات الخاصة بالمستشفى وإنما في قاعدة بيانات خاصة لها إجراءات تأمين إلكتروني شديدة التعقيد وحتى هو نفسه طبيب التحاليل المختص لا يعلم كلمة السر الخاصة بالدخول على هذا النظام.

أكمل "هشام" إطلاعهما على ما لديه من معلومات وقال:

- ولما سألته ليه مبلغتش الشرطة بشكوكك دي بعد إستقالتك ضحك وقالي أنت عارف المستشفى دي بتاعة مين؟ كمان أبلغ الشرطة أقول إيه؟ أنا معنديش دليل يثبت صحة كلامي كلها شكوك وملاحظات.

صمتت "نوران" مفكرة في الأمر ثم قالت:

- عارف يا "هشام"، إحنا محتاجين ندخل الفيلا دي. أنا متأكدة أننا هنلاقي جواها الأدلة اللي محتاجينها. كده يبقى فاضل

"حسان فرج" ضروري نكشف الصلة اللي بتربطه بـ"طارق" وعلاقتهم هم الإتنين بالمستشفى نفسها لو لهم علاقة ومش شغالين مع بعض ولحسابهم.

أجابها بجدية:

- أنا فعلا كنت بفكر في الطريقة والوقت المناسبين لدخول الفيلا وكمان في حاجة تانية عايز أعرفها. المشوار الأسبوعي للعربية الغامضة اللي بتطلع للصحراوي وبعدها بفترة بترجع تاني للدائري في إتجاه الرجوع للقاهرة.

نقلت "شيرين" عينيها بنظرات قلقة بين "هشام" و"نوران" وهتفت بهما وهي مبهورة الأنفاس:

- إيه منك لها؟ أنتوا ناويين على إيه؟ أنا مش هسيبكم تعرضوا نفسكم للخطر، الطريق ده نهايته وحشة أنتوا بتواجهوا غيلان وإحنا طلعنا ولا نزلنا من ولاد البطة السودا في البلد دي ومحدش هيسمي علينا لما نروح في داهية.

كانت "نوران" تعلم جيداً مدى قلق "شيرين" عليها وعلى "هشام"، إبتسمت وأتجهت لها وأحاطتها بذراعيها وقالت لها في محاولة لبث الهدوء في نفسها:

- ربنا هو الحافظ يا "شيري" وأنا أقسمت بالله وبرحمة بابا أني مش هسيب التحقيق ده إلا لما أفضح الناس دي وأشوفهم في السجن أو على حبل المشنقة. -ثم نظرت لـ"هشام" وقالت- للمرة الأخيرة يا "هشام" بقولك أنت مش مضطر تكمل معايا ده

تحقيقي أنا من الأول وأنا اللي متحملة مسؤوليته بالكامل وأي خطورة مستعدة لها. -وإبتسمت وأضافت- أنا معنديش حاجة أخاف عليها. إنما أنت قدامك حياتك مع "شيرين". أرجوك دلوقتي فرصتك متكملش وشكرا جدا على كل اللي عملته لحد دلوقتي، بفضلك قدرنا نحل ألغاز كتير قوي في القضية دي.

ظل وجه "هشام" جاداً وقال بنبرة حاسمة:

- "نوران" إحنا سوا في التحقيق ده لحد النهاية. أنا كمان بعد كل اللي عرفناه ده وبعد ما شوفنا "عبد الرحمن" والناس اللي زيه عايشين أزاي الموضوع بقى بالنسبة لي تار بيني وبين المجرمين دول، لو سمحتي آخر مرة تقولي الكلام ده أنا مكمل معاكي. -وألتفت إلى "شيرين" وقال لها- وأنتي يا "شيرين" ممكن تخفي القلق شوية؟ أحنا صحفيين صح؟ ودورنا إيه طالما قبلنا نشتغل في المهنة دي؟ أننا نكشف الحقائق للناس ونحارب أي فساد مهما كان كبير أو خطير. ربنا هو الحافظ زي ما قالت "نوران" وإن كانت هي البنت مش خايفة ومكملة عايزاني أنا الراجل أكش وأقول لا مش لاعب؟

بدا الإرتباك على وجه "شيرين" وتلعثمت وهي تقول:

- يا "هشام" مش كده طبعا أنا خايفة عليكم أنتوا الاتنين ومن حقي أخاف الموضوع مش سهل أبداً. عموما مقدرش أقول حاجة غير ربنا يحفظكم إنتبهوا لأنفسكم كويس علشان خاطري.

إتفقت "نوران" مع "هشام" على لقاء في المساء لترتيب كيفية دخول الفيلا والموعد المناسب لذلك. غادر "هشام" بعدها ليعود

لتقمص شخصيته كـ"حسن الصعيدي" وكان قد أخبر عم "جاد الله" أنه مسافر للصعيد يومين لزيارة والدته ليبرر إختفائه يومين كاملين. أنهت "نوران" عملها أيضا وأخبرت "شيرين" أنها ستغادر مبكراً لأن لديها مشوار هام ولم تخبرها بما حدث لـ"ماجد" بناء على توصيات شقيقته بكتمان مسألة مرضه.

مرت في طريقها للمستشفى بمحل لبيع الورود وقامت بإنتقاء باقة جميلة من الورود الحمراء والبيضاء الطبيعية وأشرفت على تنسيقها بنفسها في المحل.

وصلت المستشفى وسألت عنه وعلمت أنه خرج من العناية المركزة صباح اليوم لغرفة عادية بعد تحسن حالته وإستقرارها. إتجهت للغرفة بخطوات مترددة حيث لم تكن تعلم ما هي ردة فعله لرؤيتها. لم تكن شقيقته هناك وهو ما أثار الإرتياح في نفسها حيث لم تكن مهيأة نفسيا للقائها وتحمل نظراتها الفضولية وإستجوابها لها حول علاقتها بـ"ماجد" وهو ما أستشعرته عندما حدثتها في الهاتف.

طرقت باب الغرفة ففتحت لها ممرضة بالمستشفى تمسك في يدها تقرير طبي ويبدو أنها كانت تمر للإطمئنان على "ماجد" عندما وصلت "نوران"، إبتسمت لها وقالت:

- أتفضلي حضرتك جاية زيارة للأستاذ "ماجد"؟ حظك كويس هو صاحي وأتحسن جداً الحمد لله، قدر ولطف إحنا كنا فين؟

شكرتها ودخلت بخطوات بطيئة مرتبكة. شعرت بقلبها يغوص في صدرها وهي ترى "ماجد" على فراش المرض وقد بدا شاحب

الوجه تماماً وتهدلت خصلات شعره الرمادية دون إنتظام بشكل عفوي، أعتدل في الفراش عندما لمحها وبدا أنه كان في إنتظارها. بادرته بالقول:

- م مساء الخير يا "ماجد". حمد لله على السلامة.

رد عليها بهدوء ممتزج بإعياء المرض:

- الله يسلمك، شكرا مكنش في داعي تتعبي نفسك. "منى" قالت لي إنك إتصلتي كذا مرة وأنك كنتي قلقانة جداً.

- أنا فعلا كنت هموت من القلق إتصلت بك كتير جداً وأنت مكنتش بترد لحد ما هي ردت وعرفت منها اللي حصل. -ظل صامتا فأكملت- أنا آسفة قوي يا "ماجد" سامحني أرجوك أنا السبب، أنا...

قاطعها بإشارة من يده وقال لها:

- آسفة على إيه؟ كله مقدر ومكتوب والحمد لله على كل حال.

شعرت أنه لا زال منزعجاً منها بسبب ردوده المقتضبة المختصرة فقررت أن تنقل لأمر آخر هام. سألته:

- أنت حاسس أنك أفضل دلوقتي؟

أجابها مبتسما:

- الحمد لله أنا بخير متقلقيش. كمان لو كنت لسه في خطر مكنتش خرجت من العناية، كلها يومين وأخرج إن شاء الله.

تنهدت بإرتياح وقالت:

- الحمد لله رب العالمين، ربنا يحفظك من كل سوء. "ماجد" عايزة أحكي لك على حاجة خاصة بالشغل ممكن؟

بدا الإهتمام على وجه "ماجد" وقال لها:

- خير يا "نوران"؟ احكي طبعا.

بدا الحزن على وجهها لأنه خاطبها بـ"نوران" وليس "نور" كعادته وشعرت أنه يضع حاجز رسمي بينه وبينها، لكنها قررت أن تركز على الأهم الآن. حكت له بإيجاز عن التحقيق الذي بدأته مع "هشام" وكل ما توصلوا له حتى وصلت لنقطة إكتشاف "هشام" أن الطبيب الغامض الذي يملك الفيلا المشبوهة والذي يقوم على الأرجح بعمليات سرقة الأعضاء يعمل في (مستشفى المنار).

مط "ماجد" شفتيه وقال لها:

- وإيه يعني؟ يكش يكون وزير الصحة نفسه. دورك هو فضح الفساد أيا كان مصدره وطالما قررتي تعملي التحقيق ده يبقى لازم تكشفي كل المتورطين في الكارثة دي لو هم مين.

صمتت "نوران" ثواني بدا فيها التردد واضحاً على وجهها ثم قالت في النهاية:

- هو بالإضافة لكون المستشفى دي بتاعة "أنيس زهران" في حاجة تانية كمان.

بدا العبوس على وجه "ماجد" وقال بإختصار:

- عارف يا "نوران" اللي بتفكري فيه. "خالد" متجوز بنت "أنيس زهران" وهو حاليا اللي بيدير المستشفى مع مراته. يعني لو تبين تورط المستشفى في الموضوع ده وأن "طارق" بيشتغل لحساب المستشفى ومش لحسابه وده بصراحة ظني.. الموضوع هيبقى في وش "خالد" مباشرة مع مراته وحماه كمان.

نظرت له وبدا الإرتباك واضح على وجهها. كان ذلك ما تفكر فيه بالضبط ولم تبح به لـ"هشام" و"شيرين". كانت تشعر أن "ماجد" هو الوحيد الذي يمكنها أن تبوح له بمخاوفها وها هو يصارحها بتلك المخاوف قبل أن تعلنها له. قالت بخفوت:

- مش كده والله يا "ماجد" بس أنت متخيل الوضع هيبقى أزاي؟ لو الموضوع ده كله بيتم بتدبير من المستشفى وأن "طارق" بيشتغل لحسابهم "خالد" هيفتكر إني عملت كده علشان أنتقم منه.

مرر "ماجد" يده على شعره بتوتر وبدأت أنفاسه تتسارع. خشيت أن يعاوده التعب ووقفت بذعر وهي تقول له:

- "ماجد" أنا آسفة والله آسفة قوي أرجوك اهدأ أنا مش قصدي أنرفزك أنا آسفة. يا ربي! ليه بس دايما بخرب كل حاجة كده.

هدأ قليلا ثم أشار لها لتجلس وقال:

- متخافيش أنا كويس أقعدي من فضلك أنا بخير.

جلست مجدداً وبدا الذعر على وجهها فإبتسم "ماجد" بشحوب وقال لها:

- يا بنتي والله أنا كويس أهدي أنتي. بصي يا "نوران" الأهم عندك إيه؟ الناس تعرف الحقيقة وأن الفاسد ياخد جزاءه ونحمي الناس من شره ولا صورتك عند "خالد" هتبقى إيه؟ نفترض أنه فهم الأمر على أنه إنتقام شخصي يهمك في إيه؟ لو هو متورط يبقى يستاهل أشد العقاب ولو هو بريء وملهوش علاقة يبقى مش هيكون في حاجة تدينه. وفي جميع الأحوال بيتهيأ لي أنت لا يعنيكي هو هيظن إيه فيكي. سبق وقلت لك ده رجل متزوج دلوقتي وله حياته والمفروض انه ملهوش علاقة بيكي خالص ولا أنا غلطان؟

هزت رأسها وقالت له:

- أنت عندك حق في كل كلمة قلتها.

إبتسم وقال لها:

- خلاص يبقى توكلي على الله وكملي اللي بدأتيه مع "هشام" وربنا يقدركم وتكونوا سبب لإنقاذ غلابة كتير من مصير أسود أترسم لهم علشان هم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة وفقرهم ذلهم للدرجة البشعة دي.

وعدته أن تكمل التحقيق للنهاية وأن تطلعه دوما على كل المستجدات. بقيت معه برهة من الوقت ثم أستعدت للمغادرة، ناداها وهي عند باب الغرفة... "نور".

إبتسمت بإرتياح لما ناداها بهذا الإسم المحبب وألتفتت له متسائلة فقال لها:

- خلي بالك من نفسك وطمنيني عليكي دايما.

أجابته بذات الإبتسامة:

- حاضر، وأنت كمان ويلا بقى علشان تقوم بالسلامة وترجع لبرنامجك وقراءك بسرعة.

أجابها مبتسماً:

- إن شاء الله.

غادرت "نوران" وهي تشعر بإرتياح شديد لا ينتابها دائما إلا بعد كل مرة تقابل فيها "ماجد" أو تتحدث معه.

*****

(10)

مر أسبوع على الزيارة التي قامت بها "نوران" لـ"ماجد" في المستشفى. غادر "ماجد" المستشفى بعد يومين من زيارتها وتماثله للشفاء لكنه لم يعاود الإتصال بها. لاحظت أيضا أنه لم يعد يراسلها على (الفيس بوك) ولا يشارك كعادته بالرأي والتعليق في الجروب الأدبي. حاولت إقناع نفسها أن السبب هو حاجته للراحة بعد وعكته الصحية. لكنها كانت تشعر أن جدار من الرسميات الباردة بدأ يرتفع بينهما. شعرت بألم شديد لإحساسها بإبتعاده وأرقها التفكير في أنها ربما تكون فقدته، لكن منعها الكبرياء أن تحدثه في هذا الأمر.

نجح "هشام" خلال هذا الأسبوع في جمع كافة المعلومات التي يحتاجونها حول كيفية التسلل لداخل الفيلا. إستغل وجود عمال بناء في الفيلا المجاورة لها مباشرة فقام بنقل نصبة الشاي أمامها وبهذا حظي بفرصة أفضل لمراقبة "طارق" الذي علم أنه يذهب للفيلا بشكل شبه منتظم ويمكث هناك فترات طويلة وأحياناً يذهب في وقت متأخر مساءاً ولا يغادرها إلا مع إقتراب الغروب في اليوم التالي، وكثيراً ما يصطحب معه فتاة شابة خمن "هشام" أنها ربما تكون مساعدته، تغادر معه أحياناً وأحياناً يتركها ويذهب. لاحظ أيضا أن الفيلا لها بوابة حديدية ثقيلة يغلقها خلفه من الداخل من بدا أنه بواب أو حارس لا يغادر الفيلا ليلا ولا نهارا. ولم يتمكن "هشام" من رؤية ما هو أبعد من البوابة الحديدية لأنها لا تفتح إلا لدخول أو خروج سيارة "طارق" وكذلك السيارة الغامضة الأخرى.

كان السبيل الوحيد للتسلل للفيلا هو من الخلف حيث تطل على شارع جديد به صف كامل من الفيلات التي لا زالت تحت الإنشاء وهناك الكثير من مواد البناء منتشرة في كل مكان، ثم بداية منطقة صحراوية مفتوحة تصل حتى الطريق الصحراوي مباشرة في حين تطل الفيلا من الأمام على شارع رئيسي مؤدي في نهايته للطريق الدائري المتجه لداخل القاهرة.

وبحسابات بسيطة توصل "هشام" إلى أن التسلل من الخلف سيكون ممكناً، ثم الدخول من الطابق الأرضي عبر الباب الخلفي أو النوافذ. إطمئن لعدم وجود كلاب حراسة ولاحظ أيضا أن الحارس لا يغادر أبداً الغرفة الصغيرة المخصصة له في الحديقة الأمامية وقلما يذهب لداخل الفيلا المغلقة في غير أوقات وجود "طارق".

قرر أن يخبر "نوران" بكل ذلك ويحددا سوياً الوقت المناسب للتسلل للفيلا. كان الأمر ينطوي على خطورة كبيرة ومخاطرة. لكن لا يوجد خيار آخر أمامهما لكشف غموض ما يجري داخلها والعثور على أية أدلة تبين الصلة بين كل أطراف هذه القضية.

كان الوقت الأفضل للتسلل لداخل الفيلا هو وقت الغروب حيث يسود الهدوء المنطقة تماماً بعد مغادرة العمال مواقع البناء، كما أنه قبل وقت وصول "طارق" الذي يأتي للفيلا عادة في وقت متأخر من المساء.

خطط "هشام" لتسلق السور وإقتحام الفيلا بمفرده على أن تراقب "نوران" الشارع وتتصل به فوراً لتنبيهه إن لاحظت اقتراب أي

خطر. كان يعلم جيداً أنها فتاة شجاعة ويمكنه الإعتماد عليها تماماً لكنه لم يكن يرغب في توريطها معه في إقتحام الفيلا وفضل أن تبقى هي في الخارج على أن يتسلل للداخل بمفرده.

أخبر "هشام" "نوران" بكل هذا صباح أحد الأيام في الجريدة. وقبل أن تتفوه بكلمة كانت "شيرين" هي المبادرة بالحديث وصاحت فيهما:

- المرة دي مش هسيبكم تروحوا مكان من غيري، أنا مش ناقصة قلق.

وعبثاً حاولا إقناعها بأنها تقدم لهما أهم مساعدة بإنتظارهما بعيداً تماماً عن الصورة ومتابعة الأمور معهما للتحرك وقت الحاجة لكنها رفضت تلك المرة وأصرت أن تذهب معهما.

لم يتحمل "هشام" قلق "شيرين" البالغ تلك المرة وخشي أن تفسد كل شيء إن ذهبت معهما، فعلى العكس من "نوران" التي أمضت معظم حياتها المهنية كصحفية تحقيقات ومعتادة على العمل في الشارع لم تغادر "شيرين" الجريدة أبداً طوال عملها وكانت دائماً تنهي عملها في المكتب لذا كانت غير مؤهلة للمشاركة في أمر محفوف بالمخاطر بهذا الشكل. قال لها بصرامة:

- "شيرين" الموضوع مش لعبة ولا سهل، إحنا مش عارفين هنواجه مين؟ ولا إيه هناك؟ وخلي بالك ده إقتحام فاهمة يعني إيه إقتحام؟ يعني لو حد مننا وقع صاحب الفيلا له كل الحق يودينا في داهية ده لو رسيت بس على إتهام بمحاولة إقتحام. من فضلك إسمعي الكلام وخليكي بعيد.

بادلته الصراخ الغاضب وقالت:

- "هشـام" مـش هتروحـوا مـن غـيري المـرة دي الكـلام ده نهـائي - أكملـت بصـوت خنقتـه الـدموع- أنـا تعبـت مـن القلـق علـيكم صدقوني بقى.

نظرت لها "نوران" بإشفاق ثم وجهت كلامها لـ"هشام" قائلة:

- أنا عندي فكرة.. "شيرين" ممكن تراقب لنا الجو وإحنا الإتنين ندخل جوه. أنت عارف أنها مرووشة وهتسمع دبة النملة وبيتهيأ لي كده أفضل، أنا برضة مكنتش هآمن لدخولك لوحدك. الله أعلم في إيه؟ ولا مين جوه؟

لكزتها "شيرين" في كتفها وقالت مازحة:

- أنا مرووشة؟ ماشي يا ست "نورا" بعدين نتحاسب.

بدا وجه "هشام" في تلك اللحظة كمرآة لا تعكس سوى الإستياء والإعتراض وبدا على وشك الرفض من جديد لولا أن لمح الإصرار على وجه "شيرين" وعلم أنها لن تقتنع ولن تغير رأيها. وفي النهاية تنهد وقلب كفيه وقال لهما مستسلما:

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

صفقت "شيرين" بكفيها جزلا كالأطفال مما أثار ضحك "نوران" و"هشام" معا. جلس ثلاثتهم يتناقشون في تفاصيل خطة الإقتحام وحددوا موعدها غروب شمس اليوم التالي. قاطعت "أمل"

سكرتيرة الجريدة حديثهم عندما دخلت ومعها فاكس مكتوب عليه إسم "نوران" وقالت لها:

- "نوران" الأستاذ "أحمد" بيقول لك الفاكس ده جه من شوية، شوفيه وأعملي اللازم.

أخذت "نوران" الفاكس منها وألقت عليه نظرة سريعة ثم تهلل وجهها فرحا ورفعت رأسها لتجد أربعة من العيون الفضولية تتطلع لها. قالت لهما:

- رواية (حلم زهرة اللوتس) آخر روايات "ماجد" مترشحة للبوكر.

تهللت أساريرهما وقال "هشام":

- بصراحة تستاهل دي أروع ما كتب والغريبة أنها أول رواية سياسية يكتبها ونقلة كبيرة ومختلفة عن رواياته الرومانسية مع أنها لا تقل جودة وروعة لكن الرواية دي فيها حاجة مختلفة ومتميزة وتستحق الترشح والفوز كمان.

بدت علامات التفكير والتردد على وجه "نوران" فسألتها "شيرين":

- مالك؟

- مفيش، كنت بفكر إتصل بـ"ماجد" أقول له الخبر.

صاحت بها:

- طب ما هو لازم تعملي كده طبعا هي دي محتاجة تفكير؟

لم تكن "شيرين" تعلم أي شيء عن الفتور الذي أصاب علاقة "نوران" بـ"ماجد" ولم تكن "نوران" تجرؤ على إخبارها سبب الوعكة الصحية التي تعرض لها ولا موقفه منها بعد أن أخبرته بزيارة "خالد" لها في منزلها.

أمسكت هاتفها لتتصل بـ"ماجد" وتوقعت عدم رده عليها. لكنه رد وبدا التحفظ واضحا في صوته وردوده المختصرة. سألته عن أحواله وعن حالته الصحية ثم أخبرته بخبر ترشح روايته للبوكر. شكرها وبدا متعجلا لإنهاء المكالمة فشعرت بحرج شديد وأنهت المكالمة.

شعرت بألم شديد لإحساسها أن "ماجد" يبتعد عنها يوما بعد يوم وهي التي كانت تأنس بوجوده في حياتها وتعتبره دوما المرفأ الذي ترسو عليه وسط عواصف حياتها المتتابعة. تساءلت في سرها ... متى تنتهي فترة عقابها وتعود المياه لمجاريها؟ أم تراها إرتكبت الخطأ الذي لا يغتفر؟

تنهدت بعمق وركزت كامل طاقتها على العمل. قامت بإعداد الصفحة الأدبية وإنتهت من تحريرها بالكامل لتكون متفرغة تماماً للتحقيق في اليوم التالي.

مر الصباح سريعاً وإقترب موعد توجههم إلى الفيلا. كانت تشعر بتوتر بالغ. هي لا تخشى شئ وليس لديها ما تخاف عليه، لكنها شعرت بمسؤولية شديدة تجاه "شيرين" و"هشام". لم تكن لتسامح نفسها أبدا إن مس أي منهما سوء. حاولت جاهدة أن تثنيهما عن المشاركة أو تأجيل الموعد بحيث تستغل هي الفرصة للذهاب

بمفردها دون علمهما. لكن كل جهودها ذهبت سدى عندما وجدتهما مستعدان على أشد ما يكون الإستعداد للذهاب معها.

أخذتهما بسيارتها وركنتها في أبعد مكان ممكن عن مكان الفيلا ثم أكملوا الطريق سيراً على الأقدام. وصلوا إلى الشارع الخلفي الذي بدا مخيفاً وقد بدأ الظلام يتسلل للسماء مع إنسحاب ضوء النهار. كان المكان مهجورا ومقفرا بشدة حتى أن "شيرين" إلتصقت بـ"هشام" وهم يسيرون معاً بطول الشارع. توقف "هشام" وقال بقلق:

- يعني كان عندي حق يا "شيرين" شوفي أنتي خايفة أزاي؟ قولي لي بقى هتراقبي الشارع أزاي وأنتي ماشية مرعوبة وأنا معاكي أومال لو لوحدك هتعملي إيه؟

أحمر وجهها خجلا ثم قالت:

- لا مش خايفة هو بس المكان هنا مقبض للنفس جداً ... بس أنا كويسة اهو يلا بينا هتدخلوا ازاي؟

كان للفيلا سور حجري كبير غير مرتفع يعلوه سور من حديد وفي الداخل بدت الحديقة الخلفية أقرب لساحة للجلوس أكثر منها حديقة حيث خلت تماما من أية نباتات وكانت عبارة عن مساحة من الرمال وبها بعض المقاعد حول طاولة دائرية ومن على بعد شاهدوا الباب الخلفي ونوافذ الطابق الأرضي. إرتدى "هشام" قفازات مطاطية رقيقة وأعطى زوج منها لـ"نوران" فأرتدتها بدورها ثم قال لها:

- مستعدة؟ -أومأت برأسها إيجابا فقال- توكلنا على الله..ثم نظر لـ"شيرين" وقال- خلي بالك من نفسك، لو لاحظتي أو حسيتي بأي حاجة مريبة إتصلي بيا فوراً، معاكي كمان الصاعق الكهربائي وأنا عارف أنك خبرة في الدفاع عن النفس وأهو نستفاد من الكورسات اللي فلقتيني بيها إتفقنا؟

إبتسمت له وهزت رأسها موافقة. بدا "هشام" قلقاً ومتردداً لكنه أشاح بوجهه وركز على تسلق السور، وبسرعة تسلقه وقفز في الحديقة الخلفية بسهولة وأشار لـ"نوران" ففعلت مثله وفي ثواني كانت معه في الداخل.

تنهدت "شيرين" بإرتياح لنجاح الخطوة الأولى من الخطة وأيضا لأن أنوار الشارع أضيئت مما منحها نوعا من الطمأنينة في هذا المكان المقفر. وقفت بجوار سور الحديقة تراقب المكان بدقة تحسباً لأي شيء لكن الهدوء كان يغلف كل شيء.

وصل "هشام" مع "نوران" إلى الباب الخلفي بحذر شديد وهدوء تام، ثم أشار لها أنه سيتسلل لجانب الفيلا ليحدد مكان الحارس أولاً خشية أن يباغتهما فجأة. ذهب وعاد بعد دقيقة وقال لها إنه جالس في الغرفة الموجودة عند البوابة الأمامية وأنه مشغول بشدة في متابعة مباراة لكرة القدم.

شعرت "نوران" بإرتياح قليلاً لسماع ذلك وقالت له مازحة:

- أخيرا لقيت قيمة للكورة، إحنا آسفين يا كورة.

قطب "هشام" جبينه وهم بالرد عليها قبل أن تشير له بأصبعها بالصمت وقالت بصوت يقترب من الهمس:

- طيب دلوقتي محتاجين نفتح الباب أو أي شباك هنفتحهم أزاي؟

إبتسم وأخرج من جيبه شيء شبيه بمطواة الكشافة متعددة الأغراض. مال على الباب ثم عالج رتاجه بتركيز شديد بإستخدام سن المطواة وما هي إلا دقائق وسمعت "نوران" صوت تكة صغيرة ثم أدار "هشام" مقبض الباب لينفتح بيسر ويفسح لها الطريق بإبتسامة عريضة وهو يقول:

- 'ladies first'.

نظرت له بذهول وقالت:

- أموت وأعرف الأستاذ شغلته الأساسية إيه؟

رد عليها بمرح:

- سبع صنايع يا أبلة "نورا".

إبتسمت "نوران" ثم بدت الجدية على وجهها وهي تتحرك بحذر إلى جواره في الطابق الأرضي الذي كان يسوده الظلام حيث كانت إضاءة خافتة تنبعث فقط من بضعة لمبات صغيرة متفرقة في أنحاء المكان دون تأثير فعلي في الظلام المنتشر.

كانت الفيلا فاخرة جدا ومفروشة على أرقى طراز. تساءلت "نوران" إن كانت تلك الفيلا مملوكة للدكتور "طارق" فعلا أم

لشخص آخر لكنها خمنت أن تكون مستأجرة بأثاثها فمهما بلغ ما يتقاضاه "طارق" لن يتمكن من شراء هذا الأثاث الفاخر الذي بدت بعض قطعه أصلية وثمينة. خمنت أيضا أن هناك غرض لإبقاء الفيلا بهذا المظهر الفاخر، ربما ليكون غطاء على ما يحدث داخلها.

قاما بتفتيش الدور الأرضي بالكامل فلم يجدا به ما يريب ونظرا لبعضهما بإستغراب. كان "هشام" يختلس النظر عبر النوافذ المغلقة بستائر فخمة ثقيلة من آن لآخر ليتأكد من وجود الحارس في مكانه وحمد الله على هوس الرجل بكرة القدم حيث بدا مستغرقا في مشاهدة المباراة ومنفصلاً عما حوله. اتصل "هشام" بـ"شيرين" أكثر من مرة للإطمئنان عليها والتأكد من أنها بخير وكل شيء على ما يرام.

أشارت "نوران" بأصبعها لباب معدني ضخم في آخر الممر الذي يضم المطبخ الواسع. إتجها له وتعاونا على فتحه حيث كان يبدو ثقيلاً. فُتح الباب للداخل وقادهما لسلم طويل يمتد لأسفل. قادهما السلم لممر مضاء بطول جانبيه بلمبات فلوريسنت بيضاء وأشتما رائحة قوية تسببت في إسالة دموعهما وهمسا في صوت واحد (فورمالين!).

حاولا التكيف مع الرائحة الرهيبة وهما يسيران بطول الممر المضاء حتى وصلا إلى غرفة كبيرة مغلقة. وما أن أدار "هشام" مقبض الغرفة حتى انفتح الباب لينظرا معا بذهول إلى ما بالداخل. كانت الغرفة عبارة عن غرفة عمليات مجهزة على أحدث طراز وبها كل ما يحتاجه أي طبيب لإجراء الجراحة.

أخرج "هشام" الكاميرا سريعا وألتقط عدة صور للمكان. وبجوار تلك الغرفة كانت توجد غرفة أخرى مجهزة للعناية بالمرضى بعد العمليات الجراحية وكانت خالية إلا من فراشين متجاورين نظيفين.

جالت "نوران" بعينيها في المكان متفحصة ودققت النظر لتجد باب آخر داخل غرفة العمليات وأشارت ل"هشام" الذي إنهمك في تصوير المكان. إتجها معاً لهذا الباب وفتحته "نوران" وهالها ما رأت. كانت الغرفة أشبه بدولاب تخزين يحتوي على العديد من الأرفف وعلى تلك الأرفف تراصت أوعية ممتلئة بالفورمالين تسبح داخلها أعضاء بشرية!

لم يضيع "هشام" لحظة من الوقت وسارع بتصوير المكان بالكامل، في حين شعرت "نوران" بألقيء يتجمع في حلقها من هول المنظر لكنها تمالكت أعصابها بقدرة فولاذية وركزت في كتابة ملحوظاتها عن المكان.

أنهيا عملهما بأسرع وقت ممكن وحان الوقت لخروجهما من المكان. حرصا على إغلاق الأبواب كما كانت بالضبط وعدم تغيير مكان أي شيء حتى وصلا للباب الخلفي من جديد وعالجه "هشام" لينغلق بهدوء خلفهما بعد الخروج ويعود مجدداً باباً بريئاً لم يعبث به أحد. تسلقا السور بسرعة عائدين لـ"شيرين" التي بدت شديدة الشحوب وكأنما خلا وجهها تماما من دماء الحياة. تنفست الصعداء فور رؤيتهما وسألتهما:

- ها عملتوا إيه جوه؟ لقيتوا حاجة؟

أجابها "هشام":

- لقينا كتير، "طارق" ده سنة أبوه سوده بعون الله.

كانت "نوران" تشعر بإضطراب شديد بعد الذي شاهدته داخل الفيلا. الحديث عن شيء أمر ومشاهدته بالفعل أمر آخر. شعرت الغضب يجتاح جسدها لما تخيلت أن تكون نهاية "عماد" شقيق "عبد الرحمن" وغيره بسبب الفقر والحاجة داخل أواني من الفورمالين.

أفزعها مجرد تخيل فكرة أن يكون "خالد" متورطا في الأمر ويكون على علم بكل هذا، هل هذا ممكن؟ أيكون بهذه البشاعة؟ هزت رأسها سريعاً لتطرد تلك الفكرة الجنونية. وصل ثلاثتهم إلى السيارة لتنطلق "نوران" عائدة بهم لمنزلها. إحتسوا الشاي الذي أعدته "شيرين" لهم ثم جلسوا لمناقشة ما توصلوا له. قالت "نوران":

- كده إحنا عندنا شهادات الشهود ضد "حسان" وكمان صورنا جوه الفيلا ومعانا دليل ضد "طارق". المشكلة دلوقتي مفيش عندنا أي أدلة مباشرة تثبت تورط "حسان" ولا تظهر علاقته بـ"طارق"، وحتى لو نشرنا التحقيق وإتقبض عليه هيطلع من القضية بسهولة لعدم وجود أدلة وشهادات الشهود مش كفاية. يعني حتى لو عملنا بلاغ ونشرنا التحقيق باللي وصلنا له أي محامي شاطر هيطلعه منها نبقى معملناش حاجة. صحيح العيار اللي ميصبش يدوش ونشر التحقيق هيعمل لهم قلق شديد لكن اللي زي دول مش هيغلبوا أكيد هيوقفوا نشاطهم فترة وبعدين

ينقلوه مكان تاني وذبح الغلابة يستمر. لازم يكون في طريقة ردع للشياطين دول.

بدت علامات التفكير على وجه "هشام" وقال:

- أعتقد مراقبة العربية الغامضة هيوصلنا لطرف الخيط اللي يوديهم كلهم في داهية. أنا هروح كمان شوية أنصب نصبة الشاي وأسهر هناك. النهاردة ميعاد وصول العربية دي، و"طارق" كمان هيكون هناك لحد بكرة الظهر أنا حفظت الجدول خلاص. لازم أعرف حكاية العربية دي إيه هي اللي هتوصلنا للربط بينهم على ما أعتقد.

عاد مجددا بالفعل لنصبة الشاي التي أقام بجوارها منذ مدة ما يشبه الخيمة الصغيرة من الخوص على جانب الطريق حيث وجدها ضرورية لمراقبة الأوضاع أثناء الليل أحياناً. وكثيراً ما كان عم "جاد الله" يذهب للسهر معه هناك وإحتساء الشاي والحكي حول أمور شتى لا نهاية لها، وكان "هشام" يستمتع كثيراً بالحديث مع هذا الرجل الطيب حتى أنه شعر أنه سيفتقده عندما تنتهي تلك المهمة.

أمضى "هشام" الليل في مراقبة الفيلا بهدوء وحذر. وصلت الشاحنة المغلقة بعد الثانية صباحاً بقليل. جلس "هشام" ينتظر خروجها مجددا كالعادة. إتصلت به "نوران" مرتين لمعرفة ما يحدث وأخبرها أنه لا زال في الإنتظار. وأخيراً قبيل الفجر بقليل خرجت الشاحنة وكان "هشام" مستعداً تلك المرة لتعقبها بسيارة

إستأجرها خصيصا لهذا الهدف لمعرفة المكان المجهول الذي تذهب له في الصحراء ثم تعود بعدها للطريق من جديد.

ظل "هشام" يتتبع السيارة من على بعد ثم أصبح خلفها مباشرة على الطريق الصحراوي. كانت الشاحنة تسير بسرعة على الطريق ثم إنحرفت فجأة وإنطلقت وسط الصحراء خلف إحدى المجمعات السكنية الحديثة التي لا زالت تحت الإنشاء وإختفت تماماً. لم يتمكن "هشام" من التوقف كي لا يلفت إنتباه قائد الشاحنة أنه كان يتبعها فأكمل طريقه مباشرة ومر بأكثر من منحنى قبل أن يعود مجددا لطريق العودة لتضليل سائق الشاحنة خشية أن يكون إنحرافها داخل الصحراء فخاً له.

عاد "هشام" بسلام إلى المكان الذي إنطلق منه بالسيارة ثم أخفاها تماما عن الأنظار خلف إحدى الفيلات في المنطقة قبل أن يعود بهدوء لنصبة الشاي وجلس في إنتظار عودة الشاحنة كالعادة. وبعد السادسة بقليل كان "هشام" يقوم بتلبية طلبات العمال الذين توافدوا كعادتهم دائما بعد مطلع الفجر لمواقع البناء. كان ذلك عندما لمح السيارة تمر من أمامه في طريقها للعودة.

لم يضيع "هشام" وقتاً حيث طلب من عم "جاد الله" الإنتباه لنصبة الشاي حتى يذهب لأمر هام ويعود بعد برهة. طلب منه أيضاً إستعارة دراجته فوافق الرجل عن طيب خاطر، كان يحبه كإبنه فعلاً ويأنس بصحبته خاصة أن عمله في حراسة الفيلا التي يعمل بواباً لها قليل جداً نظراً لأنها مغلقة وأصحابها لم ينتقلوا للسكن فيها بعد.

أخذ "هشام" الدراجة وأنطلق على نفس الطريق الذي سلكه خلف الشاحنة منذ ساعات قليلة. فعل كل ما بوسعه لتوخي الحذر خشية أن يكون الأمر فخاً للإيقاع به. وصل بالدراجة للمجمع السكني الذي إختفت خلفه الشاحنة ثم دار حوله دورة واسعة مرتين لفحص المكان. لم يجد ما يريب فترك الدراجة وترجل ليفحص المكان عن قرب. لاحظ أن الأرض في تلك المنطقة تبدو كأنما سويت بأداة ولا يبدو شكل الرمال هناك عفويا وطبيعيا. تلفت حوله بحثاً عن أي شيء يفحص به الرمال عندما لمح على مرمى البصر بعض الكلاب الضالة تتعارك حول شيء ما. أثار المنظر فضوله بشدة فأقترب منها بحذر وفجأة شعر بقشعريرة تنتاب جسده كله. كانت الكلاب تلهو بذراع بشري شبه متحلل.

إستجمع "هشام" شجاعته وقذف الكلاب بقطعة من الطوب فأفزعها ذلك وذهبت بعيدا لكنها ظلت متأهبة للعودة. إقترب "هشام" من المكان الذي كانت الكلاب متجمعة فيه ليجد هذا الذراع شبه مدفون في الرمال.

بحث في المنطقة جيدا حتى عثر على قطعة من الخشب حاول أن يحفر بها الرمال ليجد أن الذراع جزء من جثة متحللة.

بدأ يفهم تقريبا ما يحدث هنا ولم يجد بد من الإتصال بـ"نوران" لإخبارها وكانت في انتظار اتصاله فلم تنم ليلتها أبدا. قال لها بجمود من هول ما رأى:

- "نوران"، أنا لقيت حاجة مهمة جدا تقدري تتصلي بالشرطة وتيجي حالاً؟ أنا على الطريق الصحراوي. -ووصف لها بدقة مكان وجوده-.

أنهت "نوران" مكالمتها مع "هشام" ولم تدر ماذا تفعل. لم تكن ترغب في أي تصرف غير محسوب قد يمنح "طارق" و"حسان" ومن خلفهما الفرصة للفرار بجرائمهم. أصبح الأمر كله واضحا الآن ولم يعد من الممكن مواصلة الصمت. كان أول من فكرت في الإتصال به وطلب المشورة النقيب "حازم العشري" شقيق "خالد". إتصلت وهي تشعر بحرج بالغ لأن الوقت لا زال مبكر جداً لكن ما أن دق جرس الهاتف حتى فوجئت به يرد على إتصالها. أخبرته أنها تريده في أمر هام الآن إن أمكن فوافق على الفور وأخبرها أنه في المنزل. قالت له إنها ستمر عليه على الفور وخرجت من المنزل لتقطع بسيارتها الشوارع التي كانت شبه خالية.

وصلت لمنزل "حازم" سريعاً وكان في إنتظارها فنزل لها على الفور. أخبرته على عجل وهما على الطريق بموضوع التحقيق وما أكتشفه "هشام" وأستمع لها بإهتمام شديد. لم تصارحه "نوران" بأن الأمر له صلة بـ(مستشفى المنار) وأن "خالد" قد يكون متورطاً، لسبب ما عجزت عن الإفصاح.

وصلا للمكان الذي وصفه "هشام" ووجداه في إنتظارهما وقد شحب وجهه. شعرت "نوران" بالإشفاق عليه لأن علامات الإرهاق الممزوجة بصدمة إكتشاف ما بدا ظاهره أنه مقبرة جماعية لضحايا سرقة الأعضاء بدت متجسدة على ملامح وجهه.

نظر "حازم" بذهول لما أكتشفه "هشام" الذي أخبره أيضا بأمر السيارة الغامضة والفيلا وكل شيء. صمت "حازم" لحظات مفكراً ثم قال لهما:

- دي كده جناية قتل وإتجار في الأعضاء وبلاوي سوده. بصوا أنا رئيس المباحث في القسم التابعة له المنطقة هنا معرفة إحنا لازم نروح فوراً ونقدم بلاغ، لازم قوة من النجدة تيجي تعاين المنطقة وتثبت الواقعة. -ثم إلتفت لـ"نوران" وسألها- "نوران" أنتي قلتي إنكم صورتوا جوه الفيلا وعندكم شهادات ضد الراجل السمسار ده. -ذكرته "نوران" باسمه "حسان" فأكمل قائلاً- أيوة "حسان"، الكلام ده كله لازم يتقدم مع البلاغ، الموضوع كبير قوي والعيال دي لازم تتشد ويقروا بمين وراهم كمان، بالشكل ده هم مش شغالين لوحدهم أبدا الموضوع فعلاً كبير.

تبادلت "نوران" نظرة توتر مع "هشام" الذي فهم من ملامحها أنها لم تخبر "حازم" بأن المستشفى التي يديرها شقيقه مع زوجته ووالدها متورطة في الأمر فقال له "هشام" بحذر:

- سيادة النقيب، "نوران" نسيت تقول لك حاجة مهمة جداً ... الدكتور "طارق" جراح في (مستشفى المنار).

ظهرت الصدمة على وجه "حازم" وصمت لحظات بدا فيها الجو مشحون بالتوتر ثم قال بحسم:

- ولو. اللي يعمل جريمة يتحمل نتيجتها، هنروح القسم حالاً وهنعمل البلاغ.

وعلى الفور توجه ثلاثتهم إلى القسم ودخل "حازم" مباشرة لمكتب صديقه رئيس المباحث الذي رحب به في حين إنتظر "هشام" مع "نوران" في الخارج. بعد لحظات وصل عسكري أمن وطلب منهما الدخول فوراً للسيد رئيس المباحث. دخلا كلاهما لمكتبه وبدا عليه الإهتمام الشديد بالقضية. كانت "نوران" قد حرصت على إحضار كل ما يتعلق بالتحقيق معها بعد إتصال "هشام" بها تحسباً للأمر. قدمت نسخة من شهادات الشهود ضد "حسان" مع نسخة من الصور التي إلتقطوها داخل الفيلا لرئيس النيابة. وعلى الفور بدأ التحرك في القسم لإرسال قوة شرطة للمكان الذي أكتشف فيه "هشام" المقبرة للمعاينة وإثبات الحالة. كان هناك أيضا حاجة لإصدار إذن نيابة لتفتيش الفيلا وضبط وإحضار "حسان" و"طارق".

بعد أن حصل رئيس المباحث على كافة المعلومات المطلوبة من "نوران" و"هشام" شكرهما وأخبرهما أنهما سيكونان مطلوبين في أي وقت لإستكمال التحقيقات.

غادرت "نوران" القسم بصحبة "هشام" و"حازم" الذي بدت ملامح الجدية الشديدة على وجهه. قالت له بتردد:

- "حازم"، والله أنا مكنتش أعرف أن الموضوع له صلة بـ(مستشفى المنار) لما بدأت التحقيق صدقني.

رد عليها بهدوء:

- "نوران" أنتي معملتيش حاجة غلط، وحتى لو كنتي تعرفي من الأول، أنتي أتصرفتي صح وأي حد مكانك كان لازم يعمل كده،

اللي غلط لازم يتحمل نتيجة غلطه حتى لو كان... -صمت لحظة وكأنما من الصعب عليه نطقها ثم أكمل- حتى لو كان أخويا.

أشاحت "نوران" بوجهها بعيدا عنه لتخفي إضطراب مشاعرها الشديد وإن ظلت تدعو الله في نفسها ألا يكون لـ"خالد" علاقة بكل هذا. لم تكن قادرة على تخيل فكرة أن يكون على علم بتلك الجريمة البشعة.

قامت بتوصيل "حازم" لمنزله أولاً ثم أصرت على توصيل "هشام" الذي بدت عليه علامات الإرهاق الشديد. طلبت منه أن ينال قسط كافي من النوم وأن يمر عليها في المساء للإنتهاء من كتابة التحقيق ليكون على مكتب رئيس التحرير في الغد على أقصى تقدير كي يكون مواكباً لتحركات الشرطة ولا يضيع مجهودهما سدى إن سبقتهم لنشره جريدة أخرى حيث من المتوقع أن يحدث الكشف عن تلك القضية ضجة كبيرة.

عادت لمنزلها بعد ذلك وقضت اليوم بأكمله في ترتيب أوراق التحقيق ومعلوماته ومصادره وبرغم سعادتها لأنها نجحت في إعداده بتلك الطريقة لكنها لم تتمكن أبدا من تخطي شعورها بالقلق لأن "خالد" قد يكون متورطاً في الأمر.

إتصلت بـ"ماجد" لإخباره بأحدث التطورات وأستمع لها بإهتمام لكنه ظل على تحفظه تجاهها. لم ترغب في فتح أي نقاش معه الآن حول أي شيء فأنهت المكالمة سريعاً.

اتصل بها "حازم" مع حلول المساء وأخبرها أن قوة الشرطة التي توجهت للطريق الصحراوي نجحت في الكشف عن مقبرة جماعية

تضم عدة جثث معظمها جثث أطفال وبضعة جثث لبالغين وأن المسألة مسألة وقت قبل أن يكشف الطب الشرعي عن هوياتهم. أخبرها أيضا أن أمراً صدر من النيابة بمداهمة الفيلا وتم القبض على حارسها ولا زال التحقيق مستمراً معه وأن الشرطة عثرت داخل القبو بالفعل على غرفة العمليات المجهزة وكل ما بها كما وصفت "نوران" لرئيس النيابة بالضبط والبحث لا زال جارياً لمعرفة مكان "طارق" و"حسان".

إلتقت "نوران" بـ"هشام" و"شيرين" في المساء وراجعوا سوياً كافة تفاصيل التحقيق معاً وأستقروا على الصيغة النهائية لنشره وكان من المتوقع أن يحتل صفحة كاملة مع الصور وكافة المعلومات. أنتهوا من عملهم في وقت متأخر من الليل وغادر "هشام" وبقيت "شيرين" بعد أن طلبت منها "نوران" أن تبيت معها ولا تتركها بمفردها.

كانت "نوران" في حالة توتر بالغ وشعرت "شيرين" بتوترها الذي كانت تعلم سببه جيداً فقالت لها بنوع من الحدة:

- "نورا" ... أخوه نفسه قالك اللي غلط لازم يتحمل نتيجة غلطه عايزة إيه تاني؟ أنتي هتكوني أحرص عليه من أخوه؟

أجابتها بشرود:

- الموضوع مش كده تحديداً يا "شيرين". يعني لو "خالد" على علم باللي بيحصل ده ومشارك فيه أنا بس مش متخيلة أني ممكن أكون في يوم جبيت واحد كده. لا مستحيل، قلبي مستحيل يخدعني للدرجة دي، أكيد هو ملهوش علاقة بكل ده. أنا لسه

عندي أمل أن "طارق" يكون شغال لحسابه. بس المشكلة "هشام" قال إن "هاني" أخوه ساب المستشفى بعد ما لاحظ حاجات مريبة خاصة بالتحاليل الطبية فيها. مش عارفة بقى، كله هيبان.

في صباح اليوم التالي قدمت "نوران" التحقيق للأستاذ "أحمد" رئيس التحرير الذي قرأه بتمعن شديد ثم إبتسم وقال لها:

- رائع يا نورا! رائع بجد، عمرك ما خيبتي ظني، حمد لله ع السلامة، بقالي سنتين مستني عودتك ولما ترجعي راجعة بقوة.

إبتسمت وتورد وجهها خجلا وقالت له:

- أنا متشكرة جدا يا أفندم. تشجيع حضرتك ليا معناه كبير قوي. بس أنا معملتش حاجة لوحدي التحقيق ده مناصفة بيني وبين "هشام"، ده هو كمان اللي قام بالجزء الأخطر والأصعب فيه ولولاه مكنتش قدرت أعمل حاجة.

- "هشام" ميتخيرش عنك أنتوا الإتنين صحفيين متميزين عندي. التحقيق ده لازم ينزل في عدد بكرة بالكتير ويكون في تنويه عنه على البوابة. خديه وروحي للأستاذ رضا لأنه برضة لازم يراجعه بصفته رئيس القسم وأنا هتصل برئيس تحرير البوابة وأقول له ينشر الخبر نفسه تمهيداً لنزول التحقيق في الجريدة بكرة.

أخذت التحقيق وذهبت مكرهة لمكتب الأستاذ "رضا" رئيس قسم التحقيقات الذي إستقبلتها بابتسامة لزجة كعادته. قدمت له التحقيق فطلب منها أن تتركه ليراجعه بعد أن ينهي ما لديه من موضوعات أخرى. تركت "نوران" التحقيق وخرجت وكانت تعلم

أنه يشعر بخيبة أمل شديدة لأنها نجحت برغم تعطيله المستمر لها في إنهاء هذا التحقيق الهام.

إتصل بها رئيس المباحث وأخبرها أنها مطلوبة للإدلاء بأقوالها أمام النيابة وعلمت أن "هشام" أيضا تلقى إتصال مماثل. ذهبت معه للنيابة وهناك علما أنه تم بالفعل القبض على "حسان" و"طارق" بعد أن اعترف حارس الفيلا أن "طارق" يستأجر الفيلا بإسمه بالفعل من مالكها الأصلي الذي أمرت النيابة أيضا بضبطه وإحضاره. واعترف أيضاً أن "حسان" هو صاحب الشاحنة التي تتبعها "هشام" وصولاً إلى المقبرة الجماعية وتعرف الحارس عليه في النيابة بعد مواجهته به وصدر أمر بحبس الثلاثة.

شعرت "نوران" بفرحة عارمة أن الشرطة لم تضيع وقت طويل وباغتت "حسان" و"طارق" على حين غرة فلم يتوقعا أبداً أن يتم الإيقاع بهما بتلك السهولة. سرها أيضا أن مجهودهما هي و"هشام" في التحقيق كلل بالنجاح وأن أول طرف الخيط للإيقاع بالباقين يكمن في يد هذين.

أدلت "نوران" بأقوالها في النيابة وكل ما تعرفه عن القضية وكذلك فعل "هشام" ثم عادا إلى الجريدة حيث كانت "شيرين" في إنتظارهما. جلسوا كعادتهم يتناقشون في الأمر.

في ذلك الوقت كان "رضا" يقرأ التحقيق في مكتبه بإهتمام ثم تركه وجلس يفكر لحظات قبل أن يمسك هاتفه المحمول ويتصل برقم ما. وما أن رد عليه الطرف الآخر حتى قال:

- أيوة سعادتك، في تحقيق عمله إتنين صحفيين عندنا بيخبط شوية في (مستشفى المنار) بتاعة "أنيس باشا زهران" سيادتك، لا مش عملية فاشلة ده الموضوع أكبر من كده بكتير، تجارة أعضاء وقتل وحاجات تانية، أه فهمت أركنه يعني؟ طيب يا باشا كلموا رئيس التحرير بقى قولوا له بأنفسكم أنا مش عايز أظهر في الصورة خالص، مفهوم سعادتك، أسماء الصحفيين اللي عملوا التحقيق؟ أه "نوران نبيل" و"هشام العزازي"، تحت أمر جنابك، مع ألف سلامة.

أنهى رضا مكالمته وهو يقول بتشفي رسم تعبيرا شيطانيا على وجهه:

- وريني بقى يا "نوران" هانم هتعملي إيه دلوقتي، ده أنتي هتشوفي أيام سوده، مخبطة في أكابر البلد وفاكرة هيسكتوا لك؟ إستلقي وعدك يا حلوة.

*****

(11)

ذهبت "نوران" للجريدة مبكراً في صباح اليوم التالي ووصلت "شيرين" بعدها بدقائق بصحبة "هشام". جلست على مكتبها كعادتها تحتسي شاي الصباح وتتصفح عدد اليوم من الجريدة. تصفحت الجريدة بالكامل وشعرت أن هناك خطأ ما. عادت للصفحة الأولى للتأكد من تاريخ اليوم وجدت أنه بالفعل عدد اليوم لكن التحقيق غير منشور به كما أخبرها الأستاذ "أحمد"!!

علت الدهشة وجهها وقالت لـ"هشام" و"شيرين" المنهمكين في حديث جانبي:

- يا جماعة، التحقيق متنشرش في الجريدة.

نظر لها "هشام" بدهشة وقال:

- يعني إيه متنشرش؟ ده مينفعش يتأخر يوم واحد. هم مش عارفين أن محرري الحوادث من كل الجرايد.راشقين في النيابة؟ دي قضية كبيرة يعني على الظهر النهاردة بالكتير هيكون الخبر في كل الصحف، هم منتظرين لما يطير مننا ولا إيه؟ ده سبق صحفي إيه التهريج ده؟

شعرت "نوران" بعدم إرتياح تجاه الأمر برمته فنهضت على الفور وإتجهت لمكتب رئيس التحرير. طرقت الباب وسمح لها بالدخول وما أن رآها حتى بدا عليه الإضطراب. لم تنتظر أن يتفوه بكلمة وإنما بادرته بالقول:

- التحقيق متنشرش ليه يا أستاذ "أحمد"؟ أنتوا كده بتضيعوا على الجريدة فرصة السبق الصحفي.

تنهد بعمق وخلع نظارته وقال لها وهو يفرك عينيه:

- أقعدي يا "نوران" من فضلك.

جلست منتظرة أن يفسر لها ما يحدث. صمت لحظات ثم قال لها:

- التحقيق جاله حظر نشر... أنا آسف.

هبت واقفة وبدا الذهول على ملامحها:

- حظر نشر؟؟ يعني إيه؟؟ وحظر نشر ليه؟ دي قضية مهمة جدا والناس من حقها تعرف، أنا مش بتكلم في قضية جاسوسية ولا أمن قومي علشان يكون في حظر نشر دي جريمة قتل وإتجار في حياة الناس الغلابة ومن حق الشعب يعرف.

تنهد "أحمد" مجدداً وقال لها:

- أنا فاهم كل اللي بتقوليه لكن ما باليد حيلة، طالما إتصلوا وقالوا حظر نشر مقدرش أنشر حرف وإلا أتحمل المسؤولية والجريدة تبقى مهددة بالإغلاق وإحنا زي ما أنتي عارفة جريدة خاصة. أنا آسف بجد مش بإيدي.

قالت "نوران" محاولة الحفاظ على هدوءها:

- طبعا حظر النشر له علاقة بصلة "أنيس زهران" بالموضوع صح؟

- الموضوع مش سهل برضة يا "نوران" أنتي عارفة هو مين.

ردت عليه بغضب:

- عارفة هو مين أكيد إنما عايزة أفكر حضرتك أن المفروض دورنا كشف الفساد في البلد مهما كان المتورط فيه. الناس فقدت الثقة في الإعلام والصحافة بسبب كم الكذب والزيف وطمس الحقائق وبدل ما نحارب ده وننشر الحقائق الموثقة لما نحط إيدنا عليها بنخاف ونتراجع ونساهم في المزيد من دفن الحقيقة. طبعا حضرتك عارف أن حظر النشر معناه أنهم بيستفوا ورقهم ويشوفوا لـ"أنيس زهران" مخرج قبل ما الموضوع يوصل للإعلام ويكبر ويبقى فضيحة، وغالبا كده هيلبسوها لناس زي "طارق" و"حسان". طب حضرتك شايف ده عدل؟ حظر النشر يؤكد لي تورط "أنيس زهران" فعلا ومعرفته باللي كان بيحصل وبينفي فكرة أن "طارق" كان شغال لحسابه، ده أكبر دليل، حضرتك عايز واحد زي ده يفلت من العقاب ويمارس جريمة إستنزاف دماء الغلابة؟ ده عدل ده؟

قلب "أحمد" كفيه وهو يكرر:

- مش بإيدي يا "نوران" أنا آسف، خلينا ننتظر سير التحقيقات ونشوف يعني لو هو متورط وفي أدلة كافية ضده حظر النشر مش هيؤثر على موقفه في القضية وهتوجه له إتهامات.

ضحكت ساخرة وقالت:

- أدلة كافية؟ هو لما بيكونوا عاوزين يطلعوا حد من قضية بيبصوا للأدلة الكافية أصلا؟ ده في غمضة عين هتلاقي أدلة جديدة خالص تثبت براءته.

لم يعلق على كلامها وبدا أنه لم يعد لديه ما يضيفه. بادلته "نوران" الصمت بدورها وداخلها تصاعد الغضب كالحمم البركانية الثائرة، لكن غضبها لم يتجاوز نفسها أبداً. ثم بهدوء شديد سحبت ورقة من على مكتب رئيس التحرير وكتبت شيئاً ما ثم وضعت الورقة أمامه على المكتب. سألها بدهشة وهو يرتدي نظارته مجدداً

- إيه ده يا "نوران"؟

أجابته بهدوء:

- دي استقالتي من الجريدة. الجريدة اللي تحجب عن الناس الحقائق مليش مكان فيها ولا دي الصحافة اللي أعرفها.

نقل بصره بين الورقة وبينها بذهول ثم قال:

- يا "نوران" بلاش التهور ده.. أنا عارف أنك أعقل من كده، مش للدرجة دي بلاش مبالغة من فضلك. وفي جميع الأحوال إستقالتك مرفوضة، أنا هسيبك فترة لحد ما تهدئي.

ردت عليه وهي تنهض مغادرة المكتب:

- ده كلامي الأخير يا أستاذ "أحمد". إستقالتي عند حضرتك ولو مش عاوز تقبلها إعتبرني منقطعة عن العمل، أنا فعلا مبقاش فارق معايا.

عادت "نوران" لمكتبها وأخبرت "شيرين" و"هشام" بما حدث ولم يكونا على درجة أقل من الغضب. أخبرتهما بإستقالتها وكان رأيهما أيضاً أنها تسرعت وعليها التريث لمعرفة ما ستؤول إليه الأمور. لكنها أعلنت أنها لن تتراجع عن قرارها وأن هذا آخر يوم عمل لها في الجريدة.

غادرت مقر الجريدة وهي تشعر بحالة من الإحباط والضيق الشديدين. ظلت تجوب الشوارع بسيارتها دون وجهة معينة. فكرت في الإتصال بـ"ماجد" وترددت طويلاً ثم في النهاية إتصلت به. رد عليها بتحفظ في البداية ثم بدا القلق واضحاً في صوته عندما شعر أنها ليست على ما يرام. طلبت مقابلته فوافق على الفور وقال إنه سيقابلها في الساعة الخامسة والنصف مساءاً بعد إنتهاء برنامجه الإذاعي الذي يبث على الهواء مباشرة.

ذهبت "نوران" للمقهى الذي إتفقا على اللقاء فيه وجلست بمفردها في إنتظار "ماجد" وشرد ذهنها تماما في تفاصيل كل ما حدث في الشهور القليلة الماضية ولم تستطع طرد فكرة تورط "خالد" في جريمة سرقة الأعضاء من ذهنها. أدهشها أن نظرت لساعتها فوجدت أنه مر عليها أكثر من ساعتين وهي مستغرقة في أفكارها. وفي تمام الخامسة والنصف لمحت "ماجد" يدخل من باب المقهى ويجوب المكان ببصره بحثاً عنها. لوحت له بيدها فأتجه لها فور رؤيتها. صافحته وبادرها بالكلام وقد بدا عليه القلق:

- مالك يا نور؟ حصل إيه؟ صوتك في التليفون قلقني.

حكت له كل ما حدث وحظر نشر التحقيق وإستقالتها من الجريدة. بدت علامات التفكير العميق على وجهه ثم قال لها:

- "نور" بقولك إيه؟ طالما في حظر نشر يبقى مستحيل نشره حتى لو حاولتي تنشريه في أي جريدة تانية، وأنا متفق معاكي في الرأي أن حظر النشر جاي بتعليمات من فوق بسبب صلة "أنيس زهران" بالموضوع وأنهم فعلاً بيحاولوا يكسبوا وقت بحظر النشر علشان يشوفوا له مخرج لأن الموضوع كده كده هيتسرب، مفيش حاجة بتستخبى للأبد اليومين دول.

قالت له بمرارة:

- يعني يا "ماجد" مش حرام يفر بجريمته؟ كل ده علشان مسنود؟ ده في نظري إجرامه أكبر وأخطر من أمثال "طارق" و"حسان" بمراحل.

- طبعا حرام وفساد يخرب أجدعها بلد طالما في اللي بيداري عليه. "نور" أنا عندي فكرة لو تحبي -تطلعت له متسائلة فأكمل- إيه رأيك تطلعي بكرة على الهوا مباشرة في برنامج (المحروسة) وتعرضي كل تفاصيل التحقيق بنفسك؟ صحيح التحقيق مش هيتنشر بنفس الطريقة اللي كان هينزل بها في الجريدة بس المهم الناس تعرف الحقيقة صح؟ هو ده الهدف.

نظرت له بإنبهار شديد وقالت:

- بس يا "ماجد" في حظر نشر يعني ده ممكن يكون خطر عليك وممكن يلغوا لك البرنامج بسببه.

هز "ماجد" كتفيه بلا مبالاة وقال لها:

- مش مهتم باللي هيحصل بعدها. المهم عندي دلوقتي فعلاً أي فاسد ياخد جزاءه. أنتي عارفة أني مسؤول عن إعداد البرنامج وتقديمه يعني متحمل المسؤولية كاملة متقلقيش أنا مش صغير وعارف بعمل إيه.

بدا التردد على وجهها فإبتسم وقال لها:

- مالك قلقانة ليه؟ لو قلقانة عليا قلت لك متحمل المسؤولية كاملة ومستعد لكل العواقب -ثم أكمل بلهجة ماكرة- وكمان صوتك حلو متخافيش يعني ممكن ييجي لك عرض عمل كمذيعة بما أنك بقيتي عاطلة دلوقتي.

ضحكت وأحمر وجهها خجلاً وشعرت بأنها أصبحت أقل توتر بكثير. وحده "ماجد" يمتلك دوماً تلك القدرة السحرية على تبديل حالها في لحظات.

وافقت على الفكرة وأتفقا على عدم إخبار أحد بالأمر حتى "هشام" و"شيرين". لم يكن "ماجد" يريد ترك أية فرصة لتسرب الخبر قبل موعد إذاعة البرنامج.

إستعدت "نوران" في اليوم التالي ووصلت لمقر الإذاعة قبل موعد البرنامج بساعتين. جلست مع "ماجد" وراجعا سوياً كل التفاصيل الخاصة بالتحقيق. كانت الفكرة جنونية وتنطوي على تحدي واضح ومباشر لمن أوصى بإصدار قرار حظر النشر، وكان "ماجد" يراهن على أن إذاعة التحقيق في برنامجه سيكون له دوي سيؤدي

في النهاية لإلغاء قرار حظر النشر وهو ما جعله يصمم أن يخاطر بإذاعة التحقيق في برنامجه.

بدأ البرنامج وقال "ماجد" المقدمة المعتادة ثم إنتقل لبداية ساخنة للحلقة وقال:

- النهاردة في برنامجنا المحروسة هنكشف لكم حقيقة ناس كتير متعرفهاش عن بلدنا. تعرفوا أن (مصر) بقت تحمل لقب (برازيل) الشرق الأوسط؟ للأسف دي مش حاجة كويسة لأن (مصر) هنا مش بتقارن مع (البرازيل) في حاجة مميزة ولا إيجابية إنما بتقارن بها في مدى إنتشار جرائم سرقة الأعضاء. (البرازيل) هي الدولة الأولى عالمياً في إنتشار الجريمة دي و(مصر) في المركز الثالث عالمياً والمركز الأول على مستوى الشرق الأوسط، والضحايا مين؟ الضحايا هم فقراء بيتاجروا في أجسادهم علشان مفيش عندهم أي مصدر للعيش، الضحايا أطفال مخطوفين وأطفال شوارع محدش بيحس بهم لما بيختفوا وبنات وشباب وكلهم سقطوا من ذاكرة وضمير البلد وضاعوا وإتحولوا لقطع غيار لمن يملك المال. النهاردة مش هناقش القضية دي بشكل عام لا اللي هتكلمكم صحفية قررت تقتحم عش الدبابير بنفسها ونجحت وكشفت قضية من أخطر قضايا الفساد في وقتنا الحالي. أنا هسيبها هي تقول لكم تفاصيل التحقيق اللي عملته بنفسها، أستاذة "نوران نبيل" إتفضلي.

شعرت "نوران" بدقات قلبها تتسارع وإنتابتها حالة من التوتر لكنها ركزت بكل طاقتها على ما ستقوله الآن. ذكرت نفسها أيضا أنها على الهواء مباشرة. أخذت نفس عميق وبدأت بالكلام قائلة:

- شكرا أستاذ "ماجد" لإستضافتي في برنامجك. في البداية عايزة أوضح نقطة مهمة جداً. أنا هنا بصفتي الشخصية فقط والمهنية كصحفية لكني لا أمثل الجريدة اللي بعمل بها أو كنت بعمل بها، أنا قدمت إستقالتي من الجريدة قبل ما أفكر أجي هنا وأتكلم في البرنامج.

انطلقت بعدها في سرد وقائع التحقيق على مدار ساعتين هي مدة البرنامج وكان "ماجد" محاور بارع بحق ونجح في ترتيب النقاط الهامة معها. تحدثت عن "حسان" و"أم بطة" وأشارت لحكايات "عبد الرحمن" و"وردة" و"طارق" وكل التفاصيل. لم تشر بشكل مباشر لإسم (مستشفى المنار) ولا "أنيس زهران" وإكتفت بالقول إن الطبيب المتهم يعمل لصالح واحدة من كبرى المستشفيات الإستثمارية في (مصر) يفترض فيها النزاهة والضمير لكن هذا لم يكن الحال. كانت تحاول بذلك حماية "ماجد" من رد الفعل المتوقع لإذاعة تحقيق محظور النشر في برنامجه، ولم يكن هدفها أيضا فضح أحد قدر ما كانت تسعى لكشف واقعة الفساد بدرجة كافية للفت إنتباه الرأي العام لها.

تحدثت أيضا عن (كفر أبو سالم) ومعاناة سكان تلك القرية وكيف أنهم منسيين تماماً ويعيشون على هامش الحياة. فاجأها "ماجد" في نهاية الحلقة بأن أعلن عن مبادرة يتبناها البرنامج لقبول تبرعات المواطنين والجمعيات الخيرية لإصلاح القرية وتوفير فرص عمل آدمية لسكانها بحيث تكون تلك القرية نواة إصلاح كافة المناطق العشوائية في (مصر) وإعادة المناطق الريفية التي تم

تجريفها وتحولت إلى أراضي جدباء وقاحلة إلى سابق عهدها كمناطق منتجة في (مصر).

إنتهت حلقة البرنامج وخرجت "نوران" مع "ماجد" من مبنى الإذاعة سوياً. إصطحبها لتناول الغداء وظلت صامتة طوال الطريق حتى وصلا للمطعم الذي دعاها فيه. نظر بدهشة لوجهها المحمر بشدة وسألها مبتسماً:

- مالك يا أستاذة؟ إيه الصمت ده كله؟ ده أنا مكنتش ملاحق على كلامك من شوية.

إبتسمت لمحاولته مداعبتها وقالت:

- خايفة يا "ماجد". خايفة عليك وخايفة من رد الفعل. حاسة أننا إتصرفنا صح وفي نفس الوقت حاسة أننا فتحنا باب جهنم. أنا مش خايفة على نفسي أنا فعلا خايفة عليك أنت ذنبك إيه بس تتورط معايا؟

ضحك وقال لها:

- يا ستي محدش هيموت ناقص عمر والمكتوب لنا هنشوفه، طالما بعمل اللي يرضي ضميري ميهمنيش أي حد وأنا قلت لك إني مستعد تماما للعواقب متقلقيش.

تنهدت ثم تذكرت أن هاتفها كان مغلق من قبل موعد بداية الحلقة وحتى الآن. أخرجته من حقيبتها وفتحته وما أن فعلت ذلك حتى فوجئت بإتصال من "شيرين". ردت عليها لتندفع "شيرين" قائلة:

- أنتي فين يا نورا؟ ايه اللي عملتيه ده؟ يخرب بيت دماغك وتهورك أنتي و"ماجد" اللي وافقك ع الفكرة المجنونة دي.

ردت عليها بهدوء:

- على فكرة دي والله كانت فكرة "ماجد" مش فكرتي.

صاحت بها:

- كمان؟ والله أنتوا الاتنين أجن من بعض ولايقين على بعض قوي.

شعرت "نوران" بخجل شديد عندما سمعت ذلك وردت عليها بغضب:

- "شيرين" بلاش الكلام ده لو سمحتي متتخيليش حاجات ملهاش وجود.

لم تهدأ "شيرين" وظلت على نفس اللهجة الحادة وقالت لها:

- "هشام" معايا هنا على فكرة سمعنا البرنامج سوا. أنتي فين أصلاً؟ الدنيا إتقلبت بعد الحلقة، (الفيس بوك) و(تويتر) ملهومش سيرة إلا التحقيق بتاعك والكل تقريبا فهم من كلامك أن المستشفى المقصودة هي المنار وفي الجريدة الأستاذ "أحمد" مذهول من اللي عملتيه و"رضا" هيتجنن اه لو تشوفي شكله! اللي أنتي عملتيه قمة التهور يا "نوران" وبجد إحنا خايفين عليكي مش هيسيبوكي.

ردت عليها "نوران" بهدوء وقالت:

- بصي يا "شيرين"، أنا من قبل ما أبدأ التحقيق وأنا عارفة كويس أن الموضوع مش سهل وأن فيه خطورة كبيرة لكني حلفت مش هتراجع ولا هخاف. إيه الفرق بين نشر التحقيق في جريدة ولا في برنامج إذاعي؟ الهدف أن الناس تعرف الحقيقة وده اللي عملته. وأيا كان اللي هيحصل لي مش مهم المهم أني عملت اللي يرضي ضميري.

تنهدت "شيرين" بحرارة وهتفت بها:

- يا "نوران" من حقي أخاف عليكي. أنتي عارفة ومدركة بتواجهي مين؟ أنا مش قادرة أتخيل رد الفعل هيكون أزاي ربنا يستر.

لم تكن "نوران" في حالة تسمح لها بتحمل القلق الهستيري من صديقتها فحاولت طمأنتها ثم أضافت قبل أن تنهي معها المكالمة:

- "شيرين"، أنا مجبتش سيرة "هشام" خالص ولا الخطة اللي عملها لمراقبة "طارق" والفيلا حرصا عليه يعني هو في أمان تام متقلقيش.

صاحت بها "شيرين" بغضب:

- هو أنا هخاف على "هشام" ومش هخاف عليكي يعني؟ خدي بالك من نفسك. أنتي في البيت؟

- لا أنا بره. هكلمك لما ارجع أو تعالي لي بالليل أوك؟

أنهت مكالمتها مع "شيرين" ونظرت لـ"ماجد" الذي ظل صامتاً إنتظاراً لإنتهاء المكالمة. وقبل أن يهم بالكلام دق جرس هاتفها

مجدداً. لم تكن بالفعل في حالة تسمح لها بإستقبال المزيد من المكالمات فأغلقت الهاتف مجدداً وأعادته لحقيبتها. قال لها "ماجد":

- توقعي رد فعل قوي خصوصا على مواقع التواصل ومكالمات لا نهائية وعروض لعمل لقاءات تليفزيونية وصحفية. الأيام الجاية هتكون صعبة يا "نوران" وأنا عن نفسي مستني أشوف هيعملوا إيه علشان اختراق حظر النشر إنما مش قلقان. المهم أنتي متكونيش لوحدك الأيام الجاية دي، عندك مكان تاني ممكن تروحي له ومتكونيش لوحدك؟

إبتسمت بحزن وقالت له:

- معنديش حد أروح له يا "ماجد"، مليش إلا عمة واحدة في الصعيد. أنا كنت فعلا بفكر أروح أزورها وأزور قبر بابا. يمكن دلوقتي وقت مناسب بما أني إستقلت وخلاص فاضية وحرة بس أنا مش ههرب يا "ماجد" مش ههرب ومش هستخبى. أنا هفضل في "القاهرة" لحد ما أشوف التحقيقات هتمشي أزاي. مش هحس أني عملت حاجة إلا لما أشوف الجاني خلف القضبان.

إبتسم وقال لها:

- كنت عارف أن ده هيكون موقفك. عموما خلي بالك من نفسك قوي يا "نوران" ومش محتاج أأكد عليكي أني موجود في أي وقت تحتاجي لي".

في نفس الوقت كان "خالد" يقتحم غرفة مكتب "منار" في المستشفى وبدا عليه الغضب الشديد. فوجئ بوجود "منار" ووالدها في المكتب وشعر أنه قطع مناقشة هامة بينهما.

توقف "خالد" وأخذ نفس عميق في محاولة للسيطرة على أعصابه عندما فوجئ بحماه وقال:

- مساء الخير يا عمي. حضرتك عرفت اللي حصل؟ صحيح الدكتور "طارق" أتقبض عليه وأنه متهم في قضية إتجار في الأعضاء؟

قبل أن يرد عليه الدكتور "أنيس" سبقته "منار" وردت عليه بإبتسامة متوترة:

- اه عرفنا طبعا يا "خالد". أنا كنت بتناقش مع بابا هنتصرف أزاي ولازم نطلع بيان ننفي فيه أي علاقة للمستشفى بالموضوع ده. واضح أنه كان له نشاط سري ووقع في شر أعماله.

نظر لها "خالد" بإستغراب وسألها:

- نشاط سري؟ يعني المستشفى ملهاش علاقة بالموضوع ده ولا كنتم على علم به؟

هب "أنيس" من مكانه غاضبا وقال له:

- طبعا ملناش علاقة بالموضوع ده خالص يا "خالد". والبنت الصحفية اللي عملت الدوشة دي كلها لازم تتعاقب هي والمذيع اللي إستضافها في برنامجه وعملوا لنا الشوشرة دي كلها. إحنا هنمشي قانوني وهم خالفوا القانون، القضية عليها حظر نشر.

بدا "خالد" متشككا بشدة وهو ينقل بصره بين وجهي زوجته ووالدها. وجه كلامه لحماه قائلاً:

- طالما المستشفى ملهاش علاقة بالجريمة دي حضرتك متنرفز ليه؟ أنا سمعت حلقة البرنامج كلها والحقيقة هم مجابوش سيرة المستشفى خالص. ده المفروض نشكرها لأنها فضحت واحد زي "طارق" ومش فاهم بالضبط ليه في حظر نشر على القضية أصلاً؟ في حاجة غريبة ومش مفهومة في الموضوع.

تبادل "أنيس" وإبنته نظرة ذات مغزى وقال وهو يخرج من المكتب بخطوات متسارعة:

- أنا رايح أشوف الموضوع ده وأنتي يا "منار" إتكلمي مع "خالد".

نظر "خالد" لـ"منار" بتوتر بعد مغادرة والدها وقال لها:

- تتكلمي مع "خالد" تقولي له إيه؟

قالت له وهي تحاول وضع أكبر كم ممكن من الهدوء والدلال في صوتها:

- مفيش يا حبيبي بابا قصده نتكلم في الموضوع ده يعني. إحنا مستشفى محترمة ولها سمعتها مينفعش حاجة زي كده تشوشر علينا.

قال لها ببرود:

- برضة مش فاهم شوشرة أزاي؟ دكتور مجرم إتقبض عليه بره المستشفى ونشاطه بعيد عن المستشفى يبقى إيه علاقة

المستشفى؟ حتى لو أتقال إنه شغال هنا ده ملهوش أي ضرر علينا ما هو كده كده هيطلع له قرار فصل حالاً، وباباكي قال إنه هيطلع بيان يقول فيه إن المستشفى ملهاش صلة بالمدعو "طارق". أنا مش فاهم أنتوا خايفين من إيه ومتوترين ليه؟

- يا "خالد" ما أنت عارف العيار اللي ميصبش يدوش وإحنا مرضانا كلهم ناس هاي كلاس ولنا برستيجنا برضة.

صمت "خالد" لحظات ثم نظر لها من جديد متشككا وقال:

- "منار"، بمناسبة المرضى الهاي كلاس، أنا لاحظت أن عمليات زراعة الأعضاء كتيرة في المستشفى. إيه مصدر الأعضاء دي؟ مش دائما بيكون في مع المريض متبرع من أسرته. إيه الحكاية يا "منار"؟ هي الأعضاء متاحة ومتوفرة كده على طول بسهولة؟ أنا فعلاً ملاحظتش قبل كده ولا إنتبهت. دلوقتي للمرة الأولى بلاحظ ده.

بدا الإرتباك واضحاً عليها وهي تقول:

- مش وقت الكلام ده يا "خالد" ورانا حاجات أهم بعدين نتكلم.

همت بالخروج من المكتب عندما أمسكها "خالد" من ذراعها بشيء من العنف وقال لها:

- يعني إيه بعدين؟ هي إيه الحكاية؟ "منار"؟ المستشفى لها يد في اللي حصل ده؟ أنتوا كنتوا عارفين اللي "طارق" بيعمله؟ ردي عليا من فضلك.

جذبت ذراعها من يده بعنف مماثل وقالت بغضب شديد:

- إياك تعمل كده تاني أنت فاهم؟ قلت لك بعدين أنا مش فاضية دلوقتي للكلام ده.

خرجت من المكتب وأغلقت الباب خلفها بقوة. تهاوى "خالد" على أقرب مقعد له وهو يحاول طرد فكرة أن تكون زوجته وحماه متورطين بشكل مباشر في جريمة سرقة الأعضاء. بدا له الأمر منطقياً تماماً نظراً لرد فعلهم العنيف والمتوتر بشكل لا يخفى على أحد. الأمر أكبر من تورط طبيب يعمل بالمستشفى في قضية من هذا النوع. ثم هناك حظر نشر في القضية دون سبب منطقي. كل الأدلة تشير لتورطهم بالفعل.

لم يدر ماذا عليه أن يفعل الآن. المذهل في الأمر بالنسبة له كان صلة "نوران" بالأمر كله. من دون جميع الصحفيين في (مصر) تكون هي المسؤولة عن هذا التحقيق. خطر له خاطر مزعج أن تكون فعلت كل ذلك بدافع الإنتقام منه، هل هذا ممكناً؟؟!! شعر بضيق شديد لتخيل الفكرة. لكنه يعرفها جيداً. مستحيل أن يكون الدافع إنتقامياً. ثم لو المستشفى متورطة بالفعل فستكون قامت بعملها فقط كما يحتم عليها ضميرها المهني.

تنهد بعمق وقال محدث نفسه:

- غريب قدرنا يا "نوران"، بيجمعنا في صدف عجيبة وكل ما نقرب بنكون في الحقيقة بنبعد لأبعد مدى عن بعض.

أمضت "نوران" بقية اليوم في منزلها في تصفح مواقع التواصل ومعرفة رد الفعل على حلقة البرنامج. كان "ماجد" محقاً فيما ذكره حيث كانت قضية سرقة الأعضاء حديث الساعة على كافة المستويات وفوجئت "نوران" بسيل من الرسائل وطلبات الصداقة ينهال عليها. بدا الأمر جنونياً بالنسبة لها. لكن مدى الإهتمام العام بالقضية بعث في نفسها شعوراً بالإرتياح. كان أهم شيء بالنسبة لها أن تلفت أنظار الناس لمشكلة البؤر المعدمة في (مصر) ويكون هناك ردع للفساد أياً كان مستواه. شعرت أن أحلامها ربما كانت مثالية أكثر من اللازم لكنها كانت تتمنى على الأقل تحقيق الحد الأدنى منها.

إتصل بها "ماجد" بعد التاسعة بقليل. كانت تشعر بقلق منذ أن تركته لأنها كانت ترغب في معرفة كيف سيتم التعامل معه بعد إنتهاكه قرار حظر النشر. جاءها صوته عبر الهاتف مبتهجا بشدة وهو يقول:

- "نوران"، مش هتصدقي أبداً اللي حصل. تخيلي؟ البرنامج لم يتم وقفه زي ما كنت متوقع وعارفة حصل إيه كمان؟ قرار حظر النشر أتلغى وبكرة الصبح هتلاقي كل الصحف بتتكلم عن القضية.

عقدت المفاجأة لسانها وسألته بدهشة:

- "ماجد" أنت بتقول إيه؟ قرار حظر النشر أتلغى أزاي وأمتى وليه؟ أنا مش فاهمة حاجة أبداً. أومال ليه فرضوه من الأول لما هيلغوه بعد يومين؟

أجابها بنفس الصوت المبتهج:

- أنا مش عارف التفاصيل بس تقريبا كده الرئاسة وصلها اللي إتذاع في حلقة البرنامج أو الرئيس نفسه كان بيسمعه وبناء عليه صدر قرار يلغي القرار السابق بحظر النشر.

سألته ولا زالت المفاجأة تغمُرها تماما:

- يعني إيه يا "ماجد"؟ أنا برضة مش فاهمة. إيه اللخبطة دي؟ حظر النشر من الأول كان بسبب صلة "أنيس زهران" بالقضية وبعدين لما قررنا نذيع تقرير عن التحقيق في برنامجك توقعنا عقوبة قانونية لإنتهاك حظر النشر وبدل من كده نلاقي القرار نفسه أتلغى؟ "ماجد" أنت عارف أن "أنيس زهران" صديق قديم للرئيس نفسه؟

- أنا برضة حسيت بنفس اللخبطة ومكنتش فاهم أي حاجة. أكيد الناس كلها عارفة صلته بالرئيس بس تقريبا كده حسب تخميني للأمور الرئيس محبش يتقال إن في تستر على أي حد بسبب صلته الشخصية به. يمكن ده السبب، أنا بخمن مش أكتر لأني فعلا مش فاهم وبرغم أننا مقولناش إسم (مستشفى المنار) مباشرة في الحلقة بس كان واضح ومفهوم ضمنياً أنها المستشفى المتصودة. المهم أنا قلت لك علشان تبقي متابعة آخر التطورات. فتحتي (الفيس بوك) وشوفتي ردود الأفعال؟

ردت مبتسمة:

- اه فتحته وممكن الأكونت بتاعي يطير من كتر طلبات الصداقة والرسائل، وقفلت على طول معنديش طاقة لمتابعة كل ده.

ضحك وقال لها:

- ده متوقع يا نور. المهم أنا هفضل متابع معاكي أي مستجدات وأنتي كمان ضروري تطمنيني عليكي طول الوقت وكمان تبلغيني بأي جديد وخلي بالك من نفسك.

ردت عليه بأنها ستفعل وشكرته. إتصلت بها "شيرين" للإطمئنان عليها وتحدثت معها ومع "هشام" مطولاً. كانا يريدان الإطمئنان عليهاَ وألحت عليها "شيرين" كثيراً أن تبيت معها الليلة لكنها رفضت وأخبرتهما أنها بخير.

كان "ماجد" و"هشام" و"شيرين" الوحيدين الذين لديهم رقم هاتف منزلها وحمدت الله على ذلك لأنها لم تكن ترغب في ترك هاتفها المحمول مفتوح لتلقي أية إتصالات.

في صباح اليوم التالي خرجت "نوران" وذهبت لأقرب بائع صحف ووقفت تلقي نظرة على العناوين المنشورة. كان "ماجد" محقاً حيث كان الحدث الأبرز في جميع الصحف هو فضيحة (مستشفى المنار) وتورط إسمها في قضية سرقة أعضاء.

لم يتوقف هاتفها عن الرنين مثلما توقعت هي. جاءتها عشرات الإتصالات من قنوات تليفزيونية وبرامج متنوعة ترغب في إستضافتها وعمل لقاء معها حول التحقيق. الطريف أيضا كان تلقيها العديد من عروض العمل من عدة صحف. ردت بالرفض

على الجميع. لم تكن راغبة أبدا في الظهور إعلامياً بأي شكل حيث أكتفت بأن التحقيق حقق هدفه وهذا هو الأمر المهم. لم تكن أيضا تشعر أن الوقت مناسب لمناقشة أية عروض عمل. كان لديها إحساس أنها تحتاج فترة هدنة مع العالم كله، وكأنها وصلت لمفترق طرق وصار عليها حتما أن تختار الطريق الذي ستسلكه بقية حياتها.

تسبب قرار إلغاء حظر النشر وتصدر إسم (مستشفى المنار) عناوين الصحف بهذا الشكل في غضب شديد لـ"أنيس زهران" الذي أقسم بأن يكون إنتقامه من "نوران" مدمراً. خرج في ذات الصباح غاضباً من منزله وإتجه على الفور لمكتب "كمال عشري" الذي بدا كأنه في إنتظار تلك الزيارة.

صاح "أنيس" ما أن أصبح داخل مكتب "كمال":

- شوفت اللي حصل؟ الملعونة دي خربت الدنيا. المصيبة الأكبر أن قرار حظر النشر أتلغى بعد يوم واحد من صدوره وكده كله بقى على عينك يا تاجر. حتى لو هنعمل حاجة مش هنلحق الموضوع بيكبر يا "كمال" الحل إيه دلوقتي؟

كان "كمال" على نفس الدرجة من التوتر والغضب وقال له:

- المشكلة يا "أنيس" أنه غضب جدا لما عرف أن في حظر نشر في قضية زي دي مش مستاهلة حظر نشر. تقريباً خاف إسمه يجي في الموضوع بإعتباره بيجامل أصحابه وأنت عارف المتربصين له كتير ودي فرصة ذهبية للتشهير به وكمان غضب لأنه اعتبر قرار حظر النشر إستغلال للسلطات في مسألة شخصية. أنت تعرف أنه

إتصل بيا وبهدلني علشان عرف أن حظر النشر كان بتدخل مني وحذرني تحذير شديد اللهجة من تكرار نفس الخطأ وإلا أتحمل النتيجة وأنت عارف ده معناه إيه، ده كويس أنه أكتفى المرة دي بتحذيري بس. -ثم فرك جبهته مفرغا بعض توتره وأضاف- المصيبة كمان أن "طارق" و"حسان" إتصرفوا في التحقيقات بطريقة عليا وعلى أعدائي وإعترفوا بكل حاجة بالتفصيل. الشيء اللي عرفته وسبب قلقي أن الشيكات اللي كانت بتتصرف لهم كانت بتطلع فعلا من حساب خاص تابع لحسابات المستشفى أنت عارف أن ده لوحده دليل إدانة، أنت ازاي ترتكب غلطة زي دي؟ أنا كنت فاكرك حذر أكتر من كده.

أجابه "أنيس" بنفس الدرجة من التوتر:

- وأنا كنت أعرف منين أن في واحدة صحفية هتطلع لنا في المقدر زي عفريت العلبة وتخرب كل شيء؟ ده حتى الشغل كله كان بعيد عن المستشفى خالص. ازاي قدرت تعمل كل ده وفي وقت قصير كده؟ ده شغل أبالسة، ازاي قدرت تربط كل الخيوط ببعضها ده اللي هيجنني!!

قال له "كمال" بغضب:

- أنا عارفها أنت هتقول لي عنها. عارفها كويس من زمان، بس مكنتش متخيل أنها لسه فاكرانا وحاطانا في دماغها.

نظر له "أنيس" بتساؤل وقال بدهشة:

- حاطاكم في دماغها؟ حاطة مين وليه يا "كمال"؟

لوح "كمال" بيده وهو يقول:

- مش مهم سيبك دلوقتي من الموضوع ده. المهم لازم نلاقي طريقة نخرجك بها من المطب ده. لا ده مش مطب دي كارثة يا "أنيس" أنت طبعاً مدرك أبعاد الموضوع ودلوقتي ملكش ضهر تتسند عليه. اللي كان ممكن يسندك هو بنفسه اللي تخلى عنك. ما هو بصراحة مكنش هيقدر يداري عليك والأدلة مؤكدة ضدك، مستحيل يورط نفسه في حاجة زي كده، مش هيخاطر بإرتباط إسمه بقضية أدلتها قوية للدرجة دي.

بدا "أنيس" منهاراً تماماً ولم يدر ماذا يقول، وصمت "كمال" لحظات مفكراً ثم قال:

- هو إحنا ممكن نحارب البنت دي بنفس سلاحها. ده ممكن ميكونش مؤثر قوي في مواجهة الأدلة ضدك بس ممكن يدينا فرصة لكسب وقت وإثارة شكوك حول الدوافع، وكمان ممكن يحشد رأي عام في صفنا وده مهم ونشوف محامي شاطر يستغل ده كويس، أكيد هنلاقي.

نظر له "أنيس" متسائلاً فقال له:

- ده شغلي سيب المسألة دي عليا، ولو عايز نصيحتي خد "منار" و"خالد" وسافروا بسرعة النهاردة قبل بكرة لأنها مسألة وقت وهيصدر قرار إستدعائك للتحقيق.

غادر "أنيس" مكتب "كمال" وعاد لمنزله. إتصل بـ"منار" وأخبرها أن تستعد هي و"خالد" ليسافرا معه لـ(فرنسا).

أنهت "منار" مكالمتها مع والدها وأخبرت "خالد" الذي لم يغادر المنزل منذ عودته بالأمس ولم يتبادل معها حرف واحد بقرار والدها بسفرهم جميعاً.

أجابها بهدوء وهو يتصفح الإنترنت دون أن يرفع بصره لها:

نسافر ليه؟ نهرب مثلا؟ بلغي باباكي أني مش ههرب أنا معملتش حاجة أهرب منها. لو عايزة تسافري معاه أتفضلي براحتك أنا مش مسافر.

نظرت له بغيظ وصاحت به:

- أنت ليه على طول زي الشريك المخالف كده؟ هو أنا مش مراتك؟ ميهمكش مصلحتي طيب؟ ثم مين قال إننا بنهرب؟ ما إحنا كنا عايشين بره فعلا هنرجع تاني إيه المشكلة؟

هب "خالد" من مكانه وصاح بغضب:

- قلت لك أنا مش ههرب يا "منار". أنا معنديش حاجة أخاف منها. عايزة تسافري مع باباكي سافري. أنا مش مسافر ده آخر كلام عندي.

تركته وصعدت للطابق العلوي وجسدها كله يرتجف غضبا. تابعها "خالد" بنظره في صمت وفي داخله تصارعت مشاعر عديدة ومتناقضة ليس أقلها الأسف الشديد.

*****

(12)

عادت "نوران" لمنزلها مع حلول المساء بعد أن أمضت اليوم كله بمفردها في الخارج، كانت تشعر بحالة من الخفة وصفاء الذهن لم تعشها منذ أمد بعيد. إتصلت بها "شيرين" عدة مرات للإطمئنان عليها وأخبرتها أن الأستاذ "أحمد" رئيس التحرير سأل عنها وأخبرهها بشكل غير مباشر أنه في إنتظار عودة "نوران" للعمل وأنه لم يقبل إستقالتها حتى اللحظة وإنما أعتبرها في أجازة مفتوحة.

ردت عليها بأنها لا تفكر في العودة للجريدة في الوقت الراهن وربما لا تعود أبداً، وأنها لم تحدد بعد ما الذي ستفعله بحياتها لكنها أخبرتها أنها ستسافر لزيارة قبر والدها وبعد عودتها يمكنها مناقشة أي شيء.

عرضت عليها "شيرين" أن تأخذ أجازة بدورها هي و"هشام" ويذهبا معها كي لا تكون بمفردها لكنها طمأنتها بأنها ستكون بخير وأنها ستقيم لدى عمتها التي لم ترها منذ وفاة والدها تقريبا ووعدتها بألا تسافر قبل أن تودعها هي و"هشام".

كانت "نوران" تقوم بإعداد حقيبتها إستعداداً للسفر في اليوم التالي عندما دق جرس الهاتف وكان "ماجد" المتصل. فوجئت به يحدثها بنوع من الجمود والبرود وقال لها بإيجاز:

- نوران" ممكن لو سمحتي تفتحي قناة (حديث الساعة) فوراً؟ أظن يهمك تشوفي اللي بيعرضوه دلوقتي.

أجابته بشيء من السخرية:

- حد كان قالك إني محتاجة حد يرفع ضغطي يا "ماجد"؟ أنت عارف أن القناة دي مش ضمن دائرة إهتماماتي خالص ويمكن كمان متكونش موجودة عندي ولا أعرف ترددها.

أجابها بصوت تسللت له بعض الحدة:

- ممكن لو سمحتي تسمعي الكلام وتبطلي جدال؟.أفتحي القناة حالاً.

شعرت بالقلق وسارعت بفتح التليفزيون والبحث عن القناة وما أن وصلت لها حتى فوجئت بهذا الإعلامي الذي يدور برنامجه كله حول التحريض والتحريض المضاد وإثارة الرأي العام يتحدث عن قضية (مستشفى المنار). كانت المفاجأة أنه لا يتحدث عن القضية نفسها وملابساتها وإنما كان يعرض على الشاشة صورة تظهر فيها "نوران" و"خالد" معاً وبدا كلاهما ضاحكاً في وجه الكاميرا. تذكرت الصورة على الفور حيث كانت "شيرين" إلتقطتها لهما منذ أعوام طويلة في الأيام الأولى لعلاقة "نوران" بـ"خالد". شعرت بصدمة أفقدتها القدرة على الوقوف على قدميها وشعرت بالأرض تميد بها فجلست على طرف المقعد وهي تسمع ما يردده مقدم البرنامج عنها وهو يقول:

- الموضوع واضح يا سادة. الأستاذة كانت على علاقة بالدكتور "خالد العشري" مدير (مستشفى المنار) وزوج بنت اللواء دكتور "أنيس زهران" وكلنا عارفين مين الرجل العظيم ده وسمعة المستشفى بتاعته اللي فوق مستوى الشبهات. الأستاذة ملقتش

طريقة تنتقم بها من الدكتور "خالد" إلا أنها تثير بلبلة وضجة حول المستشفى، كل ده بدافع تام من الإنتقام. أنا مش بجيب حاجة من عندي الدليل قدامكم أهو على الشاشة. علشان تعرفوا بس أن في مبالغة قوي في التعامل مع القضية والجميع واخدها من جانب واحد بس، طب ده ينفع؟ إحنا بقى علشان مبناخدش الأمور بسطحية كان لازم نبص للأمور من كل الزوايا ونفهم أصل الموضوع إيه؟

أخرستها المفاجأة تماماً في حين كان "ماجد" لا زال معها على الهاتف وتنبهت على صوته وهو يقول:

- ألو، "نوران" أنتي معايا ولا رحتي فين؟

ردت عليه بخفوت:

- أيوة يا "ماجد"، أنا معاك.

سألها:

- شايفة اللي بيتقال؟ شايفة الوضاعة والحقارة وصلت لدرجة إيه؟ تقدري تقولي لي الصورة دي وصلت البرنامج أزاي؟

إنتبهت إلى أنها بالفعل لم تسأل نفسها هذا السؤال حتى طرحه "ماجد". هل معقول أن يكون "خالد" هو من فعل ذلك؟

فهمت على الفور أن هذا هو ما يشير له "ماجد" فسارعت بالرد:

- لا لا مستحيل يا "ماجد". "خالد" مستحيل يعمل كده صدقني.

رد عليها بغضب واضح:

- إيه الثقة المبالغ فيها دي؟ يعني اللي يخليه يتاجر في موت الناس كنوع من البيزنس المربح يخليه يعمل أي حاجة.

عضت شفتها بألم وترددت لحظات ثم قالت:

- بص بغض النظر عن أي حاجة فعلا أنا لا أظن أبداً "خالد" له علاقة لا بموضوع الصورة ولا بموضوع تجارة الأعضاء. أعتقد أنه ميعرفش.

تنهد "ماجد" في ضيق وقال لها:

- مش موضوعنا دلوقتي كله هيبان. المهم ناوية تعملي إيه في المهزلة اللي في التليفزيون دي؟

أجابته بمرارة:

- هعمل إيه يعني يا "ماجد"؟ إبن حزم بيقول "من تصدر للعمل العام فعليه أن يتصدق بجزء من عرضه". مش هشغل بالي بالموضوع ده خالص هتجاهل الباطل علشان يموت، وصدقني المهم عندي أن التحقيق حقق أهدافه أو بعضها على الأقل.

صمت ثواني مفكراً ثم قال لها:

- أعتقد ده القرار السليم. عموماً ربنا معاكي. قولي لي ناوية تعملي إيه دلوقتي؟

سألته بدهشة:

- بخصوص إيه؟

- بخصوص شغلك.. يعني هترجعي الجريدة ولا هتدوري في مكان تاني؟ وكمان يا "نوران" مش آن الأوان انك تبدئي كتابة بقى؟ أنا بتمنى أنك تحاولي على الأقل.

أخبرته بموضوع سفرها وقالت له إنها ستؤجل التفكير في كل شيء حتى عودتها.

في نفس اللحظة كانت "منار" في حالة غضب شديد وهي تشاهد البرنامج، أقتحمت على "خالد" غرفته وفتحت التليفزيون على نفس القناة وصاحت بوجهه:

- ممكن تشرح لي إيه ده بالضبط؟ أنت إيه علاقتك بالبنت دي؟

قفز "خالد" واقفاً عندما شاهد ما يقال في البرنامج وصورته مع "نوران" وقال مذهولاً:

- إيه ده؟؟؟ الصورة دي وصلت البرنامج ده أزاي وإيه العك اللي بيتقال ده؟

صاحت فيه "منار" بنفس النبرة الغاضبة:

- وأنا مالي وصلت أزاي أنا بسألك الكلام ده صحيح؟ هو أكيد صحيح وإلا الصورة دي جت منين؟ أنت على علاقة بالبنت دي؟ علشان كده هي فضلت تحفر ورانا لحد ما فضحتنا كده؟

بدا الغضب الشديد على وجهه وفهم على الفور أن لوالده صلة بالأمر. كان يعلم أساليبه جيدا ومن الواضح انه فتش في أوراقه القديمة حتى عثر على الصورة وأستغلها بهذا الشكل.

زادت ثورة "منار" لما وجدت أن جل اهتمام زوجها منصب على كيفية وصول الصورة للبرنامج فصاحت به مجدداً:

- أنا بكلمك رد عليا، إيه علاقتك بالبنت دي؟

رد عليها بثورة مماثلة:

- هي لها إسم على فكرة، وكمان هي مفضحتش حد هي عملت شغلها وبس واللي ماشي سليم مبيخافش من حد. ما هو متبقوش ماشيين غلط وتيجوا تعيطوا لما حد يكشف غلطكم ولا إيه يا دكتورة؟

نظرت له بعينين تغليان من الغضب وبدا أن رده كان غير متوقع تماما بالنسبة لها فصاحت فيه:

- غلط إيه اللي عملناه؟ ناس مش لاقيين العيش الحاف وبييجوا لنا برجليهم وبياخدوا فلوس مش بناخد منهم حاجة ببلاش يبقى فين الغلط؟ وهم عايشين أصلاً؟ ده حتى موتهم رحمة. وبعدين هو كل اللي يهمك في الأمر أنك تدافع عن ست الحسن؟ أنت نسيت أنك متجوز؟ أدي نهاية مشيك معاها دمرتنا كلنا.

لم يشعر بنفسه وهو يصفعها بقوة ويقول بغضب:

- ماشي مع مين؟ أنتي مش حاسة أنتي بتقولي إيه أصلاً.

نظرت له بذهول من أثر الصدمة وقالت بصوت بدأ يختنق بغضب ممزوج بالدموع:

- ماشي يا "خالد"، مش "منار زهران" اللي يتعمل فيها كده، ماشي.

صعدت على الفور وأخذت حقيبتها التي أعدتها للسفر وسارعت بمغادرة المنزل. لم يحاول "خالد" منعها وجلس يفكر فيما آلت إليه الأمور. كان أول ما فعله هو الإتصال بوالده وقال له بصرامة:

- ممكن ملكش دعوة بـ"نوران"؟ اللي بتعمله ده مش هيقدم ولا هيأخر وأنت عارف ولو هدفك إثارة شكوك حول دافع القضية يستغلها محامي معدوم الضمير تبعكم تبقى غلطان، واضح أن الأدلة ثابتة على المستشفى فمفيش داعي تشوه سمعة بنت أتقي الله ده لو العبارة دي لها معنى عندك.

أجابه والده ببرود:

- أتقي الله؟ حاضر يا سي الشيخ "خالد" والهانم اللي أنت محموق عليها متقتش الله ليه لما دمرت سمعة مستشفى كبيرة بالشكل ده؟ إشمعنى (مستشفى المنار) تحديداً اللي ركزت معاها قوي كده؟ تفتكر دي أول ولا آخر مستشفى تعمل كده؟ أنت مش عايش في عالم مثالي إحنا في عالم كله غيلان والبقاء فيه للأقوى.

شعر "خالد" بغثيان من كلام أبيه وقال له:

- لما درست الطب مكنتش عايز أعيش في عالم غيلان. كان كل هدفي أساعد الناس وأكيد مساعدتهم مكنتش تشمل أني أجردهم من آدميتهم وأحولهم لقطع غيار وبأرخص سعر كمان. "نوران"

معملتش إلا واجبها وأنت عارف كويس أنها لما بدأت التحقيق مكنتش تتخيل أبداً أنه هيوصلها للمستشفى العظيمة وصاحبها الشهير لكن الصدفة والقدر وعدل ربنا علشان يكشف الجريمة البشعة دي. إبعد عن "نوران" من فضلك وصدقني أنا قاعد في البيت مستني إستدعاء النيابة وعارف أنه جاي لكن مش ههرب، أنا مش مجرم علشان أهرب ومستعد لأي شيء يبقى اللي بتعمله ده بتعمله ليه؟ ولحماية مين؟ صاحبك وبنته مسافرين بعد ساعات.

أجابه والده بصوت قاسي كالفولاذ:

- متتدخلش في شغلي وأنت حر لو مش عايز تسافر خليك منتظر إستدعاء النيابة أنا مليش دعوة بيك طول عمرك غبي وعاطفي وده اللي جايبك ورا.

أنهى "خالد" مكالمته مع والده وجلس يفكر قليلاً ثم قرر الإتصال بـ"نوران". أتصل بها على هاتف المنزل لما وجد هاتفها المحمول مغلق، وما أن ردت حتى إستشعر الحزن الذي يغلف صوتها. قال لها مباشرة:

- "نوران"، أنا آسف على اللي بيحصل ده. صدقيني مش أنا اللي عملت كده أنتي عارفاني بغض النظر عن أي شيء حصل بينا، مش أنا يا "نوران". على فكرة أنا مهربتش أنا بريء يا "نوران" وفعلاً مكنتش أعرف ولا شاركت في الجريمة دي صدقيني أرجوكي. أنا منتظر مصيري وعارف أني أكيد هتورط لأني مدير المستشفى لكن معنديش اللي أخاف منه طالما متأكد أني معملتش حاجة.

كان آخر ما تحتاجه "نوران" الآن هو الإرتباك الذي يحدثه تواصل "خالد" معها. لازال تأثيره بالنسبة لها كتأثير مغناطيس قوي على برادة من الحديد يبعثرها كيفما يشاء. ردت عليه بإيجاز شديد وشكرته لإتصاله وأنهت المكالمة بأسرع ما يمكن. لكن برغم كل شيء شعرت بالإرتياح لأن حدسها لم يخدعها وأنها كانت بالفعل شبه متيقنة من عدم وجود صلة لـ"خالد" بكل ما يحدث.

في اليوم التالي كانت تقطع طريق الصعيد الطويل بسيارتها عائدة إلى بلدة أبيها. شعرت بإنتعاش يمس روحها بسبب الهواء النقي في الصباح الباكر، هواء بكر لم تلوثه خطايا البشر بعد. وصلت بعد الظهيرة بعد رحلة طويلة لكنها لم تكن مرهقة لـ"نوران" التي كانت متشوقة لزيارة قبر والدها. ذهبت مباشرة لمنزل عمتها التي إستقبلتها بترحاب شديد هي وأسرتها. خصصت لها عمتها غرفة الضيوف الموجودة بالطابق العلوي بمنزلها وشعرت "نوران" بإرتياح شديد ما أن دخلتها حتى قامت بتبديل ثيابها وفتحت الشباك لتغمر الغرفة أشعة الشمس الدافئة وروائح الحقول القريبة والأشجار المثقلة بالثمار مع حلول الربيع. أستلقت على الفراش وعلى الفور أستسلمت لنوم عميق ومريح لم تنعم بمثله منذ زمن. تركتها عمتها لترتاح من السفر الطويل وأيقظتها مع حلول المساء لتتناول الطعام بعد أن أعدت لها مائدة عامرة بأصناف لم تذقها "نوران" منذ أعوام. وما أن جلست لتتناول الطعام حتى دق جرس هاتفها فصعدت مسرعة للغرفة للرد. نظرت للشاشة فوجدت أن شقيقها هو المتصل. ضغطت زر الرد وقبل أن تتفوه بكلمة أنفجر فيها بصوت غاضب:

- إيه اللي بتهببيه ده؟ أنتي أتجننتي خلاص؟ بتناطحي "أنيس زهران" شخصياً؟ وإيه الفضايح دي يا هانم؟ صورك بقت تتعرض في التليفزيون بالشكل الفج ده. مش عارف أقولك إيه! إحنا هنتجنن هنا من اللي حصل ده و"سهام" رايحة جاية تكلم نفسها وتقولي هنعمل إيه في الفضيحة دي؟

هبت واقفة وإنتابها غضب شديد وهي تصيح بأخيها:

- فضيحة؟ فضيحة يا "عمر"؟ أنا بعمل فضايح؟ بقولك إيه؟ مش "سهام" شايفة أني بعمل لكم فضايح؟ إنساني خالص يا "عمر" ولما حد يسألك عني قل لهم معرفهاش، مش أختي ده تشابه أسماء بس.

كانت ترتجف من شدة الغضب وسمعت شقيقها يقول بحدة:

- هو أنتي محدش عارف يكلمك؟ يعني تعملي الغلط وعاوزاني أصقف لك وأقول لك برافو؟

ردت عليه بصوت حاولت أن يبدو هادئاً لكنه خرج حاداً رغما عنها:

- أنا معملتش ولا بعمل غلط يا "عمر". أنا عملت الصح واللي أملاه عليا ضميري. كونك شايفه غلط وكون مراتك شايفة أني بعمل لكم فضايح دي مش مشكلتي خالص أنا مش مضطرة أدافع عن نفسي قدام حد طالما ماشية صح وبما يرضي الله.

صمت "عمر" وشعر أن النقاش وصل طريقاً مسدوداً مع شقيقته فسألها:

- أنتي فين دلوقتي؟ أنا كلمتك على تليفون البيت الأول محدش رد.

أخبرته أنها سافرت لبلدتهم في الصعيد لزيارة عمتها وقبر والدها، ثم تذكرت أمر هام وقالت له:

- بقولك إيه يا "عمر" ... أنا عايزة أعمل إعلام وراثة.

سألها مندهشاً:

- إعلام وراثة؟! ليه وأشمعنى دلوقتي ده بابا مات من بيجي 3 سنين ومفكرتيش في الموضوع ده قبل كده برغم إلحاحي عليكي.

- أنت لك صورة بطاقة وسط أوراق بابا صح؟ هضمها لورق إعلام الوراثة. اللي عرفته يا "عمر" من خلال ورق بابا أنه باع كل ما يملك في البلد وحط الفلوس في البنك. كان شايلها علشان لما يلاقي متبرع يقدر يعمل العملية لكن ربنا ما أرادش. المبلغ اللي في البنك دلوقتي 120 ألف جنيه شوف لو عايز نصيبك فيهم بلغني ولو مش عايز أنا عندي مشروع عايزة أعمله ويكون صدقة جارية على روح بابا إيه رأيك؟

سألها "عمر" ما أن سمع كلمة (مشروع) عن مقصدها فقالت له موضحة:

- مش مشروع تجاري يا "عمر" بقولك صدقة جارية. كنت بفكر أفتح مركز طبي صغير يكون فيه وحدة تحاليل طبية وعيادة باطنة في منطقة سكانها على قد حالهم ومش بيلاقوا ثمن العلاج.

صمت مفكرا ثم قال:

- الفكرة دي حلوة جدا يا نورا. بصي أنا الحمد لله ربنا فتحها عليا قوي ومش محتاج فلوس. إعملي إعلام الوراثة وأمشي في إجراءات المركز الطبي. دي أجمل صدقة جارية ممكن نعملها لبابا.

تهللت أساريرها عندما علمت برغبة أخيها في المشاركة بنصيبه في المال الذي تركه لهما والدهما في مشروع المركز الطبي ووعدته بأن تخبره بالتطورات أولاً بأول.

في صباح اليوم التالي إرتدت فستان بسيط أسود اللون وخرجت بمفردها إلى المقابر. وصلت لقبر أبيها ووقفت أمامه بمشاعر مختلطة ما بين حنين وشوق لوالدها وشعور بالوحدة والوحشة الشديدين. بدأت بقراءة الفاتحة ،وما أن أنتهت حتى شعرت بدموع تحتشد في عينيها. هل يعقل أن يكون أبيها على تلك الدرجة من القرب فلا يفصل بينهما سوى جدار من الحجارة ولا تستطيع أن تراه أو تأنس بوجوده؟ أتراه يشعر بها وبألمها؟ هل سرته زيارتها فعلاً وكما يقولون الموتى يسعدون بزيارة الأحياء لهم؟

لم تدرك كم مر من وقت وهي واقفة أمام قبر أبيها تقرأ القرآن وتدعو له وقد غامت عينيها بالدموع. وقفت "نوران" لحظات صامتة وأرتجفت شفتيها وهي تناجي أبيها الراحل:

- تعرف أنك وحشتني قوي؟ أكيد أنت عارف وحاسس. قلبي بيقولي إنك حاسس. تعرف كمان أني زعلانة منك قوي؟ زعلانة علشان حرمتني من أني أراعيك وأتحمل معاك ألمك وسبت لي إحساس بالذنب هيفضل ينهشني طول عمري. أنا أزاي كنت

أنانية وغبية للدرجة دي؟ أزاي إنشغلت بأوهامي عنك وأنت اللي عمرك ما انشغلت بحاجة في الدنيا غيري؟ حتى في قمة ألمك كان كل اللي يهمك أنا. يا ترى مسامحني يا بابا؟ يارب تكون مسامحني وتكون غفرت لي تقصيري وأنانيتي. أوعدك أني هحقق لك حلمك فيا، هتخطى أحزاني وألمي وهحقق لك حلمك يا بابا. صحيح أتأخرت قوي وأنت مش معايا بس عارفة أنك حاسس بيا وعارفة أنك عايزني أكون قوية وهكون قوية علشانك وهكون ناجحة علشانك. ما هو حرام عليا أعذبك معايا وأنت حي وكمان بعد موتك. علشانك هكون بخير يا بابا. بس أنت وحشتني قوي وحشتني يا بابا.

تركت العنان لدموعها لتنساب حارة على وجنتيها وتغسل أوجاعها. أمضت النهار بأكمله عند قبر أبيها ثم قررت القيام بجولة مشي طويلة في البلدة التي لا تكاد تعرفها وسط الحقول الممتدة وعلى شاطئ النيل الساحر. لماذا ننبهر دوماً بسحر الطبيعة في جميع أنحاء العالم ولا نرى كل تلك الروعة في بلدنا؟ من قال إن الصعيد مكان مقفر؟ ما تراه الآن هو الجنة على الأرض بكل ما في الكلمة من معاني، كيف إذاً ستكون جنة الله التي وعد بها عباده الصالحين؟ شعرت بروحها تنتعش بفعل الهواء النقي والشمس الدافئة والراحة التي بعثتها في نفسها زيارتها لقبر والدها.

أمضت أسبوعاً كاملاً في بيت عمتها. كان أكثر ما أسعدها في تلك الزيارة أنها شعرت بتقارب شديد مع عمتها التي لم تعرفها جيداً طوال عمرها لتباعد المسافات بينهم ولم تكن تراها إلا عندما

تزورهم في القاهرة مرة واحدة سنوياً في عطلة الصيف. شعرت "نوران" بدفء محبتها لها ورأت فيها والدها الراحل وهو ما جعلها تشعر بمشقة فراقها بعد أن مر الأسبوع سريعاً.

عادت للقاهرة وأتصلت فور وصولها بـ"شيرين" و"هشام" و"ماجد" لتخبرهم بوصولها. وبعد أقل من ساعة كانت "شيرين" تدق جرس باب منزلها. إبتسمت "نوران" لأنها كانت تعلم أن هذا تصرف نموذجي تماما يليق بـ"شيرين" التي إشتاقت لها كثيراً، وبعد أن عانقتها "شيرين" بلهفة حتى كادت تخنقها بكت بتأثر شديد وطلبت منها ألا تغيب مجدداً كل تلك المدة.

دخلا سوياً للمطبخ لإعداد الغداء لهما وأتصلت "نوران" بـ"هشام" و"ماجد" أيضاً ودعتهما لتناول الغداء معهما.

وصل "هشام" أولاً وساد المنزل جو مبهج من المرح. شعرت "نوران" بروعة أن يكون في حياتها مثل هذين الرائعين. وبعد الخامسة بقليل دق جرس الباب وفتحت "نوران" لتجد "ماجد" أمامها. شعرت أن قلبها قفز من مكانه وهي تصافحه بهدوء في حين إبتسم هو لها وقال ببساطة:

- حمد لله ع السلامة يا "نور". يا رب تكون زيارتك دي ساعدتك في إتخاذ قرارات مهمة وترتيب أولوياتك".

أومأت برأسها إيجابا وقالت له:

- أنا كنت محتاجة الزيارة دي جدا من زمن وفعلا فرقت معايا كتير.

جلسوا لتناول الغداء ثم بعدها خرجوا للشرفة لتناول الشاي. تبادلت "شيرين" نظرة ذات مغزى مع "هشام" و"ماجد" لكنهم ظلوا جميعاً صامتين. شعرت "نوران" أن هناك الكثير من الكلام المعلق في الجو بين ثلاثتهم. كانت قد إنقطعت تماماً عن متابعة أي أحداث خلال رحلتها للصعيد لأنها كانت في حاجة ماسة لأن تخلو بنفسها بعيداً عن أية مؤثرات. صاحت بهم لما لاحظت صمتهم وتبادلهم للنظرات المثقلة بالكثير من المعاني:

- ها مين فيكم هيقول لي اللي حصل طول الأسبوع؟ ومفيش داعي تخبوا عليا حاجة أياً كانت حلوة أو وحشة أنا مستعدة لتقبل أي شيء فمن فضلكم أحكوا لي محتاجة أعرف.

كان "هشام" أول من تكلم وقال لها:

- فاكرة الولية "أم بطة" يا "نورا"؟ إتقبض عليها هي كمان. القضية كبرت قوي والطب الشرعي حدد هوية بعض الجثث اللي كانت مدفونة في المقبرة الجماعية. معظمهم أطفال شوارع وكان في كمان مخطوفين مبلغ بإختفائهم من مدة. -صمت لحظة وبدا الأسف على وجهه ثم قال- وكان منهم كمان "عماد" أخو "عبد الرحمن".

ردت عليه بحزن:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. الولد كان عارف أن أخوه أتقتل فعلا وكان متأكد. الله يرحمه، إحنا لازم نساعده ونخلص له إجراءات تسلم جثمان أخوه علشان يدفنه. ده أقل شيء نقدر نقدمهوله.

كانت "شيرين" هي من ردت تلك المرة وقالت لها:

- متقلقيش أنا و"هشام" مش سايبينه وفعلا بنخلص له الإجراءات المطلوبة دلوقتي.

بدا السؤال مرسوماً على وجه "نوران" ولاحظ "ماجد" ذلك فقال ببرود مزعج:

- "خالد" تم تعليق عضويته في النقابة ومنعه من ممارسة المهنة لحين إنتهاء التحقيق و"منار" كمان.

شعرت بغصة في حلقها. آلمها أن يشعر "ماجد" أنها تريد معرفة مصير "خالد" لأنها تهتم به ومازالت تكن له بعض الحب. لكنها في حقيقة الأمر كانت تريد أن تعرف فقط. ربما كانت تشعر قليلاً بعقدة الذنب تجاهه لأنها تشعر أنه كان صادق عندما أخبرها أنه بريء وأنه لم يكن على علم بكل ما يجري وتورط لصلته بالمستشفى. كان هذا كل شيء والمشاعر لا علاقة لها بالأمر بالمرة. ودت لو يقتنع "ماجد" وكل الناس أنها طوت صفحة "خالد" من حياتها تماما، لكن في قرارة نفسها ودت لو تقتنع هي نفسها أولا أنها قد أخرجته من حياتها بلا رجعة، كانت تخشى ألاعيب القلب وخداع المشاعر برغم كل محاولات العقل الرادعة والحاسمة ضد تلك الألاعيب. حاولت التغلب على توترها وهي تقول:

- بس كده؟ طيب و"أنيس زهران" عملوا معاه إيه؟

أجابها "هشام":

- ده حكايته حكاية. في يوم سفرك رجعوه من المطار هو وبنته كانوا مسافرين (فرنسا)، وقالوا له إن في أمر بمنعه من السفر وفي

نفس اليوم جاله إستدعاء النيابة هو و"منار" و"خالد". هو أخد حبس 15 يوم على ذمة التحقيق وأخلوا سبيل "منار" و"خالد" بكفالة، وبعدين النقابة إتخذت الإجراء القانوني ضدهم. التحقيقات لسه مستمرة والمتهمين أدلوا بإعترافات تفصيلية. شكلهم خافوا لما حسوا أن في نية لتلبيسهم القضية وطلوع "أنيس" منها فقالوا علينا وعلى أعدائنا بقى. أنتي مكونتيش بتتابعي الأخبار يا بنتي؟ الناس مبتتكلمش غير عن القضية اليومين دول ومواقع التواصل مقلوبة عليها. أنتي بقيتي شخصية معروفة وبعد كده هنطلب منك ميعاد علشان نعرف نشوفك، وكمان بقيتي بطلة الغلابة ويمكن قريب تاخدي لقب (ملكة الترسو).

ضحكوا جميعاً لدعابة "هشام" وشكرته "نوران" في قرارة نفسها لأنه نجح بذكاء في تلطيف الأجواء التي بدأت تتوتر بينها وبين "ماجد". قالت له مبتسمة:

- أنت عارف أنا مش مهم عندي أي شيء غير أن أي مجرم يتعاقب فعلا على جريمته ويكون العقاب رادع له ولأمثاله. البلد دي لازم تنضف ومفيش حد فوق المحاسبة.

قالت "شيرين":

- أطمني. التهم الموجهة للمتهمين في القضية دي توصلهم المشنقة. دي بتشمل قتل عمد وتجارة أعضاء وإدارة شبكات دعارة ومصايب تانية. يلا في داهية وعلى رأيك البلد لازم تنضف.

نظرت "نوران" لهم وأخذت نفس عميق ثم قالت:

- أنا عندي مشروع عايزة أعمله لو تحبوا تساعدوني وتشاركوا معايا. -ثم إلتفتت لـ"هشام" وسألته- هو "هاني" أخوك أخد الماجستير ولا لسه يا "هشام"؟

أومأ برأسه إيجاباً وقال لها:

- قرب ياخد الدكتوراة. إنما ليه بتسألي؟

- طيب هو بعد ما ساب (مستشفى المنار) مبقاش عنده إلا شغله في معمل التحاليل صح؟ أنا كنت بفكر لو عنده وقت ويوافق يعمل حاجة إنسانية، ممكن تعرض عليه الفكرة؟

- سيبي لي أنا مهمة إقناعه بس عرفيني الأول إيه اللي في دماغك؟

قالت "نوران" وقد لاحظت الإهتمام المرسوم على وجوه ثلاثتهم:

- أنا كنت كلمت "عمر" وقلت له عن الفلوس اللي بابا الله يرحمه كان شايلها في البنك علشان عمليته اللي مات قبل ما يعملها. كنت بفكر الفلوس دي نعمل بها مركز طبي صغير في (كفر أبو سالم) يكون فيه عيادة باطنة ومعمل تحاليل على القد كده، يعني المنطقة دي مفيهاش أي نوع من الخدمات والناس غلابة جداً وأظن وجود مركز طبي هناك هيفيدهم خصوصا أنه هيكون خيري يعني بتكلفة رمزية تماماً أو مجاناً للي ميقدرش. إيه رأيكم؟

رد "ماجد" بحماس:

- دي فكرة هايلة يا "نور" وفعلاً دي أفضل خدمة ممكن نقدمها لهم. على فكرة البرنامج تلقى تبرعات كتير جدا لسكان المنطقة

دي وفي إستجابة واسعة للحلقة. ده كمان في جمعيات خيرية كتيرة إتصلت وقرروا يروحوا بنفسهم ويشوفوا المنطقة ناقصها إيه. أنا معاكي في الفكرة دي ومستعد لأي حاجة تطلبيها.

إبتسمت وقالت له:

- المهم يكون في إهتمام بكل المناطق اللي زي كده والناس اللي الفقر والجوع بيذلهم. ميزان العدالة مختل فعلاً في البلد ومحتاج مجهود وإخلاص علشان يتعدل شوية. أنا أستغليت فرصة وجودي في البلد وكتبت كل تفاصيل المشروع. أنا محتاجة أعمله بالفلوس اللي معايا بس علشان ده هيكون صدقة جارية على روح بابا. - صمتت لحظات ثم أكملت بصوت مرتعش قليلاً- إن شاء الله هيكون اسمه مركز النبيل.

ظهر التأثر على وجوههم وقالوا جميعاً:

- الله يرحمه.

وعدها "هشام" أن يتحدث مع شقيقه في الأمر ويعلم منه المطلوب لترخيص المركز وتشغيله، وطلبت منه أن يسأله إن كان لديه زميل يمكنه أن يتولى مسؤولية عيادة الباطنة. طمأنها "هشام" بأنه سيرد عليها في أقرب وقت ممكن وأن أخاه لن يمانع أبدا في تولي هذا الأمر.

أمضوا بقية اليوم معها ثم غادر "ماجد" بحلول التاسعة وبعد ساعة تقريباً غادرت "شيرين" بصحبة "هشام".

جلست بعد مغادرتهم تدون كل ما عليها فعله في الأيام القادمة وشغلها ذلك تماماً حتى أنها قفزت من مكانها فزعا عندما دق جرس هاتفها المحمول الذي أغلقته طيلة الأسبوع الماضي. نظرت للشاشة فوجدت أن المتصل هو "خالد". ترددت لحظة في الرد حتى توقف الهاتف عن الرنين. وبعد ثانية عاود الاتصال مجدداً. قررت الرد تلك المرة وما أن وضعت الهاتف على أذنها حتى سمعت صوته يقول بهدوء:

- مساء الخير يا نورا، بقالي أيام بحاول أوصل لك، أنتي مختفية ليه؟

أجابته بصوت حاولت أن يكون عادي وهادئ قدر الإمكان:

- مش مختفية ولا حاجة كنت مسافرة. خير يا "خالد"؟

صمت ثواني ثم قال:

- أتمنى تكوني مرتاحة دلوقتي وتكوني حققتي إنتقامك مني. أنا عارف أني جرحتك جرح مش سهل أبدا وأنا أستاهل. أتمنى بس تكوني مرتاحة دلوقتي.

شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها وهتفت به:

- إنتقام؟! إنتقام يا "خالد"؟! هي دي فكرتك عني؟ أنا مكنتش أعرف خالص أن لك صلة بالموضوع ده لما بدأت التحقيق ولا كان على بالي أن تحقيق بعمله عن معاناة الغلابة مع عصابات سرقة الأعضاء هيوصلني في النهاية للمستشفى بتاعة حماك. بتتكلم عن إنتقامي منك؟ علشان الخذلان ولا علشان الوجع ولا علشان

الطعن بخنجر مسموم بعد الرحيل؟ شوف كل ده وشوف لو عايزة أنتقم منك إيه ممكن يكون الإنتقام المناسب علشان يريحني ويعوضني عن حياة كاملة إتدمرت بسببك وإنسانة حولتها لشبح عايش زي الطيف على هامش حياة مش قادر يندمج معاها. فكرة الإنتقام عمرها ما خطرت لي على بال عارف ليه يا "خالد"؟ بيقولوا في الأمثال مراية الحب عامية. فعلا هي عامية لكن مع أبسط شرخ بتكون مبصرة ومبصرة بشدة كمان وده اللي حصل لي معاك. خيانتك ليا خلتني أشوف اللي مكنتش شايفاه وكان عاميني عنه حبك. الحقيقة اللي شوفتها هي أنانيتك ولا مبالاتك وعدم رغبتك حتى في الدفاع عن حبك. ده أنت من أول مواجهة هربت ومش بس هربت لا ده أنت لقيت بسرعة البديل المناسب لك تماماً. الحب بيقوي يا "خالد" مش بيضعف أبداً وطالما حبي لك أضعفني وكاد يقتلني يبقى عمره ما كان حب سوي ولا صحيح. أنت أخترت حياتك بكامل إرادتك الحرة يبقى حب إيه اللي بنتكلم عنه هنا؟ وإنتقام إيه؟ أنا فعلاً حبيتك قوي حبيتك أكتر من أي حد في الدنيا، حب وصل مداه أني غرقت فيه تماماً لدرجة شغلتني عن ملاحظة ذبول أبويا في مرضه اللي أخفاه عني. بسببك هعيش بقية عمري بعقدة ذنب مش هتفارقني أبداً. تخيل كده يا "خالد"،تخيل الإنتقام المناسب ممكن يكون شكله إيه لو أنا تفكيري في إنتقام. -صمت "خالد" ولم يرد فأكملت- أنا عمري ما فكرت ولا هفكر في يوم في إنتقام منك يا "خالد". أنت بالنسبة لي صفحة سودا في حياتي قررت أطويها للأبد. صحيح صعب أنا بعترف أنه صعب لكنه مش مستحيل والزمن كفيل أنه يقويني ويساعدني. أرجوك يا "خالد" أخرج من حياتي

للأبد مش عايزة أسمع منك أو عنك تاني. أنا آسفة للورطة اللي أنت فيها لكن صدقني ده مش ذنبي وطالما أنت عارف كويس أنك بريء وملكش يد في الموضوع يبقى ربنا هيظهر براءتك.

تنهد أخيراً وقال:

- مش عارف أقولك إيه؟! الحقيقة أنا اللي آسف يا "نوران"، أتمنى تقدري تسامحيني في يوم. أنا فعلا هخرج من حياتك برغم صعوبة ده على نفسي لكن على الأقل أحاول إصلاح بعض الضرر اللي تسببت فيه. سلام يا "نوران"، سلام لآخر مرة.

أنهى المكالمة ووضعت "نوران" الهاتف أمامها ورغما عنها أفلتت دمعة حبيسة من عينها. هل أنت بالفعل لعنة حياتي التي لا فكاك منها يا "خالد"؟

تمالكت نفسها وتذكرت وعدها لأبيها أمام قبره بأن تكون بخير فمسحت دموعها سريعاً وقامت لتعد لنفسها بعض الشاي ثم عادت لتكمل تدوين ما لديها من أمور هامة تحتاج لإنهائها.

إنشغلت تماما في الأيام التالية في إنهاء إجراءات تسلم أموال أبيها والإعداد للمركز الطبي وكان "هاني" شقيق "هشام" متعاون معها في إنهاء كافة الإجراءات المطلوبة. وجدوا المكان المناسب وكان عبارة عن شقة متوسطة المساحة من غرفتين وسريعاً تم إعدادها لتصبح مركز طبي بسيط يضم عيادة للباطنة ومعمل للتحاليل الطبية. ساعدهم "عبد الرحمن" و"وردة" في تجهيز المركز وشعر كلاهما بسعادة بالغة للخلاص من كابوس "حسان فرج" وأن هناك إهتمام واضح من الجمعيات الخيرية والدولة بإصلاح قريتهم

وتحويلها لمكان يصلح للحياة الآدمية. طلبت "نوران" من "هاني" أن يكون مسؤول عن إدارة المركز الطبي ورحب بذلك ووعدها بأن يجد له وقت يومياً يتواجد فيه. وتولى مسؤولية عيادة الباطنة أحد الأطباء صديق لـ"هاني" وتصادف أنه أيضاً أحد أبناء قرية مجاورة فرحب بخدمة أهل المنطقة وأخبرها "هاني" أنه وصديقه سيعملان في المركز الطبي دون أجر وسيكون عملهما تطوعيا.

عرضت "نوران" على "وردة" التي كانت أسعد الناس بسماع نبأ القبض على "حسان" أن تكون عاملة الإستقبال في المركز الطبي براتب شهري فرحبت وشكرتها بشدة. إحتضنتها "نوران" بود وقالت لها:

- أنا معملتش حاجة تشكريني عليها، المهم أنك فعلا مترجعيش تاني لسكة الغلط يا "وردة". المرتب في المركز صحيح صغير بس حلال وربنا بيبارك في القليلة الحلال، ربنا يكفيكي شر الحرام.

- تويت إلى الله يا أبلة ده أنا ما صدقت. حد يلاقي نضافة ويرفضها؟ الله يبارك لك ويسعدك.

طلبت "نوران" من "هاني" أن يوفر فرصة عمل لـ"عبد الرحمن" في المركز الطبي يحث يمكنه تولي مسؤولية النظافة وغيرها من المهام البسيطة التي يقدر عليها. فرح الصبي بهذا العمل كثيرا وبدا شاعراً بأهميته على نحو طفولي جدا.

كان أهم ما أنجزته "نوران" أيضا خلال تلك الفترة نجاحها في الحصول على قرار علاج على نفقة الدولة لـ"عبد الرحمن" وسجلت أسمه أيضا في قاعدة بيانات وزارة الصحة ليكون ضمن

كشوف المرضى الذين سيتلقون علاج لفيروس سي. شكرتها والدته كثيراً وظلت تدعو لها وهي دامعة العينين بالستر والصحة، وتأثرت "نوران" جدا بكل المشاعر الطيبة التي غمرها بها هؤلاء الأنقياء.

علمت لاحقاً أن التحقيقات في قضية (مستشفى المنار) كشفت الكثير من المخالفات التي إرتكبتها تلك المستشفى وفي نهاية الأمر صدر قرار بإغلاقها بشكل مؤقت.

أنتهت التحقيقات بتوجيه عدة تهم للمتهمين الرئيسيين في القضية وهم "أنيس زهران" و"حسان فرج" و"طارق عبد الفتاح" وتم إحالة ملف القضية للقضاء.

علمت "نوران" أيضا أن نقابة الأطباء قررت شطب عضوية "منار" ومنعها من ممارسة مهنة الطب بشكل نهائي بعد ثبوت توقيعها على كشوف حسابات مالية خاصة بعمليات زراعة أعضاء تمت بإستخدام أعضاء مسروقة، في حين فُرضت غرامة مالية على "خالد" لأنه كان المدير الإداري للمستشفى لكن التحقيقات أثبتت عدم صلته بواقعة سرقة الأعضاء والإتجار بها وتمت تبرئة ساحته. علمت بعدها أيضا أنه بصدد إنهاء إجراءات الطلاق من "منار" لكنها لم تكترث كثيراً بالخبر ولم تهتم بمتابعة أخباره بعد ذلك.

عادت "نوران" لعملها في الجريدة مجدداً. إنتظمت في العمل في قسم التحقيقات مثلما كانت طوال حياتها المهنية تقريبا ولم تترك الصفحة الأدبية أيضا. رفضت كافة عروض العمل المغرية التي عرضت عليها وفضلت الإستمرار في نفس الجريدة بصحبة صديقيها المقربين.

ظل "ماجد" على تواصل دائم معها وكان أسعد الناس بالتغير الملموس الذي لاحظه عليها. كانت تستشيره في كافة أمورها ولا تفعل شيئا دون أن تعرف رأيه.

حل شهر رمضان وكان له مذاق خاص في هذا العام لـ"نوران". إستقبلت الشهر الكريم ببهجة غابت عنها طويلاً. ذهبت للتسوق بفرحة الأطفال وأشترت لنفسها فانوس صغير. إشترت أيضاً فانوس كبير قامت بتعليقه على باب المنزل، وتعاونت مع "هشام" و"شيرين" على صنع زينة ورقية مثل التي كانوا يصنعونها وهم صغار وعلقتها في حديقة المنزل.

وعلى غير عادتها كانت تحرص على إعداد وجبة إفطار شهية لها يومياً وكثيراً كانت تدعو أصدقائها الثلاثة المقربين لتناول الإفطار معها.

إنعكست البهجة الداخلية على ملامحها بوضوح فزاد تألقها وبدا وجهها مشعاً بالسعادة والإرتياح.

كانت ليلة النصف من رمضان صافية وهادئة. جلست "نوران" على فراشها وفتحت نافذة الغرفة لتستمتع بنسمات الصيف اللطيفة على غير العادة في تلك الليلة. جلس "زورو" على حافة الفراش بجوارها يلعق فراءه في هدوء ويلهو بدمية فأر أحضرتها له خصيصا. راقبته لبعض الوقت ضاحكة ثم فتحت جهاز اللاب توب وفتحت صفحة برنامج الكتابة. ظلت تنظر لمؤشر الكتابة صامتة وفي عقلها تزاحمت الأفكار. كان ذلك عندما إتصل بها

"ماجد" وهم بإخبارها أمرا ما، وقبل أن يقول شيئا بادرته "نوران" بالقول:

- عارف أنا بعمل إيه دلوقتي يا "ماجد"؟

إبتسم وقرر الإستماع لها أولاً وسألها:

- بتعملي إيه يا "نور"؟

قالت له بفرح:

- أنا... أنا هبدأ كتابة. قررت أبدأ برواية طويلة أفكارها كلها في دماغي فعلا. إيه رأيك؟

شعر بفرحة حقيقية وهتف بها عبر الهاتف:

- أنتي بتتكلمي جد؟ كتابة كتابة يعني؟ أخيراً يا نور! بصي ركزي، أنسي كل حاجة حواليكي دلوقتي، أنسي أي شيء، ركزي في الكتابة بس، أنا عارف البداية بتكون صعبة لكن صدقيني مجرد ما هتبدأي هتلاقي الأفكار بتترتب تلقائياً معاكي وهتنجحي أنا متأكد أنك هتنجحي وأراهن على كده بحياتي. أكتبي علشانك أنتي بس، أكتبي لنفسك، أكتبي علشان "نوران" موهوبة وبتحب الكتابة، أعملي اللي بتحبيه، متحطيش في دماغك أي مخاوف خلي رغبتك في عمل شيء بتحبيه أكبر من أي خوف، أنتي بتكتبي علشانك مش علشان أي حد ولا منتظرة رأي حد فاهماني؟ خلي ده في ذهنك وأنا منتظر إبداعك.

تأثرت بشدة بتشجيعه لها. لم تكن تدري فعلا كيف سيكون شكل حياتها إن لم يكن بها "ماجد". شكرته ووعدته ألا تتراجع وأن تواصل حتى النهاية. سألته عن سبب إتصاله فرد عليها بهدوء:

- بعدين، ركزي في الكتابة دلوقتي وبعدين لنا حديث مطول.

قرر تأجيل ما يريد أن يقوله لها حتى تنتهي من روايتها الأولى، شعر أن هذا هو الأهم الآن.

بعد أن أنهت "نوران" مكالمتها مع "ماجد" إنطلقت أصابعها تلقائياً على لوحة المفاتيح. تراصت الكلمات سريعاً مما جعلها تشعر أن عقلها متصل مباشرة بأصابعها التي تحركت بسرعة مدهشة في الكتابة. كان السكون ساحراً في تلك الليلة ولم يكن هناك أي صوت سوى ما وصل لسمعها من مقتطفات مسلسل إذاعي رمضاني قديم قادم من الراديو المفتوح في غرفة المعيشة.

رفعت "نوران" بصرها لتنظر عبر النافذة المفتوحة التي دخل عبرها ضوء القمر ليغمر الغرفة. كان القمر مستديراً ولامعاً بشدة. إبتسمت له بصفاء. لم يبد القمر على تلك الدرجة من البهاء والجمال من قبل.

*****

تمت

القاهرة، مارس 2015

نبذة عن الكأتبة

مروة سلام، خريجة قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب، من مواليد القاهرة وتعمل بالصحافة والترجمة، لها العديد من مقالات الرأي المنشورة وقصص قصيرة في الأدب الساخر. قمر خلف الغيوم هي عملها الروائي الأول

للتواصل مع الكاتبة عبر حسابها الشخصي على موقع فيس بوك

https://www.facebook.com/marwa.sallam

صفحة الرواية على موقع جودريدز

https://www.goodreads.com/book/show/25845157

قمر خلف الغيوم

مروة سلّام

هل يموت الماضي حقا أم يظل حيا بين الرماد مترقبا فرصة العودة من جديد ومزاحمة الحاضر وإثارة الفوضى به؟

سر دفين لأب راحل وماض أليم يطاردان نوران التي تحيا واقعا لا يناسبها كثيرا فهل يكون في ذلك قبلة الحياة لروحها الحائرة؟

تصميم الغلاف: محمد مجدى



